دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

ـ ٣ ـ

مع المسيح في آلامه حتى الصليب

دراسات روحية ولاهوتية

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

ـ ٣ ـ

مع المسيح في آلامه حتى الصليب

دراسات روحية ولاهوتية

الأب متى المسكين

الكتاب: مع المسيح في آلامه حتى الصليب.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٦١ ـ كتاب: "مع المسيح في آلامه وموته وقيامته".
الطبعة الثانية: ١٩٦٥ ـ مزيدة بالصلوات في نهاية كل فصل.
الطبعة الثالثة: ١٩٧٦ ـ مزيدة بكل ما صدر من مقالات عن الآلام.
الطبعة الرابعة: ١٩٨١ ـ مزيدة.
الطبعة الخامسة: ١٩٨٧ ـ مزيدة.
الطبعة السادسة: ٢٠٠٠.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٧/٢٢٧٣
رقم الإيداع الدولي: ١ ـ ٠٦٥ ـ ٤٤٨ ـ ٩٧٧
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.
ص. ب ٢٧٨٠ القاهرة.

المحتويات

	صفحة
فهرس موضوعي زمني لمقالات الكتاب	٥
القسم الأول: كتاب مع المسيح في آلامه وموته وقيامته	٧
الفصل الأول: في جثسيماني	٩
الفصل الثاني: في المحاكمة	١٧
الفصل الثالث: في الموضع الذي يقال له جلجثة	٢٢
الفصل الرابع: ونكس رأسه وأسلم الروح	٢٨
أولاً: غلبة العالم	٢٨
ثانياً: غلبة الخطية	٣٢
الفصل الخامس: القبر الفارغ	٥٣
القسم الثاني: كتاب تأملات هادئة من جمعة ختام الصوم إلى جمعة الصلبوت	٥٧
إنجيل جمعة ختام الصوم: أردت ولم تريدوا	٥٩
إنجيل سبت لعازر: حلّوه ودعوه يذهب	٦٢
إنجيل أحد الشعانين: أوصنا «هوشعنا أي خلِّصنا»	٦٦
عظة الإثنين من البصخة المقدسة: شجرة التين غير المثمرة	٧١
عظة الثلاثاء من البصخة المقدسة: العشر عذارى	٧٦
عظة الأربعاء من البصخة المقدسة: تذكار المحبة	٨١
عظة يوم خميس العهد: الجسد المقدس والدم الكريم	٨٥
عظة يوم الجمعة العظيمة: أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليُصلب	٨٩
القسم الثالث: كتاب دراسة لآلام الرب من الإنجيل والأسفار	٩٣
الرب يسبق و يصف آلامه المزمعة بدقة مدهشة	٩٥

١ — مرحلة التعبير الرمزي أو غير المباشر
التي وصف بها الرب آلامه وموته ٩٩
٢ — مرحلة التعبير الواضح والمباشر
التي عبَّر بها الرب عن آلامه وموته ١٠٢
أولاً: التصريح العلني الأول عن آلامه ١٠٢
ثانياً: التصريح العلني الثاني عن آلامه ١١١
ثالثاً: التصريح العلني الثالث عن آلامه ١١٣
خميس العهد ١٤٠
رؤيتنا للصليب ١٤٥
القيامة ١٥٤
القسم الرابع: مقالات مناسبة للآلام ١٦٣
أسبوع الآلام ١٦٥
صورة جديدة للألم ١٦٧
جثسيماني: بستان معصرة الزيت ١٧٤
سر الإفخارستيا ١٨١
موت على موت أو سر القيامة الحقيقية ١٩٤
الآلام معبرنا إلى المجد ١٩٩
الصليب مصدر فرح ومجد ٢٠٣
يوم الصليب: يوم القضاء و يوم البراءة ٢٠٧
إنجيل آلام وأمجاد قيامة ٢٢٦
الصليب ٢٣٥
لماذا الصليب؟ وكيف نتصالح معه؟ ٢٤٠
الصليب في حياتنا ٢٤٦
سر الصليب ٢٦١
الإنجيل والصليب ٢٧٢
من الصليب إلى القيامة ٢٧٩
فهرس شواهد الآيات الواردة في الكتاب ٢٩٦

فهرس موضوعي زمني لمقالات الكتاب

	التاريخ	صفحة
أسبوع الآلام ـ مقالات عامة عن الآلام:		
الرب يسبق و يصف آلامه المزمعة	أبريل ١٩٧٩	٩٥
دراسة عن النبوات	أبريل ١٩٧٩	١١٦ ـ ١٣٩
أسبوع الآلام	أبريل ١٩٧٧	١٦٥
صورة جديدة للألم	أبريل ١٩٧٨	١٦٧
الآلام معبرنا إلى المجد	أبريل ١٩٦٨	١٩٩
جمعة ختام الصوم:		
أردت ولم تريدوا	أبريل ١٩٥٣	٥٩
سبت لعازر:		
حلّوه ودعوه يذهب	أبريل ١٩٥٣	٦٢
أحد الشعانين:		
أوصانا	أبريل ١٩٥٣	٦٦
إثنين البصخة:		
شجرة التين غير المثمرة	أبريل ١٩٥٣	٧١
ثلاثاء البصخة:		
العشر عذارى	أبريل ١٩٥٣	٧٦
أربعاء البصخة (تسليم يهوذا):		
تذكار المحبة	أبريل ١٩٥٣	٨١
خميس العهد:		
في جثسيماني	أبريل ١٩٦١	٩
في المحاكمة	أبريل ١٩٦١	١٨
الجسد المقدس والدم الكريم	أبريل ١٩٥٣	٨٥

خميس العهد	أبريل ١٩٧٩	١٤٠
جثسيماني بستان معصرة الزيت	أبريل ١٩٧٦	١٧٤
سر الإفخارستيا	مايو ١٩٧٢	١٨١
الجمعة العظيمة (الصليب):		
في الموضع الذي يقال له جلجثة	أبريل ١٩٦١	٢٢
ونكس رأسه وأسلم الروح	أبريل ١٩٦١	٢٧
أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليُصلب	أبريل ١٩٥٣	٨٩
رؤيتنا للصليب	أبريل ١٩٧٩	١٤٥
موت على موت	مارس ١٩٧١	١٩٤
الصليب مصدر فرح ومجد	٢٧ سبتمبر ١٩٦٩	٢٠٣
يوم الصليب	مايو ١٩٧٣	٢٠٧
إنجيل آلام وأمجاد قيامة	أبريل ١٩٥٨	٢٢٦
الصليب	١٩ مارس ١٩٧٥	٢٣٥
لماذا الصليب؟ وكيف نتصالح معه؟	٢٨ سبتمبر ١٩٧٦	٢٤٠
الصليب في حياتنا	١٩ مارس ١٩٧٧	٢٤٦
سر الصليب	أبريل ١٩٧٩	٢٦١
الإنجيل والصليب	أبريل ١٩٨١	٢٧٢
القيامة:		
القبر الفارغ	أبريل ١٩٦١	٥٣
موت على موت أو سر القيامة الحقيقية	مارس ١٩٧١	١٩٤
القيامة	أبريل ١٩٧٩	١٥٤
أمجاد قيامة	أبريل ١٩٥٨	٢٣٢
من الصليب إلى القيامة	أبريل ١٩٨٥	٢٧٩

القسم الأول

كتاب

مع المسيح في آلامه وموته وقيامته

الفصل الأول

في جثسيماني

بعد أن أكمل يسوع سر العشاء، ارتاحت نفسه، إذ أكمل حبه لما ذبح مع التلاميذ الفصح الأخير الذي كان يترقبه من وراء الدهور والذي كان يشتهيه شهوة!!، وذبيحة الفصح الأخير كانت نفسه!

فالنفس لا تشتهي أكثر من أن يكمل حبها، والحب لا يكتمل إلا بالفدية...

«ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (١).

ثم خرج مع التلاميذ ذاهباً إلى جثسيماني، وابتدأ يدخل في آلامه «وهو عالم بكل ما يأتي عليه» (٢).

لأنه لا يمكن أن يكمل البذل إلا في الآلام.

وهو عندما قسّم جسده للتلاميذ هيّأه ضمناً للألم، وعندما أعطاهم دمه المسفوك ارتضى أن توضع عليه أوجاع الموت...

هنا نقطة التلاقي الكبرى التي تقابلت فيها البشرية مع الله...

فلم تكن مصادفة أن يطلب يسوع في وقت الليل بستاناً «ليدهش» فيه «و يكتئب» وتحزن نفسه هناك حزنها العجيب حتى الموت!!

أليس في بستان الفردوس تعرى آدم بالخطية وخرج من لدن الله؟ فصارت البشرية بآدم في انفصال عن الله وموت؟

فإن كانت البشرية قد تقابلت مع الله بميلاد يسوع تقابلاً كلياً، فما كان ذلك إلا على أساس أن يتقابل يسوع معنا تقابلاً كلياً!...

---

(١) يو١٥: ١٣.　　(٢) يو١٨: ٤.

في جثسيماني تقابلنا... لأن شركة الآلام هي تقابلٌ ما بعده تقابل، إلا الموت ذاته حيث يكون اتصال الخلود.

فطبيعة الآلام الضاغطة التي نعانيها في هذه الحياة إن بالجسد أو بالنفس جازها يسوع حتى إلى أعماقها... «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مت٢٦: ٣٨)...

ولا حزن يبلغ هكذا بالنفس إلى حد الموت، إلا إذا كان حزن العار والخطية!

ففي جثسيماني قرر يسوع نهائياً أن يقبل عار الإنسان، وارتضى أن يدخل المحاكمة القادمة «كمجدِّف» و«فاعل شر»! خطيتان هما أصل الخطية وفروعها...

كيف قبل المسيح عار الإنسان؟

وقبول المسيح لعار الإنسان كان على مستوى «سري». ولكي يبلغ الإنسان إلى إدراكه، عليه أن يستنزف كل إحساسه ووجدانه، وقلَّ من يبلغه... فكما أخذ الرب طبيعتنا واتحد بها دون أن تُنقص أو تغيِّر من لاهوته، هكذا رضي أن يُلبس الجسد – في جثسيماني – وساختنا دون أن يتسخ... وهو لم يقبل الخطية بالفكر أو بالرمز أو الخيال بل يقول الكتاب: **«الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة»**[3].

هنا سر المسيح ومحور الفداء، من يدركه؟

كل ما نستطيع أن نقوله هو: كما أنه جاء إلى التجسد وحققه فعلاً بالإرادة، هكذا بالإرادة حمل الخطية في جسده... وحينما يريد الله يكون!... وإن كان الجوع والعطش والتعب حقق لنا معنى التجسد في طبيعة بشرية صميمة، فالدهش والإكتئاب «وحزن النفس إلى حد الموت» يحقق لنا أنه تقبَّل بالإرادة الحرة ما سوف تُحمِّله إياه البشرية على الصليب، تقبُّلاً سرياً!

وكما كان يحمل خروف الذبيحة قديماً خطية الإنسان ويموت بها عن الخاطىء دون

---

(٣) ١بط ٢: ٢٤.

أن يُقـال أن الخروف أصبح خاطئاً، مع أنه حامل الخطية، هكذا ابن الله «حمل الله» (يو١: ٢٩) الـذي رفع خـطيـة الـعالم كله، صار خطية من أجلنا! وظل غير خاطىء البتة... «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه» (٤) وهو كما هـو: «قـدوس بـلا شر ولا دنـس قـد انـفـصـل عـن الخـطـاة وصـار أعلى مـن السموات» (٥).

وكما صار هو فينا «**خطية**» مع أنه ظل «**غير خاطىء البتة**»، هكذا صرنا نحن فيه «**بلا خطية البتة**»، مع أننا بالبشرية خطاة!!...

«هو أخذ **الذي لنا**، وأعطانا **الذي له**، فلنسبحه ونمجده، ونزيده علواً» (٦).

لـقـد تقابلنا في جثسيماني، فانتهت إلى الأبد مشكلة الألم التي أحنت ظهر الإنسان وسحقت نفسه سحقاً.

قبل جثسيماني كان الألم عقاباً:

فقد ظل الألم والحزن مع ما يسبقه من مصائب ومظالم ومحن، وما يلحقه من أمراض وذل وهـوان، سـؤالاً لا جـواب لـه في قـلـب الإنـسـان إلا كـلـمـة «الخـطـيـة» و«العقاب»!...

فكان الألم بلا رجاء، بقدر ما كانت الخطية بلا شفاء!!

وكان الحزن مُرّاً ومميتاً، بقدر ما كان العقاب بلا فدية!!

وكـان عدم تكافؤ توزيع الآلام أمراً مُجلباً للأسى والجزع والحيرة، فالطفل البريء يناله من الأذى والألم والعذاب ما يناله أشر الرجال!...

---

(٤) ٢كو٥: ٢١.

(٥) عب٧: ٢٦.

(٦) التسبحة المقدسة: ثيئوتوكية الجمعة.

وربما كان نصيب الإنسان الصالح والوديع من الآلام أكثر من المتمرد والفاجر.. فلا اهتداء إلى قانون أو مبدأ تتوزع الآلام بمقتضاه. لماذا؟...
لأن الخطية ملكت على الإنسان عوض الله!

وليس للخطية قانون... أو قُلْ إن قانون الخطية هو الظلم عينه، ونظامها هو عدم التكافؤ، ومبدأها الإستبداد!

فإن كان الإنسان قد اختار الخطية بهواه، فهل يلوم الله إن هو وقع تحت قانون الخطية الجائر؟

ولكن لكي لا يلوم الإنسان خالقه، حتى فيما آل إليه من الآلام الجائرة نتيجة لما أخطأ فيه بهواه، أرسل الله إبنه في جسد إنسان ليتألم بآلام الإنسان دون أن يكون مستحقاً للآلام!

ففي جثسيماني ــ وما بعد جثسيماني ــ تألم ابن الله وحزنت نفسه حتى الموت، ونزلت قطرات العرق تتصبب كقطرات الدم، وكأنها نازفة من جروح خفية!...

ونحن نسأل: إن كان الإنسان الخاطىء يتألم، ورُبَّ بعض الآلام جائرة، لأن هذا ناموس الخطية!...

وإن كان الإنسان الصالح يتألم بأكثر مما يتألم به الشرير، فناموس الخطية يحكمهما معاً، ولا تكافؤ في حكم الخطية!...

وإن كان الطفل البريء يتألم بما يتألم به الرجال، فهو مولود الخطية، والخطية لا تلد إلا الظلم والإستبداد.

ولكن ما بال المسيح يتألم بهذه الآلام الضاغطة وتحزن نفسه حزناً بليغاً حتى الموت؟، وهو مولود من الروح القدس ومن عذراء طاهرة، عاش بلا خطية وقال: «أنا هو الحق» (يو١٤: ٦)!!

أليس هذا معناه أن المسيح قبل ظلم الآلام وارتضى بحكمها المستبد؟ «بصراخ شديد ودموع» (٧)!

فإن وُجد إنسان ما يتألم ظلماً و يُغرَّم بأكثر من إثمه، فماذا نقول عن المسيح؟ إلا أنه بآلامه حمل طبيعة الظلم كله! و بأحزان نفسه الساحقة دفع غرامة الإثم كله! كما قيل في إشعياء النبي:

«أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها... ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلولاً!!

«وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه!...

«كلنا كغنم ضللنا، مِلْنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا!...

«ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه... على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش!

«أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم... سكب للموت نفسه» (٨).

ثم صار الألم هبة:

هكذا رفع الله ظلم الآلام وجورها وناموسها المستبد، لا برسالة، ولا بقانون، ولا برؤيا، ولا بملاك، ولكن بأن جاء كإنسان وتألم بالظلم عينه وخضع لناموس الإستبداد متذللاً لا يفتح فاه!...

والمسيح بقبوله الآلام على هذه الصورة رفع من قيمة الألم ذاته، فبعد أن كان استحقاقاً للخطية وعقاباً عليها صار ذبيحة حب وعمل فدية!... فانتهت بذلك إلى الأبد الرُبُط التي كانت تربط الآلام بالخطية، وما كانت تثيره في قلب الإنسان المتألم وفي ضميره وإحساساته النفسية من أنه تحت عقاب وانتقام!!... هذه الإحساسات التي كانت تهد من كيانه النفسي وتورّثه الهمَّ والقلق وأمراض الموت...

إذ صرنا ونحن في المسيح نتألم على مستوى آلام المسيح، لا عن استحقاق خطية،

---

(٧) عب ٥: ٧.　　(٨) راجع إش ٥٣.

بل شركة في آلام الحب والبذل والفدية...

فصار الألم ـ في المسيح ـ هبة على أي نوع كان!!...

«فليحمدوا الرب على رحمته ... لبني آدم...»(٩).

وشركة حب مع المسيح...

والمسيح لما وقع تحت الآلام الجائرة دون أن يكون مستحقاً للألم البتة، حوّل مفهوم الظلم في الآلام. فبدل أن كان المتألم ظلماً يرفع عينيه إلى السماء ليلوم الله أو يسترحمه، فلا يجد رداً أو جواباً أو تعزية، لأن الخطية حجبت الإنسان عن خالقه، وأغلقت على المتألم والمظلوم معاً في قسوة لتدفعهما دفعاً إلى الموت والهلاك، لأن هذا طريق الخطية ونهايتها، نقول بدلاً من ذلك أصبح المتألم ـ وقد صار حُرًّا من الخطية إلى الأبد في المسيح ـ لا يرى في تألمه شيئاً من الظلم مهما كانت آلامه ومهما كانت براءته... إذ يرى ويحس أنه لا يتألم قط ليفي شيئاً عليه أو ليكفر عن ذنب جناه. فأشد أنواع الآلام بل وكل آلام البشر إن تجمعت معاً لا تكفِّر عن خطية صغيرة، لأن الخطية خصومة مع الله وخروج من حضرته، والآلام هي عقابها ليس إلا... فإن وفّينا العقاب، مَنْ يصالح؟ وحتى إن دفعنا أجرة الخطية بالموت، من يحيينا و يُدخلنا إلى حضرة الله؟...

ولكن هوذا المسيح رفع الخطية وصالح وأحيا، و بذلك رفع صلة الآلام بالخطية المرعبة الذميمة... فلم تعد الآلام شركة في خطية آدم بل شركة في حب المسيح!...

إذن، فمهما تألمنا ـ ونحن في المسيح ـ واشتدت بنا الآلام، فنحن لا نتألم قط عن استحقاق أو غير استحقاق للألم ذاته، قلّ أو كثر، فالألم لم يعد تغريماً عن شيء ولا تكفيراً عن شيء، ولا عقاباً عن شيء! فالخطية التي كانت تسبب هذا التغرم وهذا التكفير وهذا العقاب بالآلام، رفعها المسيح بعد أن وَفَّى غرامتها وكفارتها وعقوبتها!

فصار الإنسان وكأنه يتألم مجاناً أو كأنه يتألم بلا سبب أو علة!

(٩) مز١٠٧: ٨.

نعم وهذه هي آلام المسيح عينها!!

وهذا هو طقس آلام الحب والبذل والفدية!!

أو هذه هي شركة الألوهة، لأننا «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (١٠).

ثم شركة في مجد القيامة وأفراحها:

فهل لنا أن نفهم الآن سر الكلمة القائلة: «لأنه قد وُهِبَ لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (١١)، فندرك أن الألم أصبح بالمسيح هبة بعد أن كان عقاباً...؟

وهِبَة الآلام التي ليست بسبب الخطية هي بالضرورة شركة في المجد.

فإذا التفتنا إلى كلمة يعقوب الرسول: «احسبوه كل فرح ياإخوتي حينما تقعون في تجارب **متنوعة**» (١٢)، ندرك أيضاً كيف أصبح كل ألم **مهما كان نوعه** مرتبطاً حتماً بالمسيح، وعلينا بالضرورة أن نقبله بالفرح شاكرين عالمين «أنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً» (١٣).

إذن فنحن لم نعد نتألم للخطية بل للمسيح، وكل ألم بدون المسيح هو خطية، وألم الخطية موت!

أما آلام الإنسان الذي يعيش مع المسيح فلا تُحسب أنها بسبب الخطية، هي ألم البر، هي فرح وسلام، «الآن أفرح في آلامي» (١٤)، هي شركة في ذبيحة المحبة العظمى التي قدمها يسوع بآلامه وأكملها بموته، «لأعرفه... وشركة آلامه متشبهاً بموته» (١٥).

---

(١٠) رو٨: ١٧.

(١١) في١: ٢٩.

(١٢) يع١: ٢.

(١٣) ٢كو١: ٥.

(١٤) كو١: ٢٤.

(١٥) في٣: ١٠.

إذن فكلما ازدادت آلامنا ونحن في المسيح، ازدادت بالحري شركتنا في هذه الذبيحة وتوثقت صلتنا بالقيامة وأفراحها...

وهكذا انقلب مفهوم الظلم في الآلام من الإستبدادية الهوجاء حسب ناموس الخطية الذي كان متسلطاً على العالم والإنسان إلى معيار جديد لهبة عظيمة واستحقاق للمجد وفرح القيامة «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت»(١٦).

و بطرس الرسول يتكلم في ذلك كمختبر «لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم»(١٧).

شكراً لله الآب والرب يسوع.
«فليحمدوا الرب على رحمته... لبني آدم...»(١٨).

* * *

أيها المتألمون تعزوا، لم تعد آلامكم بسبب خطية بل شركة في حب، في آلام جثسيماني!

أيها الحزانى والساكبي الدموع افرحوا، أحزانكم ليست للموت، هي في أحزان يسوع محفوظة للقيامة.

* * *

صلاة

يامن داس المعصرة وحده وانغرست فيه الآلام كسهام الموت...
أنا أدرك مقدار ما عانيت وحدك... وتلاميذك نيام.
اسمح وعرّفني ماذا أصنع أنا الآن من أجلك...

---

(١٦) رو٨: ٢. (١٧) ١بط٢: ١٩.
(١٨) مز١٠٧: ٨.

جثسيماني ماثلة أمامي وأنت جاثٍ بركبتيك على الأرض العراء،
وبالرغم من برد الليل كان عرقكً يتصبب كالدم...
ــ اقبلني اليوم جاثياً معك.
ــ واسمح واعتبر آلامي وأحزاني شركة متواضعة في آلامك...
ــ لقد رضيت أن تشرب الكأس عني.
ــ سوف أخدمك كل أيام حياتى...
ــ فقط عرِّفني كيف أكرمك...
طلبتَ من تلاميذك أن يسهروا و يصلوا معك ساعة واحدة... فناموا...
سأسهر وأصلي ولن أغفل عن ذكر آلامك في جثسيماني...
سأرددها بالشكر وعرفان الجميل كل أيام حياتي...



الفصل الثاني
في المحاكمة

براءة باتهام يسوع،
وحياة بموت يسوع.

دخل يهوذا بستان جثسيماني ليلاً، مع عساكر وخدام رئيس الكهنة بسيوف وعصي! وتقدم الخائن... وقبّل يسوع!... ثم ربطوا يسوع وقيدوه وساقوه للمحاكمة!

* * *

أليست هذه صورة لما حدث قديماً، حينما دخل الشيطان بستان الفردوس بخداع وخيانة الحية مُظهراً ودّه للإنسان كمحب نصوح، فأسقطه ثم ربطه بالخطية وقيده بسلطانها وساقه للدينونة والموت!

* * *

بعد مداولات كثيرة، في ارتباك، وفرح، وخوف، وهمّ ثقيل، وسرعة مخبّلة، استقر رأي رؤساء الكهنة بعد الرجوع إلى القوانين والتقليد وشهود الزور، أن تتلخص التهمة التي يحاكم المسيح بمقتضاها هكذا:

أولاًـ أنه ساوى نفسه بالله فهو مجدف(١)!

ثانياًـ أنه فاعل شر(٢).

* * *

أليست التهمة الأولى هي خطية آدم بعينها، أصل كل الخطايا!

وأليست التهمة الثانية هي خطية كل بني آدم!...

أولاً: فإن حُكِم على المسيح كمجدّف لأنه ساوى نفسه بالله وقبل الحكم ولم

---

(١) مت٢٦: ٦٥.   (٢) يو١٨: ٣٠.

يطعن فيه، ألا يكون قد قبل الحكم ليس عن نفسه بل عن آخر، ومن هو الآخر إلا آدم الذي ساوى نفسه بالله اختطافاً فاستحق هذا الحكم؟...

إذن قد تبرأ آدم باتهام يسوع.

وإن مات ابن الله تحت عقوبة هذا الحكم كمجدِّف، ورضى أن يموت فعلاً! ألا يكون قد مات ليس عن نفسه قطعاً بل عن آخر، **ومن هذا الآخر إلا آدم الذي مات فعلاً؟**

إذن فقد قبل آدم الحياة بموت يسوع.

ثانياً: إن حُكم على إبن الله كفاعل شر ـــ وهو القدوس ـــ وقبل هو هذا الحكم ولم يطعن فيه ألا يكون قد قبل الحكم ليس عن نفسه بل عن آخر، **ومن هذا الآخر إلا أنا وأنت؟.**

إذن فقد تبرأنا باتهام يسوع، نحن وكل من يؤمن أن الرب يسوع ابن الله الحي حكم عليه كفاعل شر وقبل الحكم عنا!!

وإن مات ابن الله تحت عقوبة هذا الحكم كفاعل شر ورضي أن يموت فعلاً... ألا يكون قد مات ليس عن نفسه قطعاً ولكن عني وعنك وعن كل فاعل شر آمن أن إبن الله القدوس قَبِل أن يموت كفاعل شر؟

إذن فنحن أحياء بموت يسوع.

وهكذا خرج الرب من بيت حنان وقيافا ثم من بلاط هيرودس ثم بيلاطس ومعه وثيقة تحوي في ظاهرها إتهاماً «وحكماً» بالموت على المدعو «يسوع» وهي في طياتها السرية أختام ملكية بإمضاء ابن الله ـــ كنائب عن البشر بالتجسد ـــ تحوي براءة آدم وكل الخطاة، مع وصية بإقامتهم من الموت، يصير تنفيذها على الصليب!



صـــلاة

القبض:

التلميذ الذي أكل خبزك وشرب تعليمك رفع عليك عقبه...
وبقبلة سلمك، فنجَّس المحبة...
بسيوف وعصي خرجوا عليك كأنهم يطاردون سارقاً...
واقتادوك مقيَّداً كمذنب وسط الجموع الحاشدة...
ـ الآن أتذكر وصيتك أن «اثبتوا في محبتي»...
ـ سأثبت في محبتك وأمانتك ولو بقيت عرياناً والعالم كله ضدي...
ـ سأنبذ منطق القوة، سأجحد السلاح وألقي العصي...
ـ وعوض منظر الذلة والعار، إقبل شهادتي بلاهوتك...
ـ واعترافي بربوبيتك جهاراً قدام كل الناس...

* * *

أمام رئيس الكهنة:

لطمك عبد رئيس الكهنة على خدك بعنف وامتهان و بلا سبب...
حكموا واستحضروا شهود الزور ولفقوا التهم...
كنتَ كالحمل الوديع وسط ذئاب يتحسسون منك موضع النهش،
وأنت ساكت وهم مسرورون بسكوتك...
أخرجوا القضية ملفقة والكل يعلم أنهم أسلموك حسداً، وأنت راضٍ بكل ما عملوه...
بصقوا في وجهك ولكموك، وآخرون لطموك، وقالوا تنبأ لنا من ضربك؟
وبطرس تشجع لما رأى أن الله لم ينقذك فأنكرك ولعن بقسم أنه لا يعرفك!...

ـ ها خدي ياسيدي أعرضه للطم ولا أمنعه عن العبد وعن الرئيس...
ـ ولن أجزع من العنف والإمتهان و يكفي أن أكون كسيدي...

ـ ها عهدي ياسيدي أن لا يتسرب الظلم إلى قلبي أو شهادة الزور إلى أذني...
ـ سأحفظ قلبي من النقمة، ولن أنجس شفتي باتهام باطل...
ـ سأختار الوداعة والسكوت، ولو أحسست بالخنجر في ظهري...
ـ ولن أدخل محاكمة إلا والرضى بما سيُحكم به يملأ نفسي...
ـ سأجعل وجهي كالصوان ولن أخزى من تشهير أو مذمة...
ـ وإن أنكرني أبي أو أخي أو إبني فسأصلي لكيلا يفنى إيمانه وإيماني...

* * *

أمام بيلاطس:

أسلموك للوالي، وعلا صراخهم، وهيجوا الشعب لينالوا ما أضمروا، وأنت هادىء إذ أضمرتَ لهم الغفران منذ البداية...
عروك وجلدوك إلى أن سالت الدماء على ظهرك... وضفروا الشوك وكللوك به وأنت صامت كملك.
وانحنوا أمامك ساجدين، ثم قاموا وضربوك بالقصبة على رأسك.
وأخيراً وضعوا الصليب عليك واقتادوك إلى الجلجثة...
ـ الآن علمت ياسيدي ثمن المناداة بالحق.
ـ وعرفت معنى الإحتمال، وأدركت طريق الإتضاع...
ـ سأحتفظ لخصمي بالغفران والصفح، مهما أضمر ضدي...
ـ سأترك ظهري لأعدائي وأثبّت قلبي نحو الجلجثة...
ـ وسأحني كرامتي وعزة نفسي لمضفري الشوك والضاربين على الرأس...
ـ وسأحمل صليبي بغير تذمر وأسير خلفك صامتاً مثلك.



الفصل الثالث

في الموضع الذي يُقال له جلجثة

□ شركة في آلامه حولت الخطية
إلى توبة وإلى كرازة...

فخرج وهو حامل صليبه... إلى موضع الجمجمة و يُقال له بالعبرانية جلجثة!... وصلبوه هناك!...

* * *

منظر لا يجوز لنا أن نتصوره بمشاعر الحزن خلواً من هيبة ألوهيته ومجد قيامته وفرحة لقياه! لقد أخطأتْ بنات أورشليم إذ بَكَين عليه!... فسمعن منه هذا القول: «لا تبكين عليَّ بل إبكين على أنفسكن وعلى أولادكن» (لو٢٣: ٢٨)...

ولكن لا نستطيع أبداً أن نتصور الصليب بمشاعر الفرح **خلواً من حزن شديد!**... وإلا نكون قد فقدنا معنى الصليب ونسينا تطهير خطايانا الأولى، وصرنا كواحد من أهل العالم الذين شاهدوا صلب يسوع باستهزاء وعدم مبالاة...

«الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح» (يو١٦: ٢٠)... نحن لا نبكي كإحدى الجاهلات اللاتى كن ينظرن إلى الرب كإنسان يموت عن نفسه... ولا نفرح مع العالم اللاهي لئلا نكون بشبه الصالبين!!

* * *

نحن تقابلنا مع المسيح في جثسيماني وقلنا إن شركة الآلام هي تقابل ما بعده تقابل... وتأكدنا أنه منذ تلك الساعة صارت آلامنا تحسب مع آلام المسيح ذبيحة حب وفرح وشركة في مجد الألوهة. فما بالنا نقول الآن أنه ينبغي أن نتألم ونحزن ونبكي؟...

نقطة التلاقي الأولى: ألم الصليب:

نعم يجب أن نلتقي مع الصليب ففيه مذخر لنا حزن واكتئاب كثير... لأن لنا فيه مصدر تبكيت بسبب خطايانا الحاضرة... من ذا يستطيع أن يدنو من الصليب ولا يحس بخطاياه و ينظرها أمامه حاضرة؟

نحن لا نبكي المسيح على الصليب... بل نبكي أنفسنا التي لم تنتفع بعد من عار الصليب وعذاب المسيح!

نحن لا نتألم لأن المسيح تألم!... ولكننا نتألم لأن المسيح تألم ونحن لا زلنا نلهو...

نحن لا نحزن لأن المسيح شرب المر على الصليب!... ولكننا نحزن لأننا لم نرعوِ ولم نعتبر ذلك، ولا زلنا نشرب من ملذات الدنيا...

نحن لا نجزع حينما نتصور كيف ضغطوا **إكليل** الشوك على رأس المسيح وانغرست أشواكه في رأسه وجبهته وسال الدم من هنا ومن هنا إمعاناً في احتقار **ملوكيته**!... ولكننا نجزع حينما نتصور ذلك ونحن لا نزال نسعى وراء أمجاد الدنيا وتكريم الوظيفة وعلو الدرجات!

نحن لا نرتعب من منظر المسامير وهي تُدق في اليدين والرجلين على الخشبة!... بل نرتعب لما نذكر ذلك ونتذكر كيف امتدت أيدينا للسرقة والرشوة وإمضاء الزور والإساءة إلى الأبرياء... ولا تزال تمتد!...

هذه هي شركة آلامنا في الصليب حيث يصير الصليب خشبة تبكيت وآلام ومصدر حزن توبة للحياة...

«الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة... لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشىء توبة لخلاص بلا ندامة» (١).

---

(١) ٢ كو ٧: ٩و١٠.

كذلك نحن مدعوون أن نكون شركاء في آلام المسيح، لا بمعنى أن نحمل عنه آلامه أو نشاطره أحزانه ـــ إذ هذا تفسير جَدّ خاطىء ـــ بل بمعنى أن نكون مستعدين أن نقبل مثله ألم الرسالة واضطهاد الحق وضيق الكرازة، في كل ما يأتي علينا، حيث تُحسب لنا هذه كلها كتكميل لآلام المسيح، أو كاشتراك بنصيب متواضع في أحزان الصليب... «أكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة»(٢).

إذن في ذكرى آلامه نحن مدعوون لا أن نبكي عليه بل أن نبكي معه بأن نحمل صليبنا ونتبعه، ونضيف آلامنا على آلامه!...

وحينما تقرأ الكنيسة أناجيل الصلب بنغمة الحزن فلنتذكر أننا مدعوون أن نسير سيره ونُهان إهانته ونُطرد مثله ونخرج «حاملين عاره» (عب١٣: ١٣)...

هكذا نتألم وهكذا نعرف آلام المسيح وعار الصليب...
فهي إما تنشىء فينا حزناً للتوبة والخلاص،
وإما تنشىء فينا حزناً على الخراف الضائعة.

نقطة التلاقي الثانية: فرح الصليب:

هي ليست نقطة ثانية، لأنها كائنة بالأولى، فشركة آلامنا في الصليب قائمة أساساً على الفرح والعزاء...

فنحن إما نحزن ونتألم للتوبة، وأحزان التوبة تنشىء فرحاً ما بعده فرح، فالكتاب يصفه أنه «بلا ندامة» لأنه فرحة اللقيا بوجه المسيح لقيامة وحياة في الخلود... وإما نحزن ونتألم في الخدمة والكرازة، وأحزان الكرازة عزاء ما بعده عزاء لأنه تكميل لرسالة الصليب وبها نؤهل أن نكون من التلاميذ أو التابعين... «قد **امتلأت** تعزية، وازددت

(٢) كو١: ٢٤.

فرحاً جداً في جميع ضيقاتنا، لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة، بل كنا مكتئبين في كل شيء، من خارج خصومات، من داخل مخاوف، لكن الذي يعزي المتضعين عزانا... بسببكم» (٣).

* * *

أعماق:

وكما أن آلام الصليب لا يبلغ أعماقها إنسان، مهما كانت توبته قوية أو مهما كانت خدمته دامية... فأفراح الصليب قائمة بهذه النسبة عينها. وكل ما نعرفه أنه كلما ازدادت آلام الصليب في حياتنا ازدادت التعزية بالضرورة... «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً» (٤).

وليدرك القارىء أن النسبة مطلقة... إن في الألم أو في الفرح فلا ينزعج من الألم إذا كثر وتجاوز الحد فليس للألم حدود... ولكن عليه أن يدرك أن عدم محدودية الألم هي عينها التي تنشىء فرحاً لا يُنطق به ومجيداً!...

فإن كانت آلامنا هي بلا حدود، فلكي تكون أفراحنا بلا حدود... ونحن الرابحون...

وإن كانت الآلام الشديدة تنشىء إحساساً بالموت، فالإحساس بالموت ينشىء إحساساً بحياة المجد.

ولكن لينتبه القارىء جداً لأنه إذا لم ينشىء الألم فرحاً ملازماً وعزاءً حاضراً، فليدرك أنه يتألم خارج آلام المسيح! و يكون متغرباً عن شركة آلام الحياة.

إحذر أيها القارىء أن تقبل ألماً لا تجد فيه عزاءً، لأنه هو هو ألم الخطية الذي يورّثك الهم والقلق والحزن المفسد الذي ينتهي بك إلى المرض والهلاك... فإذا أوقدت شمعة الضمير وفتّشت في أعماق هذا الألم الخبيث تجده ولابد متسبباً عن شيء في الذات، إما

---

(٣) ٢ كو٧: ٤ــ٧. (٤) ٢ كو١: ٥.

أنـانـيـة، أو بغضة، أو حسداً، أو حقداً، أو كبر ياء، أو خوفاً من الموت. وهذه الجذور سامة تغذي الذات بعصير الآلام المفسدة.

وآعلمْ أنه ليس في المسيح ألم بلا تعزية، ولا عزاءٌ بلا ألم...

فقد زرع المسيح جسده في وسط الآلام، وأخرج لنا منها ثمرة مبهجة للحياة...

«فليحمدوا الرب على رحمته لبني آدم»...

يـاإخـوة لا تتألموا خُلْواً من فرح، كبنات أورشليم الجاهلات... ولا تفرحوا خُلْواً من الآلام، كالصالبين أو كأحد المستهزئين...

* * *

السلام للصليب قوة التوبة لخلاص بلا ندامة...
السلام للصليب قوة الكرازة وعزاء الرعاية...

* * *

صـــلاة

آلام... نزيف... عطش... دوار وغصة وتسليم الروح.
وأخيراً وقعت حبة الحنطة بإرادتها وماتت!
ـــ الآن عرفت معنى المحبة...
ـــ ومعنى الغلبة على العالم...
ـــ أقدم لك ياسيدي قوتي إكراماً لجروحك النازفة...
ـــ وصحتي وشبابي أضعها تحت قدميك الداميتين...
ـــ ومالي أضعه في يديك المجروحتين...
ـــ سأصوم إكراماً لعطشك...
ـــ سأفرح في أمراضي إكراماً لآلامك...
ـــ سأبذل حياتي لذكرى موتك...
ـــ سأبذلها في الخفاء، وعند الضرورة في العلن...

الفصل الرابع

ونكس رأسه وأسلم الروح

(يو١٩ : ٣٠)

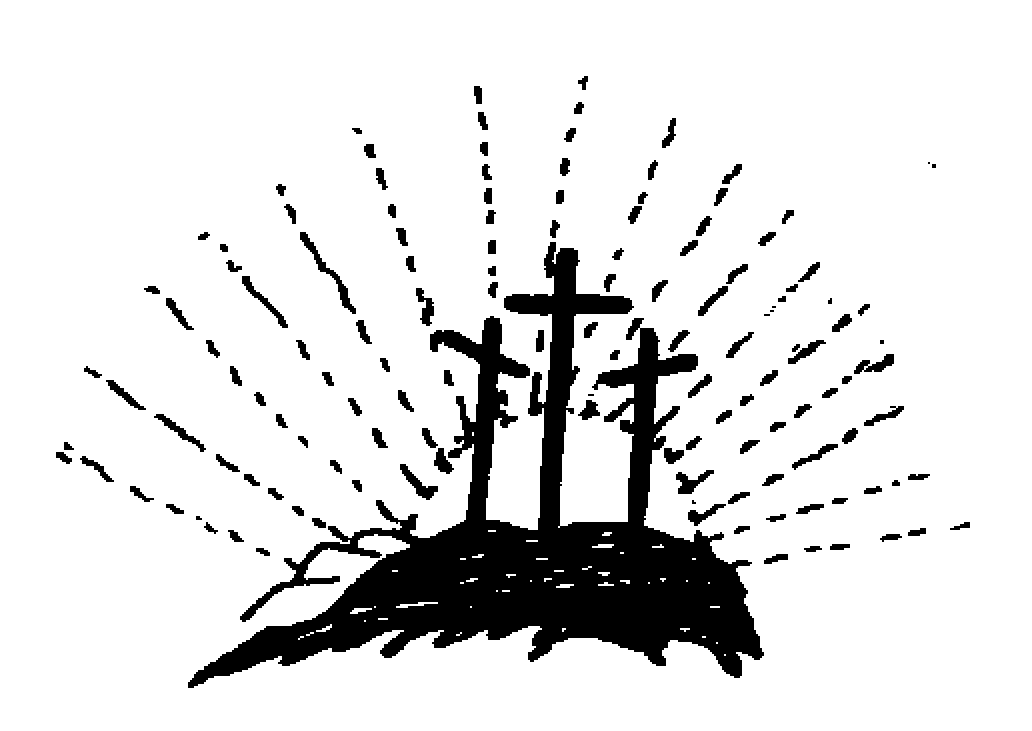
غلبـة على العالـم والخطيـة

أما يسوع فلما جاءوا إليه... رأوه قد مات.
لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء.

* * *

في الأيقونة القبطية التي تصوِّر الصلبوت، لوحظ أن في أسفل الصورة وتحت رجلي المسيح كان الرسام القبطي يضع حرف ϭ (تشيا). وقد عجز علماء الأيقونات أن يفسروا هذا الحرف، وإلى أي شيء يرمز، إلى أن وُجدت أيقونة تحمل في أسفلها الكلمة ϭPO التي تبدأ بالحرف المذكور ومعناها باللغة القبطية «غالب»، وهي اختصار لمفهوم آية وردت في سفر الرؤيا «وخرج غالباً ولكي يغلب» (١)...

هكذا يوجهنا التقليد الطقسي كيف ننظر إلى المسيح كملك وهو في أشد حالات الذلة والعار والهوان!! مُعلَّقاً على خشبة الصليب، يتألم بآلام الموت حتى أسلم الروح... غالباً العالم، والخطية، والموت...



---

(١) رؤ٦ : ٢.

أولاً: غلبة العالم

ثقوا أنا قد غلبت العالم:

القديس يوحنا الرسول يسجل في رسالته الأولى مفهوماً واضحاً عن العالم المغلوب للمسيح: «كل ما في العالم شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة»(١).

إذن، فالعالم المغلوب للمسيح ليس هو الأشياء التي فيه أو الناس، بل حركة الفساد وتيار الإثم الخفي الذي ينسكب على العالم من مصدر الفساد والإثم، إبليس رئيس عالم الخطية أو رئيس العالم الخاطىء!... لذلك يكمل القديس يوحنا قائلاً: «ليس من الآب بل من العالم».

والمسيح قال: «أنا لست من العالم»(٢)، لأنه لم يكن يصنع إلا مشيئة الآب!... فقال مرة: «من منكم يبكتني على خطية»(٣)، وقال مرة أخرى: «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء»(٤).

هكذا غلب يسوع العالم ورئيس العالم، **وإكليل** الشوك الذي **توَّجه** به العالم يوم صلبوته شهادة أعظم شهادة أنه لم يمالىء، ولم يكذب، ولم يجبن، ولم يخشَ سطوة رؤساء الكهنة، ولا عمل حساباً لخبث الكهنة ورياء الفريسيين، بل ما توانى عن أن يفضح ديانتهم الريائية التي تخفي بمظاهرها اختطافاً، وخبثاً، وتجاوزاً عن الحق، والرحمة، ومحبة الله، والإيمان.

لم يتقابل المسيح مع العالم في نقطة إلا واصطدم بها كاشفاً الحق من تحت أغطية التعاليم الكاذبة والتقاليد الخاطئة، وقد اصطدم المسيح بكل نقط العالم السوداء...

---

(١) ١يو٢: ١٦.
(٢) يو١٧: ١٤.
(٣) يو٨: ٤٦.
(٤) يو١٤: ٣٠.

لذلك تضافرت كل جهود السلطات والهيئات التابعة «لهذا العالم» عالم الخطيئة، على صَلبه!...

لذلك بقدر ما في الصليب وآلام الموت من عار وذل وهوان، بقدر ما في ذلك شهادة على غلبة المسيح على العالم.

فالعار والذل والهوان، كأس يمزجه العالم حتماً لكل خارج عليه: «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم»(٥)!

خارج المحلة:

وقف بولس الرسول عند منظر المسيح وهو خارج من باب أورشليم حاملاً صليب العار، فتذكر بالروح منظر ذبيحة الخطية كيف كانت تُحمل خارج المحلة لتُحرق بعيداً... فاضطرم المنظر في قلبه كالنار وأحس بضرورة أن نشاركه هذا الخروج عينه!... «فلنخرج إذن إليه خارج المحلة»(٦).

ولكن الخروج إلى المسيح خروج على العالم بالضرورة... يلزم أن نستعد أن نخرج إليه «حاملين عاره»، مستعدين أن نشرب من ذات كأس العالم الممزوج للمسيح!...

صعب... وأيضاً أقول صعب... ولكن هذا الوعد يشجعنا: «من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه»(٧).

حاملين عاره:

لقد استطاع «الناس» حديثاً أن يتغلبوا على عار الصليب، فبعضهم أخفوه إما من إسمهم، وإما من صدرهم، وإما من على يدهم وهؤلاء يهون أمرهم. و بعضهم أخفوه

---

(٥) يو١٥: ١٩.   (٦) عب١٣: ١٣.
(٧) رؤ٣: ٢١.

إما من فهم، وإما من قلبهم، وهؤلاء بئس ما هؤلاء!... و بعضهم لم يخفوه، ولكنهم أعلنوه تحت إلزام وضرورة، هؤلاء تغلبوا على عار الصليب بأن جعلوه من ذهب، ورصعوه بفصوص جميلة ملونة، وتحايلوا على شكله «كعلامة تقاوم» (لو٢: ٣٤) حتى جعلوه تحفة فنية!! لكي يزول عنه عاره و يصير له بواسطة الذهب والفصوص الملونة كرامة... فأصبح الصليب قطعة للزينة ومقياساً للغنى والجاه والسلطان!

هذا ــ في الواقع ــ تعبير ضمني عن مدى تنكُّرنا لحقيقة عار المسيح، وهذا يكشف ــ بلا مراء ــ عن نفسية منهارة عاجزة عن مواجهة العالم بحقيقة المسيح كإله **مصلوب!**

ولكن ليس بعد... فيسوع إلهنا صُلب، وصُلب على خشبة مجردة، ولم يُصلب بكرامة، بل صُلب بفضيحة عظيمة، وبمذلة وعار كثير، شهادة ضد تعظم العالم وكبرياء الإنسان وأمجاد الدنيا!... حتى من هذا الباب الضيق عينه ندخل، وعلى هذا الطريق الكرب ذاته نسير... هو قصد في نفسه ذلك قصداً وتعمَّده لنفسه تعمداً، فجعل الصليب مأزقاً للنفس المتكبرة العاتية، وجعل الخلاص لا يتم إطلاقاً إلا عن طريق الإيمان بإله مصلوب!، ليكون محكاً جارحاً لعزة الإنسانية وتحطيماً لتشامخ ابن آدم... ليس انتقاماً بل ضماناً ــ وأي ضمان ــ للنصرة على الذات التي تستمد شهوتها من العالم وتتغذى على الكبرياء...

لقد كان المسيح يعلم أية ميتة شنيعة سيموت، وأشار إليها علانية «تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان **يُسلَّم ليُصلب**»[٨].

لذلك كان يعلم تماماً أن طريقة خلاصنا ــ موته على صليب ــ ستكون نقطة حرجة في الإيمان، حجر صدمة، صخرة شك للبشرية المتعجرفة الساقطة بكبريائها، وستكون سبب **خزي وارتداد** لكثيرين ممن يشفقون على كرامتهم ولمن يطلبون مجد الدنيا ولمن يخشون بأسها... ولكن «الذي يؤمن به لا يخزى»[٩]. لهؤلاء جميعاً قال الرب: «ماذا ينتفع الإنسان **لو ربح العالم كله** وأهلك نفسه أو خسرها لأن من

(٨) مت٢٦: ٢.
(٩) رو٩: ٣٣.

استحى بي و بكلامي فبهذا يستحي إبن الإنسان متى جاء»(١٠).

إن كنا طالبين كرامات، ما لنا وعار الصليب؟
إن كنا طالبين مجد الناس، ما لنا والإيمان بإله مصلوب؟
ولكن إن كنا نظن أنه يمكننا التوسط في الأمور فنعرج بين الفرقتين لنكسب مجد الدنيا وكرامة الوظيفة ومجد المسيح وكرامة القديسين فهذا غش، الذي يحاول أن يدخل إلى حظيرة المسيح من مكان آخر غير عار الصليب هو سارق ولص!...
لا تعبدوا ربين!!
الله واحد هو...

إن وحدة اللاهوت هي من وجهة نظر عملية أن يكون الله وحده هو معبودنا الحقيقي! ماذا ننتفع إن كنا نثبت وحدانية الله بالبرهان الجدلي والمنطق الفلسفي، ثم نخفق أن نحقق وحدانية الله في حياتنا؟

إن كنا نشتهي شيئاً غير الله أو نخاف شيئاً غير الله، فآلهتنا كثيرة.
«هذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا...
«من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع (المصلوب) هو ابن الله»(١١)!

* * *

ولكن الغلبة على العالم لا تتم بمجرد رفضنا لتيار الإثم الذي يسري في كل ركن من أركان الدنيا... ولا تتم بحفظ أنفسنا من دنس العالم...

وإنما تكمل حقاً حينما نتقبل كل الآلام التي يصدمنا بها العالم نتيجة لسلوكنا هذا. حينئذ نستحق أن يرسم على جبهتنا σ .

---

(١٠) لو٩: ٢٥و٢٦.

(١١) ١يو٥: ٤و٥.

ثانياً: غلبـــة الخطيـــة

كـان الـتـجـسـد الإلهـي هـو المرحلـة الأخيرة والحرجة لتاريخ الخطية في العالم... وكانت آلام الصليب، حسابها الأخير...

ولما نكّس الرأس وأسلم الروح «أبطل الخَطية بذبيحة نفسه» (١٢) ... «قد أكمل» (١٣).

* * *

ولكن لكي نفهم كيف غلب المسيح الخطية، أو بالحري لكي نغلب الخطية مع المسيح، يلزمنا أن نعبر عبوراً سريعاً على **مراحل الخطية التي مرت فيها بالنسبة للعالم وهي عينها التي يمر فيها كل إنسان...**

المرحلة الأولى:

هي مرحلة آدم، وفيها دخلت الخطية إلى عالم الإنسان... أما ما هي الخطية، فنحن نعد القارىء أننا نعود إلى ذلك بالبحث في رسالة أخرى إن شاء الله...

ولكن بصدد الصليب نستطيع أن نقول: إن الخطية دخلت عالم الإنسان خلسة، فلم يكتشفها آدم وإنما اكتشف آثارها، فعلم أنه قد أخطأ لما أبصر نفسه عرياناً...

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة ما قبل الناموس أي من آدم إلى موسى...

في هذه المرحلة ظلت الخطية تعمل في العالم من داخل طبيعة الإنسان، كما يفعل الميكروب العنيد في جسد الإنسان فيعاني آثاره دون أن يكتشفه، إذ أن الخطية لم تكن قد عُرفت، لذلك يقول بولس الرسول إنها لم تكن محسوبة «على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس» (١٤). فالإنسان لم يكن قد تلقى بعد **معرفة** أعلى من معرفته الطبيعية،

---

(١٢) عب ٩: ٢٦.　　(١٣) يو ١٩: ٣٠.

(١٤) رو ٥: ١٣.

حتى يكتشف بها عنصر الخطية المختفي في صميم طبيعته.

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة الناموس (الوصاية الإلهية)، وهذه امتدت من موسى حتى مجيء المسيح. وفي هذه المرحلة ابتدأ عمل التدبير الإلهي ضد الخطية بصورة جدية. أما عمل الناموس بالنسبة للخطية فيلخصه بولس الرسول في قول مختصر: «**بالناموس معرفة الخطيئة**» (١٥).

كانت الخطية قبل الناموس طاقة مخربة كامنة في الطبيعة البشرية، فاعليتها شديدة وناشطة ولكن غير محصورة، غير مفروزة، فكانت الخطية تعمل في الإنسان دون أن يدرك الإنسان (عموماً) أنه يفعل الخطية «بدون الناموس الخطية ميتة» (١٦).

وعمل الناموس هو أن يدفع هذه الطاقة المخربة الكامنة ويجبرها على الظهور على هيأة فعل محدود ـــ تنهى عنه الوصية وتحذّر من فعله ـــ والوصية كما يقول بولس الرسول: «مقدسة وعادلة وصالحة» (١٧)؛ فلما تعدى الإنسان على الوصية انكشفت في الحال الطاقة الخبيثة المتسيطرة على طبيعة الإنسان كطاقة ضد القداسة وضد العدل وضد الصلاح!!...

إذن ـــ بمنتهى الإختصار ـــ نقول إن الناموس كَشَف الخطية... وأفرزها كعنصر مقاوم لله، أو في واقعها الوجداني عداوة لله!!

ثم امتد اختصاص الناموس في كشف أصول الخطية وفروعها وذلك بتعدد الوصايا وتنوعها وتفرعها وتدقيقها، حتى حصر كل اتجاهاتها وكل فاعليتها وكل نشاطها الذي كان مختفياً ومنبثاً في طبيعة الإنسان، فأخرجها إلى حيز المعرفة وسجلها عملياً بالتعدي على الوصايا...

وبقدر ما كشف الناموس الخطية بقدر ما اتضح أمام الإنسان خطورة عملها في الإنسان، «لكي تصير الخطية خاطئة جداً» (١٨)... إذ اتضح تشابكها وتفرُّعها وتولُّدها

---

(١٥) رو٣: ٢٠.

(١٦) رو٧: ٨.

(١٧) رو٧: ١٢.

(١٨) رو٧: ١٣.

بعضها من بعض بشكل مرعب ومذهل للعقل. وظهرت حقيقتها كحلقة مُحكَمة أحاطت برقبة الإنسان تجذبه بلا هوادة إلى حتفه... بهذا الشعور عينه نظر بولس الرسول إلى هذه الحقيقة: «ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت» (١٩).

ثم نطق بآية هي أعظم ما يمكن أن يبلغه شعور الإنسان حينما يعرف وصايا الله و يفهم الحق وهو لم يأخذ بعد نعمة الله وهبة الخلاص: «عاشت الخطية فمُتُّ أنا» (٢٠).

المرحلة الرابعة:

وهي المرحلة الحرجة والأخيرة في تاريخ الخطية بالنسبة للإنسان!

في رسالة رومية نقرأ هكذا: «لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن» (٢١). إذن فالناموس كان في الواقع يمهد للمسيح، فكان عليه أن يُخضع من كبرياء الإنسان إذ يعرِّفه بالخطية الساكنة فيه وكيف صار عبداً لها وعدواً لله: «كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح» (٢٢).

ولكن ظهر عجز الناموس وضعفه في حادثة دمشق مع شاول الطرسوسي رجل الناموس والفريسي الأول، حينما أدرك فجأة أنه بالناموس و بالغيرة على الناموس اضطهد المسيح وقاوم الحق وقتل القديسين...

وهكذا لما تقبَّل شاول المعرفة الجديدة، المتركزة في شخص يسوع، اكتشف بهذه المعرفة شناعة الخطية التي لم يكن الناموس كافياً لكشف طبيعتها، كيف كانت كامنة فيه متركزة جذرياً في طبيعته حتى استطاعت أن تطغى على عقله ووجدانه فجعلته يستخدم الناموس والغيرة على الناموس استخداماً عكسياً!! الأمر الذي لما اكتشفه فقد ثقته نهائياً في بر الناموس...

* * *

---

(١٩) رو٧: ٢٤. (٢٠) رو٧: ٩.

(٢١) رو١٠: ٤. (٢٢) غل٣: ٢٤.

ـــ أيها القارىء إحذر أن تقع فيا وقع فيه شاول فتطغى عليك الخطية بخداعها دون أن تحسها، فتظهر لك بصورة غيرة على الناموس وعلى الحق أو الإيمان أو الواجب أو النظام أو الكنيسة أو الكرامة وتدفعك أن تضطهد إنساناً.

أُذكرْ شاول، كيف بإخلاص نية و بغيرة «مقدسة» وكدفاع عن «الحق» وكطاعة لرؤساء الكهنة، اضطهد المسيح وأذل القديسين وسفك دم الأبر ياء!

واذكر الحسرة والندم وعذاب الضمير الذي ما تركه قط حتى آخر لحظة في حياته: «اضطهدتُ كنيسة الله» (٢٣)!؟

لقد كان صادقاً جداً حينا قال هذا الرسول: «لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني» (٢٤).

* * *

وعند باب دمشق ألقى شاول المدعو بولس ـــ وألقى معه كل إنسان ـــ الناموس كسلاح للحق، وألقاه إلى الأبد...

ذلك لما تيقن أن الخطية أمكنها أن تستخدم حتى الناموس ضد الله. إذن فقد مهد الناموس فقط لعمل المسيح تجاه الخطية إذ بعدما حصر أعمالها حصراً كاملاً، وأظهر سلطانها على الإنسان عاد في حادثة شاول عند باب دمشق وأثبت أنه ـــ أي الناموس ـــ قد أنهى مهمته ضد الخطية...

وفي ذلك نرى الناموس وكأنما قد قبض على الخطية متلبسة بآخر جريمة لها (استخدام الحق ضد الحق) مع كل جرائمها العملية السابقة في طبيعة الإنسان، وقدمها للمسيح للحكم والدينونة...

*

---

(٢٣) ١ كو١٥: ٩.

(٢٤) رو٧: ١١.

عمل المسيح تجاه الخطية

أما عمل المسيح تجاه الخطية فكان على درجتين:

الأولى: دينونة الخطية.

والثانية: إبطالها!

والصليب في الواقع يختص بإبطالها، ولكن يتحتم علينا أن نعرض كيف دانها حتى نفهم بل نشترك في إبطالها!

أولاً: دينونة الخطية بحياته:

نقرأ في رسالة رومية: «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل إبنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، **دان الخطية في** الجسد» (٢٥).

لقد استطاع الناموس أن يعرض أعمال الخطية وسلطانها في الإنسان وسلوكه الذي سماه بولس الرسول: «**ناموس الخطية**» (٢٦). لذلك كان العمل الأول للسيد المسيح أن يدين ناموس الخطية، أي يحكم بغشه وكذبه و يثبت أن ناموس الخطية العامل في أعضاء الإنسان ليس هومن الله ولا هومن طبيعة الإنسان أصلاً.

وكيف يكون ذلك؟

كيف يحكم المسيح بغش عمل الخطية و يدين أفعالها التي يفعلها الإنسان ولا يستطيع أن يفعل أفضل منها حتى تهيأ للإنسان كأن الخطية من طبيعة الإنسان؟

كان على المسيح لكي يدين الخطية أن يعمل، يعمل أعمال أبيه، يعمل أعمال الإنسان الذي يحيا بلا خطية ولا يوجد في فه غش... وهذه الأعمال عينها تكون من تلقاء ذاتها ضد الخطية وتصير هي نفسها ناموساً تُدان به الخطية و يُحكم به عليها...

---

(٢٥) رو٨:٣.　　(٢٦) رو٧:٢٣.

فإذا أردت أن تعرف كيف دان المسيح الخطية أُنظر إلى أعماله. كيف دان الكبرياء باتضاعه، كيف دان البغضة بحبه، كيف دان النجاسة بطهره، كيف دان الغضب بحِلمه، كيف دان الكذب والرياء والنفاق بصدقه وصراحته وشجاعته، كيف دان شهوة المال والتنعم بفقره وعوزه... ثم انظر كيف دان القسوة والظلم والخيانة والتلفيق باحتماله وصفحه وغفرانه!!...

ثم ماذا؟ إنه تعوزني صفحات كثيرة لأعرض ناموس المسيح بأصوله وفروعه الذي هو القانون الأساسي الذي دان الخطية بمقتضاه...

ثلاث سنوات ونيف استغرقها السيد المسيح في قضية خطية الإنسان فنَّد ناموسها بنداً بنداً بناموس مضاد بنداً بنداً، حتى أثبت عوارها وكشف للعالم كله أنه كالمسيح هكذا يجب أن يكون كل إنسان، وهكذا يجب أن يعيش ويحيا، لأنه لهذا خَلق الإنسان، وهكذا خُلق الإنسان!...

إذن فرسالة المسيح الأولى ضد الخطية كانت ليقول الحق و يعمله حتى يحرر الإنسان من الجهل الفكري والخطأ السلوكي... وفي هذا كمال دينونة الخطية...

ـ «لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم» [٢٧].

ـ «لو لم أكن قد جئت **وكلمتهم** لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم» [٢٨].

ـ «لو لم أكن قد **عملت** بينهم **أعمالاً لم يعملها أحد غيري** لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي» [٢٩].

ثانياً: إبطال الخطية بموته:

«قد أُظهِر... ليُبطِل الخطية بذبيحة نفسه» [٣٠].

---

(٢٧) يو٩: ٣٩.

(٢٨) يو١٥: ٢٢.

(٢٩) يو١٥: ٢٤.

(٣٠) عب٩: ٢٦.

الذي استطاع أن تكون حياته دينونة للخطية، جعل موته إبطالاً لها بلا نزاع...

ولكي نفهم ونشترك في كيف أبطل المسيح الخطية يلزم أن ندخل في دائرة موته. أي ندرك عمل الصليب وعمل الدم.

خطأ إذا نحن نظرنا إلى الصليب من على بعد، أو فكَّرنا في المسيح مصلوباً من خلال التاريخ... حيث لا نرى إلا حادثة، نتصور فيها نوعاً من التضحية وشيئاً من الفدية، وكأنها لا تمتُّ إلينا بصلة.

ولكن نتوسل إلى الروح القدس ليأخذ من المسيح و يعطينا لندرك حقيقة المسيح مصلوباً فينا، فنتعلم مع أهل غلاطية أن لا يفارقنا هذا النظر الباطني قط: «أيها الغلاطيون... أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» (٣١).

وهنا فليلاحظ القارىء كلمة «مصلوباً»، لأنها تفيد معنى الديمومة في الحاضر.
وهكذا بواسطة الشركة السرية في المسيح المصلوب بعمل الروح القدس، ندخل إلى دائرة موت الرب فندرك أسرار «أبطل الخطية بذبيحة نفسه»، لنحيا أيضاً في قوتها... نعم يلزمنا تجربة توما على مستوى صوفي فنحيا و يدنا على المسيح هكذا:

«هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (٣٢).

عمــل الــدم:

خطأ إن كنا نظنه دماً «سُفك» وانتهى واحتفظ لنا التاريخ منه بالفعل الماضي.
فنحن إزاء جوهر الإيمان والعقيدة الأرثوذكسية معاً...
فالدم حي لأنه إلهي، هو مسفوك ليظل هكذا... عهداً جديداً دائماً أبدياً، بيننا

---

(٣١) غل٣: ١.　　(٣٢) يو٢٠: ٢٧.

و بين الرب المصلوب الذي رآه يوحنا في سفر الرؤ يا خروفاً قائماً كأنه مذبوح...

والكنيسة تقدمه كل يوم جديداً كما كان وكذلك يكون من جيل إلى جيل وإلى أبد الآبدين!

«كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح» (٣٣).
فالدم في الإيمان المسيحي يعبِّر عن شخص المسيح في حالته بعد القيامة...
«متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح... **بالإيمان بدمه**» (٣٤).
«ونحن **متبررون الآن بدمه، نخلص به** من الغضب» (٣٥).
كذلك عمل المسيح عموماً يمكن أن يعبِّر عنه عمل الدم وحده:
«ولكن الآن **في المسيح يسوع أنتم** الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم **قريبين بدم المسيح**» (٣٦).

هكذا نتحقق أن الدم هو في الواقع تعبير عن شخص المسيح المصلوب والقائم من الأموات، وهذا خلاصة الإيمان ومحور العقيدة.

إذن فلينتبه القارىء حينما يسمع كلمة «الدم» فهي تفيد واقعياً **الحضرة الإلهية!...**

لذلك حينما يصرخ الكاهن: «الجسد المقدس والدم الكريم» يسجد الإكليروس وكل الشعب!!

ومن هنا تبرز حقيقة الصليب لتتخذ صفة الوجود المستمر...

كذلك نرى أن نربط أمام القارىء بين القيامة والصلب، فقوة القيامة ومجدها تنعكس على الصليب والدم فتغطيها بالمهابة والجلال، كالسحابة النيرة التي غطت المسيح على الجبل المقدس فجعلت وجهه لامعاً كالشمس وثيابه بيضاء كالنور...

---

(٣٣) ١ كو١٠: ١٦.
(٣٤) رو٣: ٢٤، ٢٥.
(٣٥) رو٥: ٩.
(٣٦) أف٢: ١٣.

هكذا بالقيامة نرى الصليب والدم في حالة تجلي!...

إن الصليب لم يعد خشبة أو علامة أو آلة موت بل حقيقة حية إلهية نيرة.

يوجد في «كتالوج» المتحف القبطي صورة قبطية أثرية فيها يظهر الصليب وقد اخضرت خشبته وأخرجت أوراقاً وعناقيد عنب... هذا في الواقع إحساس روحي تصوفي غاية في العمق، فالصليب أصبح حقيقة حية تعيش فينا أو بالحري نعيش فيها، لقد مد الصليب جذوره في تربة الإنسان الحزينة فامتصت آلامه وحولتها في المسيح إلى عصارة حياة، فأورقت وأخرجت عناقيد الفرح والبهجة والخلاص، عصيرها نشربه دماً حياً، دم الصليب: «بدم صليبه»[37]. **فصرنا أغصاناً في كرمة مصلوبة، دمها يتحول فينا إلى قيامة وحياة...**

إذن فإن كنا سنتقدم إلى الجلجثة عقلياً لنفهم معاً كيف أبطل المسيح الخطية بذبيحة نفسه، يلزمنا أن ندخل روحياً في هذه السحابة النيرة لننظر **الصليب والذبيحة والدم** في حالة تجلي — في نور القيامة — أي أولاً في مفهومها الإلهي **الفائق القدرة**، وثانياً في حضرتها **الكلية المالئة للزمان والمكان والكيان.**

وبذلك يلزم أن يحس القارىء أننا تجاه ذبيحة فائقة ليست زمنية بعد ولا مكانية، **وكيانها ممتد ومتغلغل في الطبائع النفسية والعقلية أيضاً**، أي **أن فعلها غير محدود؛** بينما الخطية نراها **زمنية مكانية محدودة** في طبيعتها! وهكذا تحمل الذبيحة الإلهية في مفهومها العام والمستقبلي **إلغاءً كلياً بل ومطلقاً للخطية!...**

ولا حاجة بنا إلى آية تثبت هذا المعنى أو اقتباس إنجيلي، فسفر الرؤيا كله يصور هذا المعنى ويثبته... فالخطية والخطاة والعالم الشرير ورئيسه سيبيدهم الرب.

وفي اللحظة التي نستوعب فيها هذه الحقيقة سنرى بأعين قلوبنا كيف تذوب فينا الخطية حينما تغطينا سحابة مجد الدم... فخطايانا محدودة مهما كثرت ودم المسيح يبتلع كل حدودها ويلاشيها!...

---

(٣٧) كو١: ٢٠.

ـ «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب **يطهر ضمائركم من أعمال ميتة** لتخدموا الله الحي» (٣٨).

وليلاحظ القارىء كيف يشدد الرسول على أزلية الدم وحيويته في الوقت الذي يضع الخطية بصورة «أعمال» في حالة نكرة وفي حالة ميتة!...

والآن إذ وضعنا الأساس الذي ينبني عليه كل رجائنا نعود إلى التفاصيل لنثبت:

كيف يلغي الدم الخطية ويُلاشيها في جميع صُورها ومواقفها

في الترجمة الفرنسية لإنجيل يوحنا لا نجد في البدء كان «الكلمة» بل يقرأونها في البدء كان «الفعل»... لأنهم لما جاءوا في الترجمة لكلمة «اللوغس» اليونانية فسروها بالكلمة وهي في حالة فعل، أي كلمة حية فاعلة وهذا تصوير لفاعلية المسيح **الدائمة والمستمرة**.

فالمسيح لم يتوقف عمله قط كفعل إلهي بالنسبة للإنسان منذ الدهور، ولكن بعد أن تجسد صار هذا الفعل مُدرَكاً لنا بصورة ملموسة، وإنما منعطف دائماً ناحية **الخطاة** «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (*).

أما على الصليب فقد بلغ هذا الفعل إلى الذروة، وإنما تركز بصورة واضحة في **الخطية** ذاتها حتى أنه أصبح شخصياً (ذبيحة خطية)... لأن الموت من أجل الخطاة ذبيحة...

وهكذا إن كان المسيح قبل الصليب قد غفر الخطايا ورفعها: «ثم قال لها مغفورة لك خطاياك» (٣٩)، فماذا يكون عمل الدم ــ الذي قلنا سابقاً أنه **يعبِّر عن شخصه** مصلوباً من أجل الخطاة وقائماً من الأموات؟

ألا يكون الدم هو فعل الغفران ذاته!!؟

---

(٣٨) عب ٩: ١٤.

(*) مت ٩: ١٣.

(٣٩) مت ٢٦: ٢٨.

«هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين **لمغفرة الخطايا**» ([40]).

إذن فالدم هو لنا الآن وإلى الأبد بمثابة شخص المسيح المصلوب والميت والحي، قوة فعلية حية مستمرة للغفران... **وما الغفران إلا إبطال فعلي للخطية وإنما على أساس الدم!!**

فالخاطىء إذ يؤمن بالدم ـ بالمفهوم اللاهوتي ـ و يشربه من يد الكاهن ـ بالمفهوم السري الكنسي، يصير في حالة حضرة إلهية ونطق إلهي «مغفورة لك خطاياك» ([41])!

وهكذا حينما نتقرب إلى الذبيحة الإلهية تصير الخطية في حالة فناء أو كما تقول إحدى صلوات القداس «تضمحل الخطية من أعضائي»... إذ تقع تحت فعل الدم!

«الذي قدمه الله كفارة **بالإيمان بدمه** لإظهار بره من أجل **الصفح عن الخطايا السالفة**» ([42]).

والآن يستطيع القارىء أن يدرك ويحس معاً قوة فعل الدم... ولكن يلزمنا جداً لكي نستوعب هذه القوة ونحيط بهذا الفعل أو بالحري يحيط بنا، أن نعرف ماذا فعلته الخطية فينا... لأنه بقدر ما **نعرف** أننا خطاة بقدر ما **نستحق** للحضرة الإلهية، و بقدر ما نعرف خطيتنا بقدر ما يفعل فينا الدم!!

ماذا فعلت الخطية فينا؟

سنجوز مع القارىء في تطواف سريع مختصر غاية الإختصار فيما صنعته فينا الخطية.

فالخطية أوقفتنا أمام الله:

(٤٠) لو٧:٤٨.
(٤١) مت٩:٢.
(٤٢) رو٣:٢٥.

أولاً ـ كمتهمين تحت الحكم:

وذلك بسبب أعمال التعدي على وصايا الله سواء كان في حالة آدم، أو حالة الناموس أو حتى في حالتنا الراهنة... هذا الإتهام دائم ومستمر، وله يوم حساب للدينونة للمجازاة: «لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح»(٤٣)، «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس»(٤٤).

إذن فبالخطية صرنا محفوظين للدينونة، ليس الخطاة فقط بل وكل من تعدى على وصايا الله حتى الملائكة: «الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام»(٤٥).

ثانياً: كأعداء:

وذلك لأن أصل الخطية هو «فعل» شيطاني عدائي لله، ليس أن الله أصبح عدواً لنا بسبب خطيتنا، بل نحن صرنا بالخطية أعداء لله، إذ يتكلم الله بوداعة «أبغضوني بلا سبب»(٤٦)! وفي القديم يتكلم بتأسف على فم النبي: «لماذا تخاصمونني، كلكم عصيتموني يقول الرب»(٤٧). ثم يرد بلسان الشعب: «قال شعبي قد شردنا لا نجيء إليك بعد»(٤٨).

فالعداوة لله هي فُرقة في الفكر أنشأت فُرقة في السلوك، ثم سقوطاً من المحبة. والسقوط من المحبة هو فعل عدائي، وهذه هي ديناميكية الخطية، فالذي يخفق أن يكون «مخلوق المحبة»، يصبح بالضرورة «خالق عداوة».

ثالثاً ـ كمديونين:

نحن علينا بالطبيعة واجبات لله كخالق لنا ومحب، ولكن الخطية تُقسي قلب

---

(٤٣) ٢ كو٥: ١٠.

(٤٤) رو٢: ١٦.

(٤٥) يهوذا٦.

(٤٦) يو١٥: ٢٥.

(٤٧و٤٨) إر٢: ٢٩و٣٠.

الإنسان وتغرس فيه روح الإستهتار وعدم المبالاة بواجبات الله وخشيته، وتدفعه إلى إهمال فروض المحبة والعبادة، سواء ما هو طبيعي بدافع الضمير أو ما هو إلزامي بواقع الوصية. هذه كلها ذنوب محسوبة ومكتوبة كصك دين علينا «الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا» (٤٩).

رابعاً ــ كعبيد أو كمسبيين:

نحن خُلقنا أحراراً في الله، وللحق كأحباء وبنين، لأننا خُلقنا لتكون على صورة الله... ولكن الخطية أذلتنا واستعبدتنا فصرنا عبيداً ليس للخطية فقط، بل وللجسد والعالم والناس والشيطان وخوف الموت!!

للخطية: «**كنتم عبيداً للخطية**، قدَّمتم أعضاءكم **عبيداً للنجاسة والإثم**، **مستعبَدين لشهوات ولذَّات مختلفة**» (٥٠).

للجسد: «ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني **ويسبيني** إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي» (٥١).

للعالم: «هكذا نحن أيضاً لما كنا قاصرين كنا **مستعبدين تحت أركان العالم**» (٥٢).

للناس: «قد اشتُريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس» (٥٣).

للشيطان: «كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن **سلطان الشيطان** إلى الله» (٥٤).

لخوف الموت: «أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (٥٥).

---

(٤٩) كو٢: ١٤.
(٥٠) رو٦: ١٧و١٩؛ تيطس٣: ٣.
(٥١) رو٧: ٢٣.
(٥٢) غل٤: ٣.
(٥٣) ١ كو٧: ٢٣.
(٥٤) أع٢٦: ١٨.
(٥٥) عب٢: ١٥.

وهكذا صارت الخطية كحاجز يفصلنا عن الله، هذا الإنفصال هو الذي أنشأ فينا هذه المواقف الأربعة!!

والآن فليتصور القارىء بل ليته يشعر ويحس أن هذا الحاجز، حاجز الخطية، قد رُفع نهائياً بيننا وبين الله! فهل يبقى انفصال؟
ألا نصير في الحال في حضرة الله؟...

ولكن فلينتبه القارىء، فالحاجز ليس حاجزاً وهمياً، ولا هو حاجز مادي يمكن أن ترفعه الأيادي، ولا هو حاجز من ناحية واحدة؛ فالخطية حجزتنا عن الله فحجزت الله عنا، فهي لكي تُرفع تحتاج إلى عمل من الجهتين، لهذا استلزمت التجسد، «الله ظهر في الجسد» (٥٦)، أي من ناحية الله ومن ناحيتنا.

كما أن الحالات الأربع أي **الإتهام، والعداوة، والدَّيْن، والعبودية** التي أنشأتها فينا الخطية ليست حالات وهمية، بل هي حقيقة الإنسان أمام الله بشهادة الضمير (والمرجو أن تسأل نفسك في ذلك)، لذلك احتاجت من ابن الله المتجسد عملاً إيجابياً لرفع هذه الحالات الأربع.

وماذا فعل الدم لنا؟

وهذا هو عمل الدم تجاه حالات الخطية الأربع:

أولاً — من جهة الإتهام:

نجد أن المسيح تبنَّى قضية الإنسان مع الخطية، فأكمل أولاً الناموس والوصايا، وأظهر الخضوع الكلي لمشيئة الآب ثم أخيراً أكمل عقوبة الخطية عن المحكوم عليهم بسبب التعدي، وأكمل العقوبة في جسده إذ تقبَّل حكم الموت، فأعطانا حكم براءة من الدينونة أو المحاكمة، وهذه البراءة تسمى في التعبير اللاهوتى «التبرير» لأنها ليست على أساس نُطق وإنما على أساس سفك دم «بار».

(٥٦) ١تى٣:١٦.

أما وسيلة حصولنا على وثيقة البراءة أي التبرير فلا يمكن أن تتم إلا عن طريق حصولنا على الدم نفسه، وذلك بالإيمان، لأن الإيمان بالدم هو اتحاد سري فيه، يتحقق عملياً في الأسرار! «قد تبررنا بالإيمان» (٥٧). وكما سبق وقلنا أن الإيمان بالدم هو إيمان بالمسيح شخصياً مصلوباً كذبيحة خطية، وميتاً كمكمِّل لعقوبتها، وقائماً من الأموات كمحيي... «**نحن متبررون الآن بدمه**» (٥٨).

ولكن ليحذر القارىء من خطأ شائع في مفهوم التبرير بالإيمان، أن يفهم أنه براءة نهائية... إذ لا يزال أمامنا أن نتوقع براءة كلية في يوم الدينونة العظيم «فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر» (٥٩).

صحيح أننا نحمل الدم كوثيقة براءة أو كبرِّ الله نفسه «نحن بر الله فيه» (٦٠)، ولكن نحن مسئولون عن حفظ الوديعة وكرامة الدم، لذلك يحذرنا بولس الرسول «في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل **الإيمان العامل** بالمحبة» (٦١).

ثانياً ــ من جهة العداوة:

عرفنا العداوة لله أنها فُرقة عن الله وغُربة ــ بسبب الخطية ــ كما عرَّفها المسيح في قصة الإبن الضال، أو كما عرفها الوحي في العهد القديم بالطلاق بالنسبة لله معتبراً الخطية علة أساسية للطلاق (أي أن الخطية تفصل).

المسيح رفع الخطية، فرفع العلة، علة الطلاق والفُرقة، أو علة الغُربة والعداوة «الله كان في المسيح **مصالحاً** العالم لنفسه **غير حاسب لهم خطاياهم**» (٦٢).

وهذا عمل الدم، إذ به «صنع تطهيراً لخطايانا» (٦٣) بأن غسلنا من نجاساتها

(٥٧) رو٥: ١.
(٥٨) رو٥: ٩.
(٥٩) غل٥: ٥.
(٦٠) ٢ كو٥: ٢١.
(٦١) غل٥: ٦.
(٦٢) ٢ كو٥: ١٩.
(٦٣) عب١: ٣.

«بغسل الميلاد الثاني»(٦٤)، وذلك بموته وقيامته (الذي هو مفهوم الدم)، لأننا بالإيمان بالدم نتحد به فنموت. هذا هو التطهير من الخطية، وإذ نشرب به نحيا بالإتحاد بقيامته.

إذن فنحن بالدم خليقة جديدة لائقة أن تدخل معه إلى الله في عهد بنوة أو عهد زيجة كعروس أو ككنيسة! «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة... من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح»(٦٥).

ولكن ليحترس القارىء من خطأ شاسع أيضاً في مفهوم المصالحة، أن يفهم أن الله هو الذي تصالح، إذ نحن الذين تصالحنا، لأن الله لم يكن عدواً لنا بل نحن كنا أعداء.

لذلك يوضح الرسول بولس المصالحة: «صالحنا لنفسه» «مصالحاً العالم لنفسه»(٦٦).

أما قوة المصالحة فهي كائنة في الدم وبالدم: **«عاملاً الصلح بدم صليبه»**(٦٧).

ثالثاً ــ من جهة الديون:

كل ذنوبنا المحسوبة علينا التي كانت كصك دين ضدنا سواء ما كان بشهادة الضمير أو بمقتضى الوصية، هذه كلها رفعها المسيح بمجرد أن رفع الخطية من الوسط أي من بيننا وبين الله.

ــ «إذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم، أحياكم معه **مسامحاً** لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا، **وقد رفعه من الوسط** مسمّراً إياه **بالصليب**»(٦٨): (من الوسط أي من بيننا وبين الله).

---

(٦٤) تي ٣: ٥.

(٦٥) ٢ كو ٥: ١٧، ١٨.

(٦٦) ٢ كو ٥: ١٩.

(٦٧) كو ١: ٢٠.

(٦٨) كو ٢: ١٣، ١٤.

أي أن الدم المسفوك على الصليب كان فيه كل الكفاية لتمزيق الصك أو تسميره (كما تسمَّر العملة الفاسدة وتدق بمسمار حتى تلغى قيمتها فلا تستعمل بعد)، الذي هو وثيقة الديون التي علينا تجاه محبة الله!

هذه المسامحة الكلية، المعبَّر عنها بالصفح أيضاً، تدعى في التعبير اللاهوتي «الغفران» ـــ فالغفران مسامحة على أساس دم المسيح كعمل للنعمة المجانية: «الذي فيه لنا الفداء **بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته**»(٦٩).

أي أنه حالما رُفعت الخطية من الوسط برفع جسد المسيح على الصليب، صرنا بلا حاجز يفصلنا عن نعمة الله المجانية فتقبَّلنا فاعليتها في الحال. وفاعلية النعمة مصالحة وصفح وغفران مجاني على أساس الدم.

فالله في الواقع لم يكن دائناً لنا بل نحن كنا بالخطية مديونين له، و بر الله كان عمله متعطلاً فينا بسبب الخطية وكان يتمهل علينا إلى أن رُفعت الخطية، فصرنا تحت عمل البر مباشرة، ودم المسيح هو بر الله!

ـــ «الذي قدمه الله كفارة **بالإيمان بدمه لإظهار برِّه** من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله»(٧٠).

رابعاً ـــ من جهة العبودية:

قد كان قديماً إذا سقط إنسان في أيدي تجار الرقيق و باعوه عبداً يلزم لتحريره أن يدفع (فدية). فكان أحياناً يدفعها الهيكل عن اليهود أو الكنيسة عن المسيحيين القدماء، و بذلك يُعتبر العبد حراً من الناس وإن ظل عبداً لله، وكانت الفدية تسمى (ثمن الرقبة).

أما في العهد القديم فنقرأ أن الله فدى شعبه: «من محبة الرب إياكم... فداكم من

---

(٦٩) أف ١: ٧.

(٧٠) رو٣: ٢٥.

بيت العبودية»(٧١). ثم نسمع دائماً أن الرب فدى، الرب يفدي، الرب فادي، سواء من ضيقة أو من ظلم أو من عبودية أو من موت أو من هاو ية! إذن فتدبير فداء الإنسان كان خطة أزلية داخلة في نطاق التدبير والعمل منذ القديم، وإنما كانت من اختصاص الرب وكان الله نفسه معتبَراً بصورة غامضة وسر ية أنه هو الذي يدفع الفدية.

والآن على ضوء ما أكمله المسيح على الصليب بتقديم نفسه ذبيحة عن الخطاة ندرك تماماً كيف استُعلنت خطة الفداء، وكيف أكمل الله بدم إبنه تحر ير الإنسان من كل ما استعبد أو يستعبد له!!

هذا الدم الإلهي هو الفدية، ثمن «الفكاك»، «ثمن الرقبة»، صرنا به أحراراً من الخطية والجسد والعالم والناس والشيطان والخوف من الموت! نعم صرنا أحراراً من كل شيء ومن كل أحد إلا الله! فنحن كنا «مبيعين تحت الخطية»(٧٢) واشترانا الله بدمه فصرنا عبيداً لله! «وإنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتُر يتم بثمن، فمجّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله»(٧٣).

أما هذا الثمن فيشرحه القديس بطرس الرسول بوضوح: «فسيروا زمان غربتكم بخوف عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة ... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح»(٧٤).

فالمسيح اشترانا حقاً، لا من (عرق جبينه)، بل بدمه. ودفع الثمن وفك النير وحررنا من سبي جميع أعدائنا...

والآن نحن نتبعه من كل قلوبنا كمشاة في موكب نصرته، وهو يتقدمنا كقائد خلاصنا، ولا أحد ولا شيء ولا زمان ولا مكان ولا كيان ولا قوة تقدر أن تفصلنا عنه ـــ كما يقول بولس الرسول ـــ لأننا مفديون! فعلينا ختم دم هو صك شراء خصوصي،

---

(٧١) تث٧: ٨.

(٧٢) رو٧: ١٤.

(٧٣) ١ كو٦: ١٩، ٢٠.

(٧٤) ١بط١: ١٨، ١٩.

ختم تبعية وملكية مطلقة لله!

والآن نفهم سر قول المسيح: «**خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني... ولا يخطفها أحد من يدي**» (٧٥).

خامساً ــ تقريبنا إلى الله كأبناء:

ولكن النعمة في غناها لا تفك ولا تحرر فقط، لأن محبة الله مفرطة لا تقف عند حد، فهي لا تهدأ في الذين تختارهم وتحبهم إلى أن توحدهم بالله. فاتحادنا بالدم لا يعطينا فكاكاً وتحريراً فحسب بل يعطينا ذاته. يوحدنا بشخص المسيح فنصير فيه بنيناً لله بالنعمة. هو إبن لأبيه بالطبيعة، لذلك فإن في دمه قوة البنوة وسرها، وها نحن ننالها بالنعمة...

وهكذا حررنا المسيح أولاً ثم تبنانا لأبيه!

ــ «لستَ بعد عبداً بل إبناً وإن كنت إبناً فوارث لله بالمسيح» (٧٦).

ولكن ليدرك القارىء أن البنوة ليست إدعاء كلام أو شكليات، وإنما هي حقيقة حية كالدم نفسه كإبن الله! بشهادة الضمير في الروح القدس! «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح إبنه إلى **قلوبكم** صارخاً ياأبا الآب» (٧٧).

ولكن فليحذر القارىء من خطأ شائع أيضاً في مفهوم الفداء، أن يفهم أن عمل الفداء قد انتهى وأننا أكملنا الفداء بالإيمان، إذ لا يزال أمامنا عمل للإيمان نجاهد لنكمله، فنحفظ الوديعة ونسهر على ختم الدم مدققين أن نكون بلا لوم أمام ضمائرنا حتى لا تنقطع منا شهادة الروح القدس، إلى أن يأتي كمال يوم الفداء الذي نتوقعه بالرجاء والصبر: «**ولا تحزنوا روح الله القدوس** الذي به خُتمتم ليوم الفداء» (٧٨).

---

(٧٥) يو١٠: ٢٧، ٢٨.
(٧٦) غل٤: ٧.
(٧٧) غل٤: ٦.
(٧٨) أف٤: ٣٠.

وهـا بولس الرسول نفسه يعترف أنه بالرغم من كونه حائزاً على الروح القدس، إلا أنـه لا يـزال يـتـوقع كمال الفداء، وذلك لعدم اكتمال البنوة بعد بسبب الجسد! «بل نحـن الـذيـن لـنـا بـا كـورة الـروح نحـن أنـفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا»(٧٩).

إذن فـلـيـفـهـم الـقـارىء و يـتـعزى أن عمل الفداء لن يكمل و يأخذ قوته وشكله النهائي كنصرة كاملة إلا بعد القيامة حينما تقوم الأجساد في غير فساد!

فـنـحـن الآن نـأخـذ عـربـون الـفـداء ومـقـدّم قوته: «إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى»(٨٠).

وفي خـتـام عـمـل الـدم في الـفـداء تـغـمـرنا مشاعر الشكر والتسبيح لله فنهتف مع المـفـديـين: «مـسـتـحـق أنـت أن تـأخـذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة»(٨١).

نـعـم قـد أبطل الخطية بذبيحة نفسه، إذ أكمل بدمه **«التبرير»، و«المصالحة» و«الغفران» و«الفداء» و«التبني»!**

* * *

ونحن الآن نتوسل إلى الله أن يستوعب القارىء قوة دم المسيح ببساطة الإيمان وفعل الروح القدوس بروح كنيستنا.



(٧٩) رو٨: ٢٣.
(٨٠) أف١: ١٣، ١٤.
(٨١) رؤ٥: ٩.

صــلاة

أيها الجسد المسجى المثخن بالجراح، المكسور عني وعن كثيرين...
لقد حان يوم تكفينك...
ماذا أقدم اليوم إكراماً لجسدك الذي تمزق عني؟...
أريد أن أكون كمريم النشيطة، التي سبقت بالرؤيا كنبية، وطيبت بالناردين الجسد حياً...
ولا أريد أن أكون كالمجدلية التي ذهبت لتطيبه ميتاً فوجدت القبر فارغاً...
ـ ياسيد أقدِّم لك الآن شبابي قبل أن يذبل...
ـ وأسكب حياتي كلها منذ الآن في حبك لأطيب قلبك...
ـ اليوم أطلبك لأتوِّجك ملكاً على قلبي...
ـ وأتقدم إلى مائدتك لأسجد لجسدك وآخذ شفاءً لموتي ودواءً لأوجاعي...

الفصل الخامس

القبـــر الفَـــارغ

ذروة الإيمان المسيحي

إن كـان الـصـليـب هـو عـلامة الغلبة التي غلب بها الرب الخطية والجسد والعالم، فأصبح رمز النصرة في الجهاد ضد هذه الأعداء الثلاثة...

فـالـقبر الفارغ الذي تركه لنا الرب مفتوحاً هو علامة الغلبة على الموت، وشهادة ما بعدها شهادة للقيامة من الأموات العتيدة أن تكون!

وإن كـان يـوجد في العالم الآن صلبان كثيرة، اصطبغ عليها شهداء كثيرون بذات صبـغـة الـرب! إلا أنـه ليس في الأرض كلها إلى الآن إلا قبر واحد فارغ!... يحجُّ إليه المؤمـنـون الـذيـن برَّحت بهم مشاعر الحب والأمانة والوفاء، بشبه مريم المجدلية، ومعهم هـدايـا وعـطور ومشاعر هي أثمن من الذهب الفاني، يسكبونها هناك على جدرانه، وفي إنحـنـاء وخـشوع وورع، يقبّلون الأرض والصخور و يذرفون دموع الرجاء، رجاء اللقيا، بشبه الخاطئة...

أي تغيير أصاب الإنسان بقيامة الرب!

أي تجديد أصاب الطبيعة طراً!

أي انقلاب أصاب المعاني والمفهومات والإصطلاحات!

ــ هوذا الإنسان يولد من جديد، فالقيامة وهبت الإنسان حياة من بعد موت!

ــ والقبر مستودع الظلام والموت، صار مصدر النور والحياة.

ــ والذهاب إلى القبور للنحيب والبكاء انقلب وأصبح حجاً وعزاءً وتقديساً!

وذهبي الـفـم في عـظـتـه عـن الـفـصـح يـتـأمـل في الـقبر الفارغ فيراه حقيقة تنطق بـالغفران! [وقد أشرق من القبر حقيقة الغفران]. وهذا حق لأنه إن كان بالصليب قد تم الغفران فبالقبر الفارغ استُعلن وصار برهاناً...

إن حقيقة الصليب تظل مخفية عن الأفهام، كما سبق وقلنا، إلى أن يشرق على القلب نور القيامة، وخطايا الإنسان تظل ثقلاً ضاغطاً على الضمير إلى أن يُرفع الحجر عن الذهن فتتبدد الآثام والذنوب والمعاصي، حينما تواجه الأكفان موضوعة والرب قام كاسراً شوكة الموت المسمومة، وشوكة الموت هي الخطية بأصولها وفروعها...

* * *

من ذا يستطيع أن يغلب في معركة الدنيا و يواجه صليب حنّان أو صليب هامان، إن لم تكن حقيقة القيامة قد اتحدت بفكره وضميره بل انفعلت في نفسه وجسده وأعدته لمواجهة الموت لحساب الخلود؟

وإن كان يتحتم على من ير يد أن يقوم مع الرب أن يموت معه، فلن يستطيع أحد أن يموت معه إن لم يكن سر القيامة قد سرى في كيانه كما يسري النور في الظلمة.

الموت رعب هو، وكل الطرق المؤدية إليه مخيفة، إلى أن تشرق القيامة فتبدد سلطانه وتُخضعه للإنسان حتى يطأه بأقدام الإيمان كما وطئت أقدام الشعب قديماً نهر الأردن وهو في عز كبر يائه!

فإن كان هذا الجيل فيه لمسة الجبن والرعدة، فلأنه لم ينعجن بعد بعجين الفصح فلم تسر فيه روح القيامة!

انظر إلى الرسل كيف تقبلوا أولاً أخبار الصلب والموت ـــ بدون قيامة. فملأت الرعدة أوصالهم، وانتابهم جزع وخوف أليم، فكادوا يندمون، أو هم ندموا، على زمن تقضّى مع هذا المصلوب المائت، إذ شعروا أنه سيورثهم الخزي والعار والمهزأة أمام سلطات الدين والدنيا بل و بين الأهل والعشيرة! حتى كادوا يتبددون!

ثم انظر ما حدث لما انطلقت بشارة القيامة، كيف تجمعوا بل كيف تغيروا وتجددوا، بل كيف كرزوا و بشروا؟! فصار لهم العار والمهزأة فخراً، وصار العذاب والألم فرحاً، والصليب والموت إكليلاً!!

لقد تيقنوا أنه حتى ولو أُحكم على الجسد في القبور بالأحجار والأختام، فسوف تنفتح من تلقاء ذاتها يوماً فتقوم هذه الأجساد عينها بشبه الرب.

* * *

فالقيامة ياإخوة هي قوة الشهادة، هي رؤيا الخلود!
هي حالة تجلي، نرى فيها الألم عذباً، والصليب حياً، والقبر فارغاً!
هي إحساس سري إن بلغناه بلغنا الذروة، فهو نهاية الإيمان لأنه هو الإتحاد بالله...

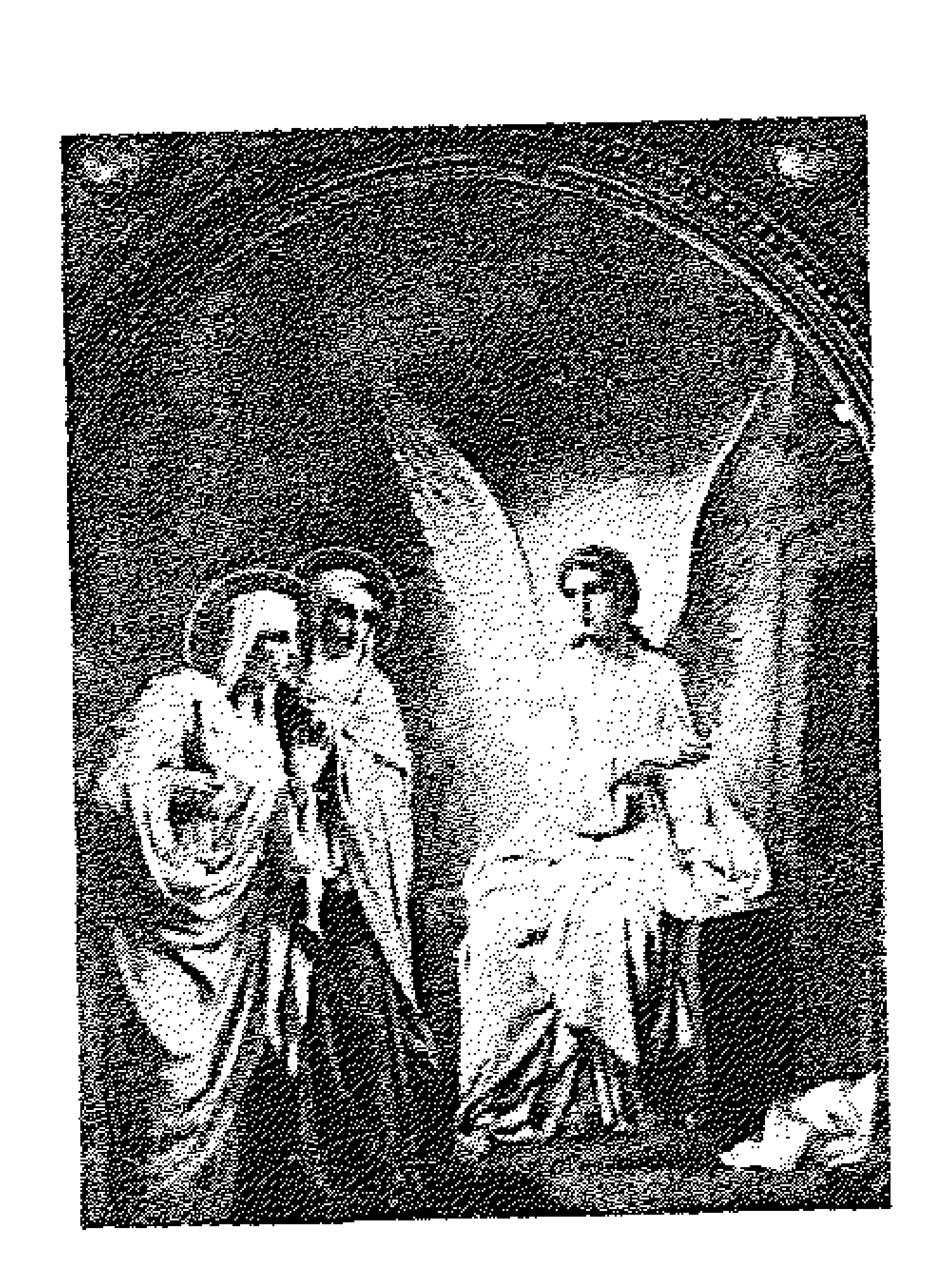
* * *

صـــلاة

ياكاسر شوكة الموت، ياغالب الجحيم...
بقيامتك:
نقضت أوجاع الجسد، وألغيت سطوة الألم...
أقمت الإتضاع، أحييت المحبة، مجدت الصليب...
أدخلت الحياة الجديدة إلى عالمنا الميت...

بددت يأس الإنسان وعوض العجز والذلة نفخت فيه صورة سلطانك...
كشفت سر الإنجيل، وأضأت الطريق وفتحت ذهننا لإدراك سر الخلود...
أسست رجاءنا بغير المنظور وبكل وعد الله وبكل ما هو آتٍ...
قوّيت إيماننا بنصرة الروح على الجسد وغلبة الحق على الباطل وحقيقة الدهر الآتي.
رفعت المحبة لنتخطى الألم ونتجاوز الموت ونتشجع في بذلها إلى أقصى حد.
أدخلت في قلبنا سر الفرح الحقيقي الذي لا يمكن لأحد أن ينزعه منا.

ـ أنا اليوم أتنسم من قبرك رائحة حياتي...
ـ وآخذ من حنوطك مسحة لقيامة الجسد...
ـ الآن تحولت حقيقة القبر عندي من مقر إلى عبور...
ـ وعوض قسمات الحزن ولطخات الدم، ينطبع بهاء نور وجهك في قلبي...
ـ الآن جروح يديك ورجليك تجعلني أسمو بجروحي...
ـ وجنبك المفتوح، شهادة حياة، تبدد عني كل أهوال الموت...
قيامتك ياسيدي أكدت لي وعد مجيئك، فلا تبطىء، وتعالَ سريعاً...



القسم الثاني

كتاب

تأملات هادئة

من جمعة ختام الصوم إلى جمعة الصلبوت

(سنة ١٩٥٣)

إنجيل جمعة ختام الصوم:

أردت ولم تريدوا

«كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا!!» (لو١٣: ٣٤).

يشير الرب بهذا القول إلى المرات الكثيرة التي حاول فيها الله أن يجمع شعب إسرائيل إليه بحبه وحنانه بواسطة الأنبياء الذين أرسلهم مبكراً ومؤخراً. ولكن كانت النتيجة دائماً، كما في مثل الكرامين، أنهم رفضوه وأهانوا كل من أرسلهم...

كذلك فالرب يشير بهذا الكلام إلى تعاليمه وآياته ولطفه وإحسانه الكثير، الذي قصد به أن يجمع قلوبهم إليه بكل إشفاق ومودة، فكانت النتيجة أن رفضوه ورذلوه.

أجمع أولادك:

الرب هنا يخاطب أورشليم، وأورشليم لم تكن في ذلك الوقت متفرقة بل كانت مكتظة بأولادها من كل الأقاليم والأقطار، والهيكل يعج بالصلاة و بالمصلين. إذن فالرب هنا لا يقصد تكتل بني إسرائيل، لأنه لا اجتماعهم ولا تفرُّقهم أفادهم شيئاً أبداً، إذ أنهم في تفرقهم وذُلِّهم تركوه وجدفوا عليه، وفي تجمعهم وعزِّهم خانوه وأغاظوه.

الرب هنا يتكلم عن سر مشيئته التي من أجلها جاء ليجمع المتفرقين إلى واحد، إلى صدره الحنون وتحت ستر جناحيه وفي ظل منكبيه، هذه التي طالما تغنى بها داود، وحنَّت روحه إليها، ولكن انظروا ماذا فعلوا فيه: عروا صدره الحنون وطعنوه وفردوا ذراعيه الحانيتين وسمروها على الصليب، والأرجل التي كانت تجول تصنع خيراً دقوها بالمسمار على الخشبة!...

وهكذا عوض أن يتجمع إلى صدره وتحت ستر جناحيه هؤلاء الأولاد الأشقياء بنو

إسرائيل، تركوه: «تركوني أنا الحبيب مثل ميت مرذول»(١)، وذهبوا وراء شهواتهم، وهكذا تركت الفراخ حضن الدجاجة ولم تعبأ بتوسلها وندائها، فوقعت في مخلب الصقر المتربص، وانتهت إسرائيل إلى خراب ولعنة.

ولكن الدعوة مجددة لك هنا أيها القارىء العزيز، فالجناحان الحانيان مفرودان على الصليب، والجنب الحبيب يسيل بدم الشفاء والفداء. المسيح لا يزال ينادي خرافه ويرسل صوته مبكراً كل يوم ليجمعهم تحت ظل جناحيه إلى أن يعبر الشر، هو لا ينادي فقط بل ويجري وراء الخروف الضال ليبطل جهالته، ولكن ليس إلى مالانهاية. ففي لحظة نلقي جزاء عنادنا حينما يتوقف الرب عن النداء وعن الجري وعن التوسل ليقول مرثيته للنفوس الجاهلة «كم مرة أردت ولم تريدوا». يقولها الرب ويبكي على النفس التي «لم تعرف زمان افتقادها»(٢)، إذ يكون العدو قد اقتنصها ووقعت في شباكه.

أردت ولم تريدوا:

تقول في نفسك إنه مجنون هذا الذي لا يريد ما يريده الله؟

ولكن رؤساء الكهنة ومجمع السنهدريم وشيوخ الشعب وحكماء إسرائيل لم يكونوا مجانين! بل كانوا متأكدين أنهم حكماء وعلى حق وكل الناموس في صفهم، ووصايا موسى كلها تسند حجتهم، وأنهم على صواب كل الصواب حينما يحكمون بأن يُرفض المسيح بل ويُصلب!...

ومن أين جاء هذا الإلتباس الخطير؟ جاء من حيث كانوا يعيشون حياتين: حياة خارجية ظاهرها التقوى والتدين والتدقيق في أصغر طقوس العبادة، وحياة داخلية منحلة كلها انتهاز فرص وأطماع وتكالب على الدنيا. وهكذا ضاعت منهم إرادة الحق ورفضوا، بل واستهزأوا بإرادة القدوس، لأن إرادتهم لم تكن في ناموس الله أبداً ولا هم كانوا في ناموسه يلهجون...

---

(١) مز٣٧: ٢١، ٢٢ حسب النسخة القبطية. (٢) لو١٩: ٤٤.

وهوذا الصوت يأتينا اليوم مجدداً، والمسيح في ختام صومنا يسأل هل تريدون ما أريد؟ أنا أريدكم من نصيبي وأن تكونوا دائماً حيث أكون، فهل تريدون؟ وأردتكم بقلب وديع مثل قلبي وأردتكم تطلبون ملكوتي و بري، فهل تريدون؟

أنا أردتكم لا تهتمون بهموم الدنيا بل أن تحملوا نيري وأنا أحمل كل همكم فهل تريدون؟

وأردتكم لا تسعون وراء المتكآت الأولى حتى آخذكم معي لتتكئوا في ملكوتي، فهل تريدون؟

وأردتكم لا تطالبون بحقكم ولا تنتقمون لظلمكم وأنا أرد لكم مئة ضعف، فهل تريدون؟

وأردتكم أن تحبوا أعداءكم وتباركوا لاعنيكم وتحسنوا إلى مبغضيكم وتصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم و يطردونكم وأنا أجازي، فهل تريدون؟

أردتكم أن تحملوا الصليب ولا تجزعون من الصلب كما حملت أنا صليبي وصُلبت عليه، فهل تريدون؟

أنا جزت هذا كله من أجلكم وغلبت العالم لتتشجعوا وتسيروا ورائي، فهل تريدون؟

والآن لكي ننتقل من إنجيل الجمعة إلى إنجيل السبت يلزمنا أن نصفي حسابنا أولاً مع الصوت القائل: «كم مرة أردت ولم تريدوا؟». لأنه إذا انتهت إرادتنا إلى هذا التعارض، فلا مناص من الدينونة الرهيبة وسماع الصوت المحزن: «هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (٣)!... وإذ قد تم بالفعل خراب الهيكل المقدس و بقي خراباً إلى يومنا هذا آية لصدق كلمة المسيح، فلا أقل من أن نشفق على أنفسنا من هذا المصير عينه لأن «هيكله هو نحن» (٤).

---

(٣) لو١٣: ٣٥.

(٤) راجع ٢كو٦: ١٦.

إنجيل سبت لعازر

حلّوه ودعوه يذهب

(يو١١: ٤٤)

سبت لعازر يحمل معاني عميقة لمحي الطقس ولهواة التلذذ بربط المعاني والغوص في بحر لآلىء الأرثوذكسية.

كل ما عرفناه عن السبت والسبوت أنه رمز الراحة والتوقف عن أعمال الحياة. هكذا جعله العهد القديم رمزاً لإنتهاء الخلقة الترابية.

ولكن فجأة، وكختام لعهد قَدِم وشاخ، يأتي سبت لعازر ليقلب معنى السبوت كلها معلناً عن بداية جديدة للحركة والحياة وفك ختوم السكوت والموت واقتحام الطريق الموصل بين القبر والهاوية.

هكذا تتلقف الكنيسة سبت لعازر لتجعل منه أحداً صغيراً وقيامة صغرى ترابية لواحد من أولاد آدم الأوّل، تمهيداً لقيامة عظمى إلهية للمسيح آدم الثاني.

سبت لعازر هو في الأرثوذكسية مفتاح سر البصخة، سر الإنتقال من القديم إلى الجديد، من عهد السبوت إلى عهد الآحاد، من عهد الموت إلى عهد القيامة. وهو أول مرحلة من مراحل العبور التي جازها مخلصنا، إذ بإقامة لعازر من الموت قدّم المسيح صورة للنهاية قبل البداية فأطلق في القلوب سر فرحة النصرة على الموت حتى لا تخور في موكب الصليب.

ليس جزافاً أن يطلق المسيح في يوم السبت سراح لعازر من بطن الهاوية و يقيمه من بين الأموات، ولكنه أراد أن يمهد بسبت لعازر للسبت الكبير، حتى تكون آلامه وصلبه ودفنه على رجاء، وقيامته يقيناً كالفجر.

هكذا كانت ولا تزال قيامة لعازر حجة رجاء ضد الموت و يقين قيامة ننتظرها على

كـافـة المـسـتـو يـات حتى ولـو انتنت أجسادنا وانحلت وذابت وتلاشت في الماء أو بين ذرات التراب.

هـل كـان لعازر في حاجة إلى أسبوعين يضافان إلى حياته أو شهر ين أو عدة سنين أخر؟

كـلا، ولـكـن كـان الـتـلاميذ، بل نحن، بل العالم كله، في أشد الحاجة أن يقوم لـعـازر مـن الأمـوات لـيـؤمـن الجميع بالمسيح ليس فقط أنه قادر أن يقوم بل و يقيم من الأموات أيضاً!!

والـقـصـة تـبـدأ عندما أرسلت مريم ومرثا إلى المعلم بلهفة أن: أسرع، فلعازر الذي تحـبـه مـر يض... والإسراع هنا يفيد توقف إيمان الأختين بالرب عند حد شفاء الجسد: «يـا سـيـد لـو كـنـت هـهنا لم يمُت أخي» (١). لهذا كانت اللهفة وكان الإسراع من جـانـب الأختين لئلا يموت وتضيع الفرصة... و بالرغم من ذلك نرى المسيح يتأخر، لأنه يـرى في مـوت لـعـازر فرصة لإيمان أعلى «فلما سمع أنه مر يض مكث حينئذ في الموضع الذي كانَ فيه يومين ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب...» (٢)!!

وفي الـطـر يـق قـال لهـم: «لـعـازر مـات وأنـا أفـرح لأجـلـكـم أني لم أكن هناك لتؤمنوا» (٣). الرب هنا يفرح عند ازدياد فرصة الإيمان أمام التلاميذ عندما يسترد نفساً مـن بين مخـالـب المـوت... ولـكـن الـعـجيب أنه بعد قليل يواجه المسيح الأختين و يرى بـكـاءهمـا، فـيـبـكـي هـو أيضاً مـن فـرط تحـنـنـه «انزعج بالروح واضطرب... بكى يـسـوع» (٤)... فالذي رأيناه يفرح بازدياد فرص الإيمان للتلاميذ والأختين تجاه الموت، نجـده يبكي عندما يقف بين البـاكـين، وكأنما الفرح والبكاء عند المسيح نظير أو رهن ما يـسـرنـا و يـبـكـينا!! ولكن بتأمل صغير نجد أن الفرح والبكاء جاءا مختلفين في ترتيبهما لـدى المـسـيح عن ما كان لدى الأختين والتلاميذ، فعند المسيح الفرح أولاً ثم البكاء،

---

(١) يو١١: ٢١.

(٢) يو١١: ٦و٧.

(٣) يو١١: ١٤و١٥.

(٤) يو١١: ٣٣و٣٥.

إذ كان يرى القيامة قبل الموت، ولكن بالرغم من ذلك لم تعقه فرحة الرؤيا المسبقة للعازر قائماً من بين الأموات عن أن يذرف الدمع مع الباكين أمام القبر، وهكذا بدأ يسوع فائقاً جداً في حنانه وترفُّقه بالمتألمين إذ أخلى نفسه من فرحته النبوية لِمَا سيكون، فبكى كما يستلزمه الإشفاق وتحتم به المودة.

أما الأختان، فإذ اختفت رؤية القيامة عن مستوى إيمانهما بكتا بكاءً مراً خُلواً من فرحة النبوة المسبقة بما سيكون!...

وأمام القبر وقف رب الحياة وسيد القيامة ونادى لعازر، فقام، وقام معه رجاء الإنسان كله، كل بني آدم، بالحياة الأخرى... والذي نادى لعازر باسمه فقام من بين الأموات ويداه ورجلاه مربوطات، سيأتي وسينادي الإنسان، كل إنسان، لقيامة أبدية ودينونة وحياة.

* * *

حلوه ودعوه يذهب:

ربي أنا هو لعازر الجديد، أنا الميت...

رباط الخطيئة يلف أعضائي وأنا مسجى في قبر شهواتي...

عيناي انطفأ عنهما نور الحياة، وظلمة الباطل أطبقت على عقلي.

التصق لساني بحنكي، وكفت شفتاي عن النطق بحقك.

انسد حلقي بكلمات الإثم، وشهادة الزور أطبقت على صدري.

توقف قلبي عن أن ينبض بحبك، وتورمت جدرانه بالحقد والعداوة.

كليتاي تحجرتا برواسب الشهوة، وسموم الملذات أذابت أحشائي.

شُلَّت يميني عن الرحمة، وتصلبت رجلاي عن مسيرة السلامة.

وجهي مستور عنك بمنديل قبائحي، ونتن أعضائي ينضح فوق أقماط كرامتي.

ربي، إن كان للموتى رجاء في بكاء، هكذا يكون رجائي.

ولكن بكاءك على لعازر هو يكفيني بل ذاك معتمدي.

يامن دمعت عيناك على حبيب ميت . أنا ليس لي مرثا ولا مريم ، أنا اليوم ميتك فابكِني .
أتوسل إليك بحبك وحنانك ، أوعز إلى ملائكتك أن (حلوه ودعوه يذهب) .

أوصانا
«هوشعنا أي خلصنا»

على قبر لعازر استُعلن المسيح (رئيس الحياة وملك الدهور)(١)... ألم يُهزم آخر عدو يبطل وهو الموت!! كان هذا ختام آياته وأعماله كلها، و ياله من ختام يحمل كل إشارات ومؤهلات المجيء الثاني!! والآن و بعد أن تدهّن بالطيب كميت وقد قام، بل وهو القيامة ذاتها والحياة، من المناسب جداً أن يعلن ملكوته السلامي و يدخل مدينة أورشليم المزينة بأغصان الزيتون والنخيل، و ياله من دخول يحمل كل الإشارات عن أورشليم العليا وعريسها حيث ننتظر ظهورها واستعلان ملكوته الأبدي.

لقد وُلد المسيح كإبن لداود في بيت لحم مدينة داود، والآن يدخل أورشليم مدينة الملك كوريث داود الشرعي في مُلكه النبوي السلامي...

وإن كان صوت النبوة قد أعلن أن من عَبْر الأردن جليل الأمم (الناصرة) يشرق نور عظيم، يعود الصوت النبوي ليقول في موضع آخر مخاطباً أهل أورشليم سيدة المدائن داعياً إياها بإبنة صهيون: «ابتهجي جداً ياإبنة صهيون. اهتفي يابنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك وديعاً وهو عادل ومنصور، وديع راكب على حمار وعلى جحش ابن أتان»(٢).

لقد رفض المسيح كل أيام حياته مظاهر المجد والتكريم، وتحاشى المسير في المواكب والظهور في الأعياد رسمياً، أما هنا فلأول مرة ولآخر مرة في حياته يرتب بنفسه موكب الظفر والمسيرة الرسمية للدخول إلى أورشليم كملك، حتى اندهش منه الكثيرون وضج

---

(١) مطلع صلاة الصلح في القداس الكيرلسي وهي من الصلوات التي كان يحبها و يرددها كثيراً البابا المتنيح كيرلس السادس.

(٢) زك٩:٩.

منه رؤساء الكهنة والفريسيون... نعم فقد آن الأوان فعلاً أن يعلم العالم أنه المسيا الملك الفادي المخلص!!

فهذه أغصان الزيتون رمز السلام تشير إلى المسيا (شيلون) (رجل السلام).
وهذه أغصان النخيل تشير إلى أقواس ظفره الملوكي(٣) الإلهي.
وهذه الأصوات (أوصنا في الأعالي) تشير إلى الخلاص والفداء الإلهي.

وبهذا الموكب المزدحم بالمعاني العميقة والأسرار ينتهي تاريخ إسرائيل الزمني ليبدأ ملكوت المسيا الذي فيه تتحقق النبوات جميعها مع كل التوقعات والآمال لكافة الأنبياء والرائين من قريب ومن بعيد...

ولعل في الهتافات التي قيلت في ذلك اليوم وسجلها لنا البشيرون توضيحاً لكل هذه التحققات التي كملت باستعلان المسيا في شخص يسوع المسيح في هذه المناسبة:
+ «أوصنا (خلصنا) لإبن داود مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي»(٤).
+ «مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. أوصنا في الأعالي»(٥).
+ «مبارك الآتي باسم الرب. سلام في السماء ومجد في الأعالي»(٦).

والعجيب أن المسيح كان موافقاً على كل ما كانوا يهتفون به حتى بلغ هتافهم عنان السماء، بعكس كل مواقفه السابقة التي كان يحرم فيها أي هتاف له: بل لما طالبه الفريسيون أن يُسكت الهاتفين قال لهم: «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ»(٧).

إذن، فكل ما هتفت به الجموع كان هتافاً نبوياً من عمل الروح الذي كان ينطق في أفواه الأطفال والرُّضَّع!!

---

(٣) في سفر اللاويين ٢٣: ٤٠ يعملون «المظال» بسعف النخل رمز الحضرة الإلهية. وفي سفر المكابيين الأول ١٣: ٥٠-٥٢ ومكابيين الثاني ١٠: ١-٩ يعيدون عيد الحرية بسعف النخيل.
(٤) مت ٢١: ٩.
(٥) مر ١١: ١٠.
(٦) لو ١٩: ٣٨.
(٧) لو ١٩: ٤٠.

تطهير الهيكل ومظاهر العنف:

جديد علينا وغريب جداً منظر المسيح وفي يده سوط يطرد التجار من الهيكل ويعنّف مُلوِّثي الصلوات؟... ما سر هذا العنف المفاجىء؟... وهل له في النبوات مرجع؟

الآن عودة إلى النبوات:

في سفر ملاخي يصف النبي هذا الموقف بحساسية مرهفة: «و يأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تُسرُّون به... ومن يحتمل يوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار، فيجلس ممحِّصاً ومنقياً... واقترب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً... وعلى السالبين...» (٨).

ولكن لا يزال السؤال باقياً: ما سر هذا العنف الذي لم نعتاده قبلاً من المسيح؟

هنا يلزمنا رجعة إلى الإنجيل. فالقديس لوقا يعطينا الجواب على هذا التساؤل وإنما على مستوى سري يحتاج منا إلى مزيد من الإنفتاح الذهني لندرك الإشارات العميقة.

فقبل أن يورد القديس لوقا حادثة دخول الرب أورشليم يوم الأحد يورد مثلاً للمسيح (٩)، قاله حال دخوله أورشليم، وهو له علاقة هامة جداً بالموضوع، وهو الذي يشرح لنا أسرار ذلك اليوم الكبير. يقول الإنجيل:

«فقال مثلاً لأنه كان **قريباً من أورشليم**. وكانوا يظنون **أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال، فقال** إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً و يرجع... أما أهل مدينته فكانوا يبغضونه، فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا. ولما رجع بعد ما أخذ الملك أمر أن يدعى إليه أولئك العبيد ,, وحاسبهم حسب أمانتهم،،... أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا

---

(٨) ملاخي ٣: ١—٥.

(٩) لو١٩: ١١—٢٧.

بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي! **ولما قال هذا تقدم صاعداً إلى أورشليم**»[١٠]!

يلاحظ القارىء هنا قول الإنجيل: «**لأنه كان قريباً من أورشليم**»، فهذه إشارة خفية تنبهنا أن المثل المذكور الذي قيل هنا له علاقة بدخول المسيح أورشليم يوم الأحد، ثم قوله: «**وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال**» تعطي إشارة أن المسيح سيشرح في المثل أن ملكوت الله لن يظهر في الحال. وفعلاً قد أوضح ذلك المسيح في المثل عند قوله: «**ذهب إلى كورة بعيدة**» كما تفيد أيضاً عبارة: «وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال»، أن طريقة دخول المسيح الهيكل يوم الأحد سوف تشرح لنا كيفية ظهور الملكوت ومجيء المسيح في مُلكه... وهذا يظهر بوضوح أكثر بقوله في نهاية المثل: «ولما قال هذا تقدم صاعداً إلى أورشليم»... وفعلاً دخل المسيح الهيكل بهيأة ملك، وحال دخوله بدأ في الحال يحاسب و يوبخ و يعنّف المسئولين بسلطان، كملك، مما أذهل رؤساء الكتبة والفريسيين، ولم يدروا أنه كان يعمل عمل الديان...

+ وهنا نلاحظ انقسام الناس عند استقباله إلى فريقين: فريق غاضب وهم الذين يسيئهم مجيء الرب الثاني لأنه سيفضح شر حياتهم، وهؤلاء كان يمثلهم الفريسيون، وفريق فَرِح مهلل وهم الذين يسرهم مجيء الرب لأنه سيعلن برهم، وهؤلاء كان يمثلهم التلاميذ والأطفال والشعب البسيط القلب.

+ وأما طرده الذين يبيعون و يشترون وقلبه لموائد الصيارف، فكان إشارة إلى حرمان الذين استخدموا الدين للتجارة والربح الزمني.

+ أما قلبه كراسي باعة الحمام وطردهم من الهيكل فهو إشارة إلى رفض الرب الذين باعوا مواهب الروح القدس (الحمام)...

+ وأما العنف الذي بدا على المسيح واستخدامه السوط فكان إشارة سرية إلى

---

(١٠) لو١٩: ١١-٢٨.

مستوى الدينونة، الذي سيبلغ منتهى عنفه، عندما تبدأ محاكمة الشيطان علناً هو وكل أعوانه وأتباعه الذين رفضوا أن يملك المسيح عليهم، عندما يطرحهم تحت قدميه، حسب قول القديس لوقا، وهنا سر عنف المسيح الذي بدا في الهيكل.

* * *

يارئيس الحياة وملك الدهور، يامن فديت من الموت نفسي، يامن فككت قيودي...
اليوم في ذكرى موكبك الصاعد، إلى أورشليم، أسير نحو بيتك وأجدد عهودي...
أحمل سعفي وزيتوني لأنصبك ملكاً لحياتي وأهتف أوصنا في الأعالي...
ليس لي أثواب زاهية أفرشها في طريقك، ولكني أطرح حياتي على عتبة بيتك...
أدخل، بالفرح، كنيستك موضع ملكك وأسجد بالخوف أمام هيكلك مكان عرشك...
أقبّل أبوابها وأعتابها وأمسح بترابها جبيني، لعلك ترفع وجهي.
ربي، لا تجعل لي فيها مغنماً ولا نصيباً مع الذين يبيعون فيها و يشترون...
ربي، اليوم أعاهدك: لك كل حياتي، كل أموالي، أوصنا في الأعالي.

عظة يوم الإثنين من البصخة المقدسة

شجرة التين غير المثمرة

«وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع. فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة في الحال» (١).

هذه الآية صنعها يسوع يوم الإثنين
من أسبوع آلامه الأخير.

* * *

تعاليم المسيح تمتاز بالأثر العميق الذي يبقى في النفس إلى الأبد نظراً لما تشمله من تمثيل واقعي، مُدعِّماً أمثاله بأعمال قوية واضحة حتى يُثبِّت في ذهن الإنسان القصد الذي يرمي إليه.

نظر يسوع شجرة تين مورقة على الطريق فجاء إليها ينشد ثمراً ولكنه لم يجد، فلعنها فجفت في الحال. كان لابد أن يكون مع الورق ثمر لأنهما يبدآن معاً، بل أن الثمر تظهر براعمه مبكرة عن الورق. فلما وجدها اخضرت وأورقت ولم تحمل ثمراً حكم عليها بالموت لأنها لم تعد تصلح لشيء إلا للنار حسب القول: «كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار» (٢).

وفي هذا لم يكن يعطف على الفلاح الذي كان يتعب فيها عبثاً، ولا على تعطيل الأرض التي تحملها.

ولم يلعنها لتكون وقوداً لتدفىء الأيدي الباردة، ولكنه قصد ما هو أعظم من هذا، فإنه قصد أن يدفىء بها القلوب الجامدة.

---

(١) مت ٢١: ١٨-٢٠.

(٢) لو ٣: ٩.

من هي الشجرة:

كانت التينة المورقة العقيمة من الثمر رمزاً للأمة اليهودية التي حفظت الشريعة عن ظهر قلب وتممت الطقوس بدقة فائقة وتمسكت بالشكليات إلى أبعد حد! طقوس الكهنوت متممة على أكمل وجه بالزي الفاخر والطيالس والأهداب الطويلة. والكتبة أتقنوا النساخة إلى أبعد حدود الدقة. والفريسيون يشرحون الناموس و يعلمون وصايا بأكثر مما يحتمل الناموس صعوبة وتعقيداً. ذبائح منتظمة و بخور في الصباح والمساء. وفي أفواههم على الدوام نحن أولاد ابراهيم شعب الله المختار، هيكل الله، هيكل الله.

أما قلوب الجميع فكانت بعيدة عن الحق، حفظوا الناموس بأفواههم وليس بقلوبهم. تمموا الطقوس للناس وليس لله. ذبحوا الذبائح ليأكلوا، وقدموا البخور ليرهبوا الناس لا ليمتلئوا رهبة وخشية من حلول الله في بيته.

هذه كانت الأمة اليهودية، شجرة خضراء وجميلة ولكن ليس فيها ثمر... دخل المسيح الهيكل فرآه كما رأى التينة، رآه مغارة للصوص، ونظر إلى الكهنة والكتبة والفريسيين فلم يشكرهم ولم يتركهم بل أعطاهم الويل المضاعف لأنه وجدهم مرائين يأكلون الأرامل ولعلّة يطيلون الصلوات وشبههم بالقبور المبيضة من الخارج وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. فلعن هيكلهم كما لعن التينة «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً»(٣)، حتى أنه لم يبقَ منه حجر على حجر. وظل الهيكل خراباً حتى اليوم ومجمعهم وكهنوتهم معطل حتى هذه الساعة... ذبل الهيكل كما ذبلت التينة حتى جاء معول الرومان واقتلع الهيكل والعبادة اليهودية من أصولها كما وُضعت الفأس على أصل هذه التينة الجافة واقتلعتها يوماً.

ماتت الشجرة ومات الهيكل وظل هذا المثل القوي حياً، سيفاً مسلطاً على كل أمة

(٣) لو١٣: ٣٥.

لا تعمل البر وكل فرد يتمسك بالمظهر دون الجوهر و يفتخر بعقيدته دون أن يفتح قلبه لرب العقيدة!

حسبناه خروفاً فوجدناه ذئباً:

انظر ياأخي لئلا تكون شجرة تين خضراء ولك مظهر العمل والخدمة واستطعت بمظهرك أن تجذب إليك الناس من بعيد، فتوهموا أنك الغني ومعلم النور، وفاتح كنوز المعرفة والماسك بمفاتيح الملكوت... وأنت الفقير العريان الجالس في الظلمة ولم يشرق النور على قلبك بعد، المعرفة على لسانك وليست في قلبك، وقفت على الباب فما دخلت أنت ولا جعلت الداخلين يدخلون... إن كنت أنت هو فاشفق على نفسك وعلى الناس لأن الفأس قد وُضعت على أصل الشجرة... وكيف يقول الناس عنك حينئذ؟ يقولون حسبناه خروفاً فوجدناه ذئباً.

حسبناه أصلاً فوجدناه فرعاً:

انظر ياأخي لئلا تكون شجرة خضراء أخرجت أوراقها قبل أن يتم نموها وتصلح لحمل الثمار فاغترت بأوراقها وليس لها ثمر. لك غيرة على الحق ولكن ليس حسب المعرفة، لك نشاط وجهاد ولكن ليس كمن يرضي الله بل كمن يرضي نفسه والناس!

لازلت تستقي اللبن في معرفة الله وتدّعي أمام الناس بمنظرك وكلامك وتقواك المصطنعة أنك بالغ القامة في المسيح، وقبل أن تشتعل تريد أن تضيء!

إن كنت أنت هو فاحذر لأن البستاني لن يشفق على جمالك وأوراقك وبمنشاره الحاد سيقطع فروعك الكاذبة و يعريك من أوراقك الكثيرة وحينئذ تظهر بين الأشجار صغيراً على حقيقتك. ولكن كيف يقول الناس عنك حينئذ؟ سيقولون حسبناه أصلاً فوجدناه فرعاً.

له صورة التقوى ولكنه أنكر قوتها:

انظر ياأخي لئلا تكون شجرة خضراء نمت في تربة قليلة العمق فاخضرت وأورقت

وإذ ليس لها عمق طلعت الشمس فضربتها والجفاف مصيرها. عمّق ياأخي في الأساس لئلا يكون تعبك باطلاً وجهادك كله للحريق. أرسل جذورك قبل أن تخرج أوراقك. انعكف على نفسك أولاً وتطهر من أدناسك وخطاياك وغشك وريائك، تأصل أولاً في معرفة الله وحينئذ تقوى على شمس التجارب وأعلم أن إبليس أسد زائر[٤] ولن يقف أمامه ضعاف النفوس الغاشون لأنفسهم ولكلمة الحق غير المتأصلين في معرفة الله، إذ يضربهم ضربة لا يكون لها شفاء فتكون الظلمة أحب إليهم من النور والدنس أسهل عليهم من شرب الماء والغش والمكر والخداع دروعهم التي يتحصنون بها.

فتّش ودقّق ربما أنت واحد منهم ولكن كيف يقول الناس عنك حينئذ؟
يقولون كانت له صورة التقوى ولكنه أنكر قوتها.

ياأسفي على هذه الأشجار التي أخضرت للحريق وولدت للعنة، ياليتها ما أخرجت ورقاً لأنها اكتفت بالأوراق دون الثمر وخدعت الناس للمجيء إليها فأتعبتهم بلا طائل. صاروا لعنة لأنفسهم وضلالة للناس.

وأنت أيها الشجرة الخضراء المورقة اعلم أن المسيح قادم إليك مع شهود ليرى فيك ثمراً؟ هل وراء أقوالك وأعمالك ثمار الروح: إيمان وحب وحق وفرح وسلام فيه؟ مع تواضع وإنكار للذات وحرارة في الصلاة؟

الرب قادم إليك:

الرب قادم إليك لأنه جوعان، جوعان إلى ثمارك. أما أوراقك فإنها مُرة لا تؤكل ولن ينتفع أحد بها. إنه جوعان لحبك، جوعان لطهرك وعفافك وقداستك، جوعان لثقتك فيه جوعان لصومك وصلاتك.

---

(٤) ١بط ٥: ٨.

ثمن الدم والجسد:

إنه طعَّمك بدمه كيف لم تخرج رائحته منك، إنه أطعمك جسده كيف لم تثمر بعد؟

إنه سقاك بعرقه المتصبب من جبينه وسيَّج حولك بإكليل الشوك ليحميك من أعدائك فما هو عذرك؟ الفرصة أمامك اكتشف نفسك بنفسك ولا تخدع ذاتك أو تحاول أن تخدع الله!

أنت نجحت فقط في كيف تخدع الناس... أما عين الله فلن تخدع قط وهو قادم ليطلب الثمر ثمن الجسد والدم! حدد موقفك وإلا فلا تلُمْه إن هو لعن التينة!

لم يلعن المسيح شيئاً قط، لم يشأ أن تنزل نار من السماء وتأكل المضادين، كما أشار عليه أحد تلاميذه، ولم يلعن ضاربيه أو صالبيه بل كان مبدأه دائماً فتيلة مدخنة لا تُطفأ وقصبة مرضوضة لا تُقصف(٥)، ولكنه لم يحتمل التينة الكاذبة غير المثمرة.

(٥) مت١٢: ٢٠.

عظة يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة

العشر عذارى

«جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأُغلق الباب» (١).

كان يوم الثلاثاء مليئاً بالتعاليم، ولكن مثل العشر عذارى كان تأكيداً لمجيئه الثاني.

* * *

انتظرت العذارى معاً طويلاً، ولم يكن أحد يستطيع أن يفرق بين الحكيمات منهن والجاهلات، فالمصابيح كانت في أيديهن موقدة وظلت موقدة طويلاً حتى منتصف الليل.

وقبيل منتصف الليل بقليل ظهرت علامات التعب عليهن جميعاً فتثقلن بالنوم. غير أن خمساً منهن تهامسن مع بعضهن **أنه لا فائدة من السهر**، فالعريس لن يحضر، لقد أتعبنا أنفسنا وخسرنا زيتنا عبثاً، وحينئذ اتفقن معاً في جهالة أن يطفئن مصابيحهن وينمن، وكان نومهن عميقاً **كمن ينام نوم الموت**.

أما الخمس عذارى الأخريات فكن قد تعبن بالجسد فقط، أما الروح فكان نشيطاً. فجمعن زيتاً في أوانٍ تكفيهن، ونمن، ولكنهن كن مستعدات وصح فيهن قول الكتاب: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ» (٢).

جاء العريس بالرغم من الإنتظار الطويل، وبعد أن انتصف الليل سمعن صوته وصوت المهللين لقدومه. فياالحسرة الجاهلات وياالخيبة أملهن، وياالفرحة المستعدات وياالسعادتهن!

---

(١) مت٢٥: ١٠. (٢) نش٥: ٢.

قامت الجاهلات وحاولن عبثاً أن يشعلن مصابيحهن فوجدن الزيت قد فرغ.
وقامت الحكيمات وأخذن من مخازن زيتهن وأشعلن مصابيحهن فأضاءت، وأضاءت وجوههن من الفرح.

سيأتي المسيح ومجيئه أشد تأكيداً لنا من مجيء العريس عند الحكيمات. نعم سيجيء بعد منتصف الليل، بعد انتظار طويل، بعد أن يفرغ علمنا وفهمنا وتقديرنا، عندما نستسلم له بقلوبنا فقط، عندما نهدىء هذا العقل ونشفق على هذا التفكير وندعه جانباً، هذا هو النوم الحقيقي، نوم اليقظة، الذي فيه تكون الروح نشيطة، عندما نهمل كل أمور هذا الجسد وننتظر بالروح مجيء العريس السمائي.

المستعدون:

إن مجد المستعدين سيبدأ عندما يظهر العريس لأن وجهه سيشرق لهم فيجعل وجوههم تضيء بالمجد، حينئذ سيكونون معه حيث يكون هو، لن يفرقهم عنه زمان أو مكان، فعندما يظهر سيكونون معه في الحال ولن يفصلهم عنه شيء. «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني» (٣).

نعم سيقود المسيح الذين اشتركوا معه في آلامه، وصبروا واحتملوا وخرجوا من ضيقة هذا العالم ظافرين، إلى السعادة الأبدية، سيقودهم بنفسه ليشتركوا معه في مجده لأنهم ذاقوا آلامه وغسلوا خطاياهم بدمه واستحقوا أن يعيشوا معه إلى الأبد، ومصدر سعادتهم أن يروا وجهه كل حين و يفرحوا معه في وليمة عيد الأبدية؟!

ما أجمل حفلة العرس الأرضية وما أبهج أعياد الناس، فكم وكم تكون حفلة عرس السماء وعيد الله في الأبدية... من يستطيع أن يتصور مقدار سعادة المدعوين إليها؟ وإن كان الفكر يعجز عن وصف هذه السعادة، فكيف أستطيع أن أتكلم عن العلاقة

---

(٣) يو١٧: ٢٤.

السرية الإلهية التي ستربط العريس بعروسه! وعروسه هم المدعوون الذين خطبهم لنفسه وطهرهم جداً حتى يتحدوا به إلى الأبد بلا مانع...

من هم المستعدون؟

ـــ هم الذين تعبوا وأشقاهم الحاضر ولبسوا عُدَّة الجندية وانجرحوا، ولكنهم جاهدوا حتى الدم ولم يلقوا السلاح فدافعوا عن إيمانهم وعقيدتهم واعترفوا بسيدهم ولم ينكروه، ولما طلب العدو رقابهم قدموها بفرح ثم دخلوا معه إلى العرس.

ـــ هم الذين أبغضوا أنفسهم وازدروا بالعالم، فتركوه وراء ظهورهم مستهينين بمجده وعاشوا «معتازين مكروبين مذلولين... تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم»(٤).

وذلك من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح، ولما دعاهم دخلوا معه إلى العرس.

ـــ هم الذين تعبوا في الكرم وخدموا بأمانة، رعوا الرعية وسهروا عليها، ولم يتركوا خروفاً واحداً ليخطفه الذئب بل كانوا مستعدين أن يفتدوه بأنفسهم، أطعموا المسكين، وسندوا الضعيف، وحاموا عن الأرملة واليتيم، وأشبعوا الخراف من التعاليم الحية، وورووها بمعرفة القدوس ومحبته، وكانوا قدوة للخراف في العفة والطهارة والقناعة وإنكار الذات، وحينئذ دعاهم وأعطاهم الأجرة أن يدخلوا معه إلى العرس.

ـــ هم الذين جاهدوا ضد الخطية، ولم يكن في فمهم غش، وحفظوا أجسادهم بلا دنس، وعاشوا أطهاراً فاستحقوا أن يدخلوا معه إلى العرس.

ـــ هم الذين أخطأوا وزلوا وسقطوا، في جهل وفي ضعف، ولكنهم بشجاعة قاموا وتابوا وغسلوا ذواتهم بدموعهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف، فولدتهم التوبة الأم الجديدة، ولدتهم أبكاراً بتوليين من جديد، كما خرجوا من بطون أمهاتهم، وحينئذ صاروا أهلاً أن يدخلوا معه إلى العرس.

---

(٤) عب ١١: ٣٧، ٣٨.

«وقال لي أكتب طوبى للمدعو ين إلى عشاء عرس الخروف»(٥).

نعم طوبى لمن كان نصيبه مع هؤلاء، لأنه سيكون مع المسيح إلى الأبد.

وأُغلق الباب:

ما أصعب هذه العبارة وما أقساها! ليس لهم نصيب مع المسيح لأنهم سيُحرمون منه إلى الأبد. ولكنها في ذات الوقت حلوة عند المدعو ين لأنها تفيد أنهم لن يحرموا منه أبداً!

فالباب أُغلق في وجه المطرودين حتى لا يرون وجهه، وأُغلق أيضاً حتى لا يخرج المدعوون من حضرة العر يس إلى أبد الآبدين.

هؤلاء يذهبون إلى الظلمة الخارجية حيث الندم والحزن والكآبة وصر ير الأسنان، وهؤلاء يدخلون إلى فرح سيدهم ينعمون و يعيدون عيد الأبدية.

المطرودون:

هم الذين لم يجدوا ز يتاً في مصابيحهم عندما أقبل العر يس، فذهبوا يبحثون عن الز يت في غير وقته، فلم يجدوا ز يتاً ولم يجدوا وقتاً، فعادوا و وجدوا الباب مغلقاً.

هل ستكون من بين المطرودين أيها السامع وأيها القارىء؟

يا الأسى و يا الحزني ان كنت قد وضعت في نفسك أن تستهين بالدعوة. إني أصلي من أجلك وأطلب من الله أن لا يكون نصيبك في الظلمة الخارجية بين المحرومين من نعمة الوجود مع الله... بل ينسكب روح الله فيك ليغير قلبك لتقدّر أهمية الدعوة التي دعيت اليها مع المسيح.

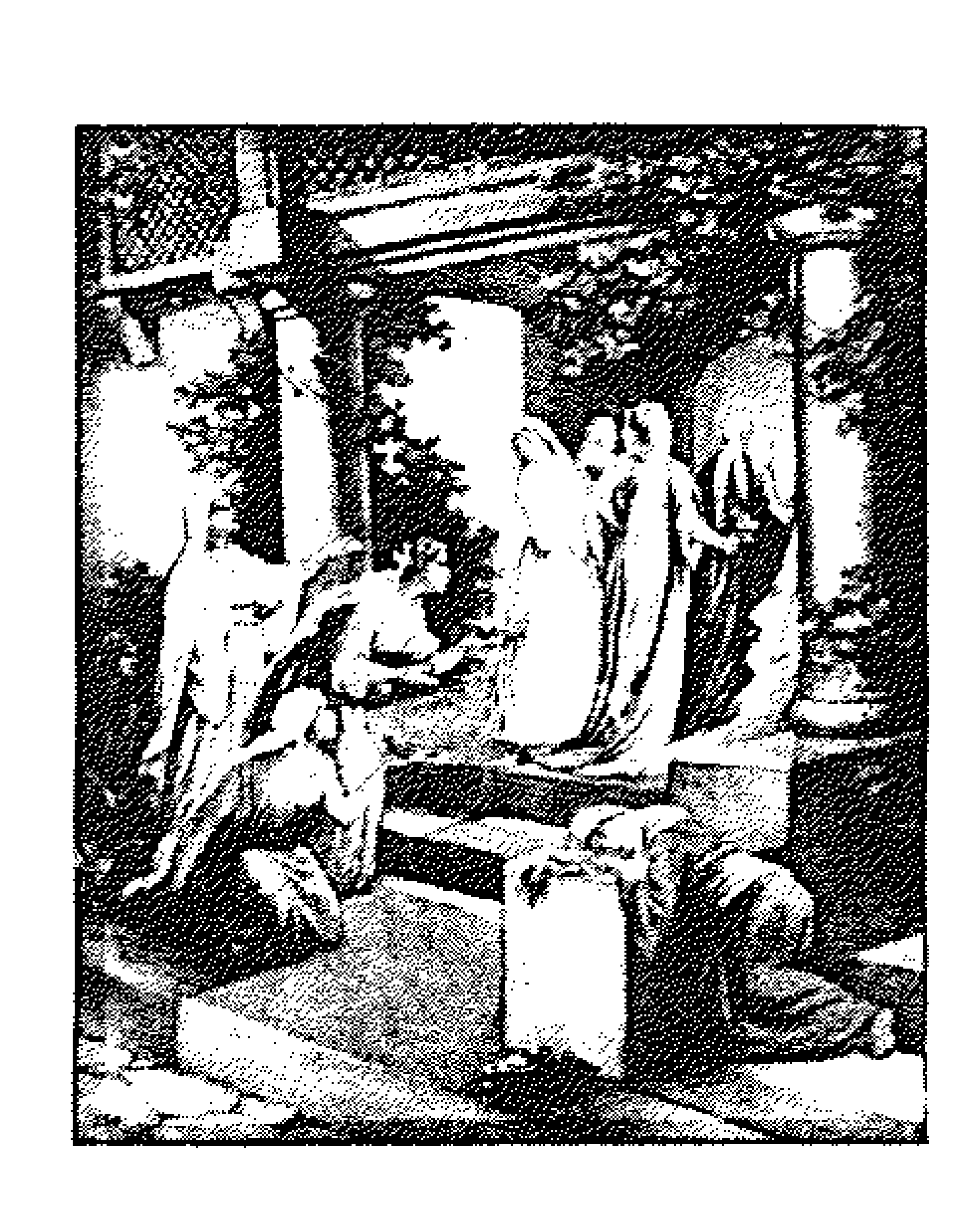
يا ليت للمطرودين شكلاً خاصاً حتى نعرفهم ونميزهم، أو حتى نتوسل اليهم ونرجوهم أن لا يختاروا هذا النصيب المشئوم.

---

(٥) رؤ١٩: ٩.

ولـكـن ليس تفرقة قط ولا تمييز بين المدعو ين و بين المطرودين حتى مجئ العر يس إذ هم عذارى ولهم مصابيح واحدة وساروا معا في ذات الطر يق وسهروا معا وناموا معا واستيقظوا على صوت العر يس معاً، وقاموا ليصلحوا المصابيح معاً، ولكن ياللحسرة لم يكن لبعضهم ز يت لينيروا به، هنا ابتدأ المصير يتقرر، فالنعمة العاملة في القلوب هي التي تشملنا لنضيء وتؤهّلنا للقاء العر يس. هذا هو الز يت الذي أهّل العذارى الحكيمات للدخول مع العر يس ... وهو الذي افتقدته العذارى الجاهلات فلم يجدنه .

إجمعوا لكم ز يتاً قبل أن ينتصف الليل فلا تجدونه يا أحبائي .



عظة يوم الأربعاء من البصخة المقدسة

تذكار المحبة

«فأخذت مريم مناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها» (١).

أمضى يسوع هذا اليوم في بيت عنيا في خلوة حيث تقبل من مريم هديتها .

***

هناك خدمات وأعمال نعملها باسم الله نحو الفقراء والمحتاجين . وهذه الأعمال ممدوحة ومشكورة لأنها صادرة من شعور بالرحمة والتضحية .

وهناك أعمال نعملها مع الله مباشرة ، وهذه لا تُرى ولا يسمع بها الناس ، وهي أعظم من أن تُمدَح أو يُشكر عليها ، لأنها صادرة عن حب داخلي من القلب نحو الله .

الأعمال الأولى نُمدح عليها من الناس ، وربما لا نُمدح عليها من الله ، اذا كانت قد عُملت من أجل مديح الناس وشكرهم وتعظيمهم لنا . أما تقدمة قلوبنا لله بأعمال المحبة المباشرة نحوه فهذه تكون صادقة ليس فيها غش أو رياء ، يقبلها الله كما قبل الطيب المسكوب على جسده من مريم ، هذه إذا رآها الناس أو شعروا بها فإنهم يرذلونها أو على الأقل يغتاظون « وكان قوم مغتاظين في أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا »(٢).

---

(١) يو ١٢ : ٣

(٢) مر ١٤ : ٤ .

محبة التمجيد:

ما أقل الصادقين في حبهم نحو المسيح الذين يعملون ويخدمون، لا من أجل الناس ولا من أجل أنفسهم، وإنما بدافع الحب العميق للمسيح المتأجج في قلوبهم.

حينما تقدم صدقتك للمسكين، أتشعر أنك تقدمها للمسيح بدافع الحب له؟

حينما تصلي وتسبِّح مع المصلين، أتشعر أنك تخاطب الله بقلبك؟

حينما تحب أهلك وأصدقاءك ومعارفك، هل تشعر أن دافع المحبة مصدره حبك للمسيح؟

حينما تتقدم على المذبح للتناول من جسد الرب ودمه، هل تشعر أنك له وهو لك، يربطكما رباط المحبة الخالدة؟

إن كانت أعمالك مصدرها حبك للمسيح، فثق أنك تمجد الله بمحبتك وأعمالك وقد صارت لك هذه كلها بخوراً زكياً أمام الله كل حين.

أما إذا كانت أعمالك بدافع الواجب أو المجاملة للناس أو الفخر، فثق أنها كلها خسارة وقد صارت كالسقط الذي يولد ميتاً.

تمجيد المحبة:

تقدمت المرأة الخاطئة بقارورة طيب كثير الثمن وسكبته على رجلي المسيح ومزجته بدموعها ومسحته بشعرها، فقال عنها المسيح أنها أحبت كثيراً ولذلك غُفرت لها خطاياها الكثيرة(٣).

وتقدمت مريم أخت لعازر بقارورة طيب كثير الثمن أيضاً ودهنت به قدمي المسيح ومسحت قدميه بشعر رأسها، فقال عنها أنها كفنت بالطيب جسده.

---

(٣) لو٧: ٤٧.

ما أكثر الحب الأول، فقد استطاع أن يكفِّر عن كل الذنوب والخطايا السالفة.
وما أروع الحب الثاني، فقد استطاع أن يكفِّن جسد المسيح ذاته!
الحب الأول عاد بالخير على صاحبته، والحب الثاني كان للمسيح بلا مقابل.
ما أمجد الحب الخالص الذي بلا مقابل و بلا ثمن!
جيد أن نحب المسيح لأنه افتدانا من اللعنة والخطية وسلطان الموت.
وجيد أن نحب المسيح لأنه فتح لنا باب الفردوس الذي كان قد أُغلق في وجوهنا.

جيد أن نحب المسيح الذي أهّلنا أن نشترك معه في مجده الى الأبد.
ولكن أعظم من هذا كله أن نحب المسيح «لأنه هو أحبنا أولاً»(٤)!

محبة غالية:

من هي مريم التي قدمت قارورة طيب بثلاثمائة دينار؟ لم تكن ملكة ولا أميرة أو حتى ذات أموال، بل إمرأة فقيرة، ولكنها جمعت كل أموالها واشترت زجاجة طيب... إنه جنون المحبة الذي هزأ به يهوذا اللص الخائن، وقال عنه إنه إتلاف، أما المسيح فمدحه جداً... يهوذا قدّره بالمال وثمّنه كخبير في الأسعار بثلاثمائة دينار، أما المسيح فقدّر المحبة التي فيه فوجدها تفوق الأرض وما عليها.

إن كل خدمة نؤديها أو عطية نعطيها أو كلمة نقولها سوف يزنها المسيح بميزان الحب، وحينئذ تكون المكافأة والمجازاة، لا عن مقدار الخدمة أو عظم العطية أو قوة الكلمة، وإنما عن صدق المحبة التي دفعتنا إلى ذلك.

محبة ناضجة:

لم يكن شعوراً طارئاً ذلك الذي دفع مريم لتقديم هديتها، ولكنه شعور بدأ عندما كانت تجلس عند قدميه، وعلمت منه سراً أنه سيموت بأيدي رؤساء الكهنة واليهود،

---

(٤) ١يو٤: ١٩

وأيقنت من كلام السيد أن هذا لابد أن يكون... حينئذ ابتدأ حبها ينفعل فيها لتقدم له شيئاً يليق بموته!!

ومنذ تلك اللحظة وهي تجمع كل ما لديها حتى اشترت قارورة الطيب التي أذابت فيها كل مشاعر المحبة ، وحفظتها عندها الى أن يحين الوقت : « فقال يسوع اتركوها إنها ليوم تكفيني **قد حفظته** »(٥) .

هذه هي المحبة التي محَّصها الزمن ، فقويت . وهاجمتها شكوك النفس ، فثبتت . وقامت ضدها حاجة المعيشة فغلبت!

كثيراً ما نتقدم بعمل من أعمال المحبة وإذ تُتْرك لنا الفرصة قليلاً نتردد ، وإذا طال الزمن نبرد ، فاذا طولبنا بوعدنا نرفض !

ياليت حبنا يكون ناضجاً عنيداً نحفظه في قلوبنا لوقته فلا تزيده الأيام إلا قوة وتأكيداً .

قدمت مريم هديتها في اللحظة المناسبة ، إذ بعد أن دهنت رجليه بالطيب ، قام وذهب ليصلب وترك بيت عنيا ولم يعد إليها .

الفرص أمامك ياأخي ، ولا تستشِرْني ماذا أقدم للمسيح لأن مريم لم تستشر أحداً إلا قلبها .

محبة صامتة :

مريم حفظت الطيب عندها سراً ، وقدمته صامتة ، ولم تتحدث عنه بعد ذلك لأحد .

يامن تحب المسيح ، تعلَّم من مريم...

---

(٥) يو ١٢: ٧

عظة يوم خميس العهد

الجسد المقدس والدم الكريم

هـذا هو اليوم الفاصل بين عهدين، الـذي أسس فيـه الـسيد المسيح سر التناول.

«وفيما هـم يأكلون أخذ يسوع الخبز و بارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هـذا هـو جـسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»(١).

يومان في تاريخ البشرية هما كل التاريخ.

الـيوم الأول كان بعد الطوفان الذي أهلك كل بني البشر إلا نوحاً وأولاده، يوم أن عـاهـده الله أنه لا يعود يلعن الأرض أو يميت كل حي فيها... وكانت علامة العهد قوساً يظهر في السماء بعد كل مطر شديد علامة لرضى الله...

والـثاني هـو الـذي نصنع تذكاره اليوم، وفيه جلس يسوع مع تلاميذه وكشف لهم عن سر العهد الجديد في مغفرة الخطايا ونوال الحياة الأبدية.

كان العهد الأول ضماناً لإستمرار الحياة البشرية على الأرض.

وكان العهد الثاني ضماناً لنوال الحياة الأبدية بعد الموت!

جسدي ودمي:

خـرج آدم مـن لـدن الله وقـد فارقته النعمة الإلهية بسبب مخالفته، فدخلت الخطية جسده وأظلمت روحه المنيرة التي كان يرى بها الله.

(١) مت٢٦: ٢٦ــ٢٨.

وهكذا عاش بعيداً عن الله غير لائق لميراث الملكوت... إلى أن جاء المسيح، فكان لابد أن يطهّر الجسد و يعطيه سلطاناً على الخطية و يقدّس الروح لتؤهّل لرؤ ية الحياة الأبدية.

ابتدأ المسيح يعلم تلاميذه، فتغيرت أذهانهم. وقدم لهم الآيات والمعجزات، فآمنوا به وعلموا يقيناً أنه هو يسوع المسيح ابن الله الحي... ولكنهم ظلوا كما هم تحت سلطان الخطية بعيدين عن الحياة الأبدية، فلا التعليم استطاع أن يطهر الجسد ولا الإيمان وحده كان كافياً لكي يقدس الروح... إلى أن جاء هذا اليوم الأخير الذي كلل فيه تعاليمه ومعجزاته بتقدمة جسده ودمه للأكل والشرب، بسر عجيب، حتى نتغيّر بهما إلى حالة الطهارة والقداسة بقوة اللاهوت الكائن فيهما.

بهذا صارت البشر ية مرة أخرى مهيأة لحياة الشركة مع الله وللحياة الأبدية.

خذوا كلوا... اشربوا منها كلكم:

ما أعظم هذا النداء ليس هو رجاء ولا دعوة ولكنه أمر.
ليس لنا أن نقول لا... مهما كنا خطاة أردياء لأننا كلنا خطاة أردياء.

وليس ولا واحد بمستحق هذه العطية التي يصير بها واحداً في المسيح.
أراد بطرس أن يرفض غسل رجليه بيدي السيد المسيح تواضعاً منه فانتهره المسيح قائلاً: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب...» (٢).

أقول أنها ليست دعوة ونحن أحرار في قبولها أو رفضها، كلا، لأن في قبولها حياة وفي رفضها موتاً، والرب لا يشاء موت الخاطىء بل بالأحرى أن يرجع و يتوب إليه.

لقد جاء المسيح ليعطينا جسده ودمه فكل من لا يأخذ من جسده ودمه فالمسيح ليس له، وإن كان المسيح ليس لنا فليس لنا رجاء بل ونكون أشقى الناس.

---

(٢) يو١٣: ٨.

ألا تريد أن تتخلص من خطاياك، ألا تريد أن تحيا حياة مقدسة، ألا تريد أن يستضيء ذهنك بالمعرفة الروحية؟ ليس من سبيل إلا أن تأخذ المسيح فيك لتحيا به لأننا لسنا كفاة من أنفسنا.

إني متعجب من ذاتى كيف أعطِيَ لي أنا الإنسان الحقير الترابي الخاطيء أن آخذ المسيح فيَّ! آخذه كله في داخلي؟ لست أستطيع ولا أحد بمستطيع أن يفسر هذا لأنه فوق الفهم والتفسير، ولكني أؤمن به فهو إنجيلي... وهو نفسه قال خذوا كلوا هذا هو جسدي!!

إني لست أجترىء على شيء ليس هو لي، ولكنه هو الذي قال لي: خذ كلْ.
آدم أخذ من الشجرة التي قال له الرب لا تأكل منها فأكل ومات!
وها هو المسيح يقول لي خذ كُلْ لتحيا... فكيف لا آكل؟؟

كلوا... اشربوا:

ليس هناك عملية يمكن أن نتحد بها مع المسيح مثل أن نأكله ونشربه! فيتحد الجسد بأجسادنا والدم بدمائنا و بعدئذ لا شيء في الوجود بمستطيع أن يفصلنا عنه إذ يكون المسيح قد دخل إلى أعماق أعماقنا.

ما أسهل أن نأكله وما أسهل أن نشربه وما أصعب أن ننفصل عنه بعد أن نأكله ونشربه.

لمغفرة الخطايا:

هذا هو الجسد والدم الذي حمل جميع خطايا العالم، فذابت وتلاشت كما تذوب أوساخ الناس في البحر والبحر كما هو لا يتسخ، وكما تموت الميكروبات في أشعة الشمس والشمس باقية لا تتلوث!

إن خطية واحدة قادرة أن تحطم حياة الإنسان إلى الأبد، ولكن جميع الخطايا التي

اقترفتها البشرية في الأجيال السالفة والتي ستقترفها في الدهور القادمة وُضعت كلها على السيد المسيح، فذابت وتلاشت كما تتلاشى قطرة الماء على قطعة حديد محماة بالنار.

إن مقدار قدرة الجسد والدم على مغفرة الخطايا تجل عن الوصف والتقدير. ولكي نستطيع أن ندرك شيئاً من قوتها، علينا أن نتأمل في مقدار الخطايا التي اقترفناها منذ صبانا.

كيف امتلأت أفواهنا بالكذب والرياء والغش، وقلوبنا بالحسد والحقد والغضب والمكر والخداع وأفكار الشر والشهوة والدنس.

نعم هذه كلها التي نتذكرها والتي لا نتذكرها يستطيع الجسد والدم أن يمحوها مع توبة صادقة... أي مقدرة هذه؟ إني متعجب!!

لو أنك شهدت شهادة زور أمام المحكمة وأُخذ بها وعوقب المتهم البريء، فإنك لا تستطيع أن تصلح الأخطاء التي حدثت ولا الآثار التي ترتبت على هذه الخطية مهما أوتيت من حكمة ومقدرة... ولكن هذه وأعظم منها يستطيع دم المسيح أن يمحوها بكل آثارها...

طوبى للذين «غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف» (٣).
هلم ياخطاة يامن أثقلتكم الخطية بقيودها وعاداتها المرة...

هلموا إلى بحر رحمة المسيح وشمس طهارته لتغتسلوا وتتطهروا.

«إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف» (٤).

---

(٣) رؤ ٧: ١٤.

(٤) إش ١: ١٨.

عظة يوم الجمعة العظيمة

أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليصلب

في هذا اليوم تمت جميع النبوات والرموز. يوم تكدست فيه جميع أنواع المظالم والقسوة ليتم كل المكتوب عنه.

* * *

كانت محاكمة يسوع والسعي في سفك دمه أموراً تجري بغاية السرعة لأن حقد رؤساء الكهنة والفريسيين عليه كان شديداً، حتى أن كل لحظة تأخير كانت تزعجهم. وكان كل غرضهم أن يتخلصوا منه حتى يتفرغوا للتمتع بالعيد والإحتفال به...

كان سخطهم عليه شديداً لأنه كشف ما بداخلهم لأنفسهم وللناس فلم يطيقوا رؤ يته أو احتمال بقائه.

كانوا قساة ولكنها قسوة مملوءة بالخوف والرعب منه، فأرادوا أن يتأكدوا من موته بأنفسهم، ولما مات ظلوا مرتعبين أيضاً لئلا يعود فيقوم كما سبق وقال لهم... كم من معاندين ليسوع المسيح اتصفوا بالجرأة والقحة في أساليب مهاجمتهم له ولأولاده في كل العصور، ولكن كان دائماً في قلوبهم رعب من سطوته أشد من رعبة اليهود الذين قتلوه...

أصلبه أصلبه:

كان الشعب ضحية القيادة العمياء، وكان المال أصل البلاء.

فهؤلاء الذين استقبلوه بأجمل مما يُستقبل به الملوك، استطاع رؤساء الكهنة بمالهم وسلطان كهنوتهم أن يجعلوهم يصرخون في وجهه: «أصلبه أصلبه»(١)!

---

(١) لو٢٣: ٢١.

نسوا إحساناته ومواساته... أين معجزاته! أين الذين أقامهم من الموت، أين الذين شفاهم من البرص والشلل والعمى والصمم، أين الذين أعتقهم من قيود الشيطان، أين الخمسة آلاف الذين أطعمهم في الجبل وأشبعهم من تعاليمه! أين تلاميذه، أين الشجاع بطرس... هربوا، هربوا كلهم! ما أحقر المثل والمشاعر التي قدمتها البشرية نحو مخلصها في يوم آلامه!! ولو كنا نحن في أيامهم لعملنا كما عملوا، وربما أردأ مما عملوا، لأننا بدونه لا نساوي شيئاً.

ابكين على أنفسكن(٢):

لم يقبل المسيح بكاء النسوة عليه... رفض أن يتقبل مشاعر الأسى والحزن نحوه لأنه كان «مجروحاً لأجل معاصينا مسحوقاً لأجل آثامنا. أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً» (٣).

لم يتألم لأنه كان مستحقاً للألم، ولم يُصلب من أجل ذنب عمله حتى يتقبل تعزية الناس له.

أخشى أن نخطىء في هذا اليوم ونحزن أو نبكي كبكاء النسوة ظانين أنه تألم من أجل نفسه... إنه جيد أن نبكي على أنفسنا وعلى أولادنا لئلا تكون كل هذه الآلام التي قاساها السيد عبثاً، إذ نكون بجهالتنا قد ابتعدنا عنه بقلوبنا، فنُحرم من المجد الذي أعده لنا بآلامه!

إن كل ضربة وكل إهانة وكل ألم عاناه المسيح على الصليب كان من أجل كل فرد من البشرية في ماضيها وحاضرها، ليرفع عن كل واحد منا الحكم الذي كان لابد أن يوفيه...

إنها لم تكن آلام المسيح في الحقيقة ولكنها آلامي وآلامك المستحقة علينا، نعم فلنبكِ على أنفسنا...

---

(٢) لو٢٣: ٢٨.   (٣) إش٥٣: ٤، ٥.

«فخرج وهو حامل صليبه» (٤).

يوحنا الرسول يوضح لنا أن سمعان القيرواني لم يحمل الصليب كل المسافة، إذ قام المسيح بحمل صليبه في الأول ولما سقط تحت الصليب رفعوه عنه وأعطوه لسمعان القيرواني، لا رحمة بالمسيح، وإنما خوفاً لئلا يموت في الطريق فلايتممون شهوة حقدهم وغيظهم بصلبه!!

أود لو نتأمل لماذا سقط السيد المسيح تحت الصليب:
لقد أمضى نصف الليل في جثسيماني في الصلاة وكان عرقه يتصبب كقطرات دم...
ثم جاء يهوذا مع أعوانه وقبضوا عليه وقدم وحوكم أمام مجلس السنهدريم.
ثم ذهبوا به موثقاً لبيلاطس ليصادق على الحكم، فاستهزأ به ثم أرسله إلى هيرودس، وبعد فحصه أعاده هيرودس إلى بيلاطس مرة أخرى، حيث ضغط رؤساء الكهنة على بيلاطس بإثارة الشعب وبتهديده بمكر أنه إذا أطلقه يكون عدواً لقيصر! فأسلمه لهم ليصلب بعد أن هزأ به عساكر الرومان غلاظ القلوب وجلدوه ووضعوا على رأسه إكليل الشوك وحينئذ خرج وهو حامل الصليب!!

كم مرة خار في الطريق؟ لا ندري... كم مرة أُغمي عليه؟ لا ندري... إنها أُخفيت عنا ولم تُذكر لأنها أقسى من أن توصف!!

احملوا هذا الشرف:

نعم احملوا الصليب، لا أقصد هذه الصلبان الذهبية المتلألئة على صدوركم علامة البذخ والترف، وإنما أقصد صليب الموت!! لأن ليس للصليب معنى إلا الموت...

يسوع المسيح حمل الصليب لأنه كان مستعداً أن يموت عليه.
فكل من يحمل الصليب ولا يكون مستعداً أن يموت عليه فهو كذاب منافق، لم

(٤) يو١٩: ١٧.

يكذب على الناس وإنما على الصليب...

من يحمل الصليب عليه أن يستعد للموت، ومن استعد للموت عليه أن يحتمل آلام الصلب وما قبل الصلب. فقبل أن تحمل الصليب أعدد نفسك للآلام!

طوبى للإنسان الذي لا يخشى الموت، وأسعد منه هو الإنسان الذي مات عن العالم وصلب أهواءه مع شهواته!

شعر بذلك القديس أغسطينوس فقال: «وقفت على قمة العالم حينما شعرت في ذاتي أني لا أشتهي شيئاً ولا أخاف شيئاً».

ياأبتاه اغفر لهم (٥):

هذا هو تاج الصليب أن نُصلب نحن، ولكن لا نَصلِب أحداً معنا!!

كان لابد أن يقول المسيح هذا و يطلب المغفرة لصالبيه حتى لا يكون في صلبه صلبٌ لأحد، ولا يكون في موته موتٌ لأحد، بل يموت هو ليعطي الحياة لجميع الناس!!

هذا هو الذي قال لنا: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم» (٦).

احملوا الصليب ياأحبائي. ولكن أعود فأقول ليس صليب الذهب ذو السلاسل الجميلة ولكن صليب الموت، الموت عن العالم، الصليب ذو الآلام وذو الصفح والغفران.

---

(٥) لو٢٣: ٣٤.

(٦) مت٥: ٤٤.

القسم الثالث

كتاب

دراسة لآلام الرب

من الإنجيل والأسفار

(سنة ١٩٧٩)

الرب يسبق و يصف آلامه المزمعة بدقة مدهشة ثم تتم بنفس الدقة التي أنبأ بها

لقد اقتصرنا فيما مضى لتوضيح آلام الرب، كما جاءت في الإنجيل، على أقوال الرب المباشرة عن آلامه المزمع أن يواجهها، والتي تتلخص في ثلاثة مواضع متلاحقة من إنجيل مرقس الرسول كالآتى:

الموضع الأول: ٨: ٣١: «وابتدأ يعلّمهم أن إبن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً **و يُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة** و يُقتل و بعد ثلاثة أيام يقوم».

الموضع الثاني: ٩: ٣١: «لأنه كان يعلّم تلاميذه و يقول لهم إن إبن الإنسان **يُسلم إلى أيدي الناس** فيقتلونه، و بعد أن يُقتل يقوم في اليوم الثالث.

الموضع الثالث: ١٠: ٣٣، ٣٤: «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، **فيحكمون عليه بالموت، و يسلمونه إلى الأمم، فيهزأون به** ويجلدونه و يتفلون **عليه**، و يقتلونه، **وفي اليوم الثالث يقوم**».

ويمكن تقسيم حوادث الآلام والموت التي ذكرها الرب إلى ست مراحل:

١ ـــ يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة + (يُرفض من الشيوخ).

٢ ـــ فيحكمون عليه بالموت.

٣ ـــ ثم يسلّمونه للأمم.

٤ ـــ فيهزأون به، ويجلدونه، و يتفلون عليه. (يسلَّم إلى أيدي الناس).

٥ ـــ و يقتلونه.

٦ ـــ وفي اليوم الثالث يقوم.

وفي الحقيقة نجد أن ما ذكره الرب عن آلامه المزمعة، حدث بالفعل و بالدقة المتناهية وبحسب الترتيب الزمني الذي ذكره الرب.

والعجيب بالنسبة للأبحاث الحديثة في تحليل ونقد الإنجيل، أن العلماء الذين طرحوا جانباً جوهر الإيمان كلاً وجزءً، يُعزون سرد الحوادث بهذه الدقة إلى أن كتابتها تمت بعد تكميلها(*)، وكأن الإنجيل تاريخ ملفَّق. ولكن حقيقة الإنجيل التي نعيشها بالإيمان هي العكس تماماً، أي **لأن الحوادث تمت بنفس الدقة والترتيب الذي ذكره الرب سابقاً فإنها تحسب كعمل من أعمال النبوة. ومن هنا يأخذ الإنجيل إحدى خصائص قوته الروحية والهامة وهيبته كإنجيل نبوات مكمَّلة.**

فالذي حدا بالرسل إلى تقديس حياة الرب وأقواله وأعماله وإلى كتابة الإنجيل عامة وذكر حوادث الآلام خاصة، هو اندهاشهم وتأثرهم البالغ من أن **كل ما قاله الرب تم بالفعل وبنفس الدقة** التي ذكرها: «**وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا المكتوب** (وهذا بداية السلطان الذي كُتبت به الأناجيل)، وقال لهم **هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث**... وأنتم **شهود لذلك**» (لو٢٤: ٤٤-٤٨). (كتابة الإنجيل شهادة لِمَا قيل ولِمَا تمَّ بالحق وبالفعل).

وفي إنجيل يوحنا يكشف الإنجيل عن الصلة الأمينة والدقيقة والترابط الصادق والمخلص والمؤازَر بالإلهام، بين كل ما قاله وما عمله المسيح قبل الموت والقيامة وبين ما تم بالفعل بحسب كل ما قاله وفعله بحسب الإنجيل هكذا: «**فلما قام من الأموات تذكَّر تلاميذه أنه قال هذا فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع**» (يو٢: ٢٢). وهذه الآية تكشف لنا بالدرجة الأولى عن أحد المصادر البالغة القوة التي كان يستمد منها التلاميذ والرسل قوة شهادتهم وحرارة إيمانهم بالرب يسوع، فكل ما قاله الرب تمَّ بالفعل «**فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه**» (يو١٨: ٤)، ولم يتم بصورة عامة غامضة، بل بكل دقة مما أذهل التلاميذ ورفع حرارة إيمانهم إلى الدرجة القصوى وجعلهم بالفعل على مستوى الإلهام بل وعلى مستوى نفس فكر المسيح «أما

(*) Bultman, Theology I, *31, 32.*

نحن فلنا فكر المسيح» (١ كو٢ : ١٥)، «لست **تعلم** أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك **ستفهم فيما بعد**» (يو١٣ : ٧).

وقد ألمح المسيح على مدى الإنجيل إلى هذه الحقيقة الإنجيلية الفائقة، وهي الإنطباق الدقيق المذهل لكل ما يقوله و يعمله المسيح على ما سوف يتم له و يكمل بالحرف الواحد:

ــ «أجاب يسوع وقال له: هل آمنت لأني قلت لك إني رأيتك تحت التينة؟» (أي اندهشت مني كمن يتنبأ و يرى الخفيات ــ بنوع من سبق الحوادث وعلى بعدٍ زماني ومكاني) «**سوف ترى أعظم من هذا**» (يو١ : ٥٠).

ــ «فقال لهم يسوع متى رفعتم ابن الإنسان **فحينئذ تفهمون** (معجزة انطباق القول على العمل) **أني أنا هو**، ولست أفعل شيئاً من نفسي (حوادث زمنية) بل أتكلم بهذا (حوادث إلهية تفوق الزمان والمكان والحوادث في عمقها وأهدافها اللانهائية) كما علّمني أبي» (يو٨ : ٢٨).

ــ «لكني قد كلمتكم بهذا **حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم**، ولم أقل من البداءة لأني كنت معكم» (يو١٦ : ٤).

ــ «**وقلت لكم الآن** قبل أن يكون، **حتى متى كان تؤمنون**» (يو١٤ : ٢٩).

وهنا يوضح المسيح جداً هذه الحقيقة التي هي عماد الإنجيل كله أن كل رواية الإنجيل هي انطباق فائق الوصف والدقة بالنسبة لإنطباق القول على الحادثة والحادثة على القول، الأمر الذي احتسبه المسيح نفسه أنه جوهر الإيمان!! «**حتى متى كان، تؤمنون!!**».

فالإنجيل كله كتاب نبوي، برؤ يا مسبَّقة للحوادث على مستوى المعجزة، فيسوع تسمَّى قبل أن يُحمل به في البطن، والمسيح كان يصوِّر الحوادث قبل أن تقع دون أن يدفعها خارجاً عن مسارها عندما يأتي زمانها، و يرضخ للعنف والظلم وهو قادر على

ضبطه وإلغائه.

فمنذ أن اختار هو بنفسه يهوذا كتلميذ، كان يعلم أن ذلك التلميذ الخائن قد وُضع في يد الشيطان «لأنه عرف مسلمه» (يو١٣: ١١)، ولكن بالرغم من ذلك سلَّمه الصندوق ليسرق ما يشاء. وفي النهاية يشنق نفسه به «ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك» (يو١٧: ١٢) ـــ شأن كل من يسرق مال الكنيسة!! وفي اللحظة التي وجده المسيح جالساً على العشاء الأخير قلقاً يريد الإستئذان ليكمل خطة تسليمه المتَّفَق عليها مع رؤساء الكهنة، قال له ـــ مسهلاً مهمته ـــ «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة» (يو١٣: ٢٧).

كذلك وعلى نفس المستوى نجد المسيح، في يوم الخميس، يجلس على العشاء يحكي عن كسر جسده وسفك دمه المزمع أن يكمله في الغد دون أن يحاول تعطيل المشورة الإلهية...

وهكذا كانت حياة المسيح ـــ في ذاته ـــ رؤيا مكشوفة كان عليه أن يوقعها على حوادث الزمن بتوافق إعجازي «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧).

ولكن نود في هذا المقال أن نتأمل أكثر في المواضع الأخرى من الإنجيل التي أشار فيها الرب إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى آلامه وموته اللذين كان مزمعاً أن يجوزهما. لأن هذا بحد ذاته يحضرنا في صميم الإنجيل، بالإضافة إلى ما نحن نعيشه الآن بالروح والطقس معاً في أسبوع الآلام. وقصدنا الوحيد من هذا هو أن نحيا أمانة الإنجيل، أو بالحري إيماننا المسيحي، ونستمتع بكل نبوة وكل إشارة فيه، وكأنها رؤية مجددة لأرواحنا ونفوسنا وعقولنا على درب الآلام، تزيد الصليب وضوحاً وتزيد القيامة يقيناً، وتُدخلنا في شركة حرّة مع آلام الرب وقيامته.

١ ـــ مرحلة التعبير الرمزي أو غير المباشر التي وصف بها الرب آلامه وموته

مثل الكرّامين الأردياء : مرقس ١٢ : ١ــ١٢

ــ « فإذ كان له أيضاً **إبن واحد حبيب إليه** ، أرسله أيضاً إليهم **أخيراً** قائلاً إنهم يهابون إبني . ولكن أولئك الكرّامين قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث **هلموا نقتله** ، فيكون لنا الميراث ، **فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج** الكرم... ، فطلبوا أن يمسكوه ولكنهم خافوا من الجمع **لأنهم عرفوا أنه قال المثل عليهم !...** » .

في هذا المثل الرقيق الدقيق الذي يجمع الماضي كله والحاضر كله في سطور بل في كلمات يوضّح الرب أموراً كثيرة :

فهو يحدد أوصاف نفسه « بالإبن الوحيد المحبوب للآب » .

ويحدد رسالته ــ بالنسبة للأنبياء السابقين الذين رفضهم هؤلاء الرؤساء ــ بأنها آخر رسالة : « أرسله إليهم أخيراً » .

ويحدد السبب الأساسي الذي أضمره رؤساء إسرائيل (الكرامون) لقتل المسيح ، وهو رغبتهم في الإحتفاظ بمراكزهم للإستيلاء على رئاسة الشعب والأرض ، حتى ولو أدى ذلك إلى كسر وصايا الله ، = « **فقالوا في أنفسهم هلموا نقتله فيكون لنا الميراث** » ، وقد تحقق هذا الإحساس الحقود بالفعل لدى رؤساء الكهنة ، إذ يقول الإنجيل حسب القديس مرقس ١١ : ١٨ « وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه ، إذ بُهت الجمع كله من تعاليمه » .

ــ أما رؤساء الكهنة فيسجل الإنجيل اعترافهم هكذا : « إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون و يأخذون موضعنا وأمتنا »(يو ١١ : ٤٨) .

ويحدد نوع الآلام والموت ومكان الدفن «فأخذوه، وقتلوه، وأخرجوه خارج الكرم».

بل و يستمر المَثَل بعد ذلك فيحدد ما سيصيب هذه الأمة من مصائب فظيعة وهلاك رؤسائها «يهلكهم هلاكاً ردياً»، وتؤخذ منهم رسالة الخلاص وتُعطَى للأمم «و يُعطَى الكرم لآخرين»...

في هذا المثل لا يدع المسيح أدنى شك لأي علم أو عالم نقدي يقول إن تاريخ آلام المسيح وموته إنما صيغت على ضوء الحوادث التى تمت، فواضح من هذا المثل أن المسيح يصف أموراً تفوق إدراك التلاميذ، فهو يضع نفسه كآخر من سيرسله الله، سواء من أنبياء أو رسل أو كتبة أو فريسيين أو حتى رؤساء كهنة، بل و يرفع نفسه بالنسبة لجميع من سبقوه كابن لله وحيد ومحبوب، في مقابل وضع الأنبياء كافة كعبيد وخدم، وهم يطلبون الأجرة، أما هذا فوريث وصاحب الكرم!! ثم يشرح المسيح بشجاعة وجرأة تفوق أي قامة بشرية كيف ستنتهي حياته على أيدي هؤلاء القتلة.

والذي نريد أن ننبه إليه ذهن القارىء هنا هو معرفة المسيح معرفة كاملة ودقيقة بنوع رسالته وغايتها ونهايتها بما يفوق تصور التلاميذ مهما أوتوا من رؤيا. لذلك كانت كل أقواله وتعاليمه وأعماله ذات هدف وذات معنى وذات نفع وذات دوافع صحيحة وفعَّالة على مدى مئات السنين، وهذا بحد ذاته جعل كتابة الإنجيل فوق مستوى التلاميذ والرسل وأي بشر على الإطلاق، لأنها ترتفع بإلهام الروح القدس إلى مستوى فائق من جهة تحقيق القول بالتطبيق الدائم و باستمرار مما جعل حياة المسيح وآلامه وموته وقيامته آية ومعجزة و بشارة إلى مدى الدهور.

فالإنجيل بهذا الوصف كلمة فعَّالة تمت بقوة إلهية فائقة ولا تزال تتم حتى هذه اللحظة، أو بالحري فعل حيٌّ من داخل الكلمة على مدى الزمن والأبدية معاً. لذلك إذ نعود إلى أنفسنا حينما نقرأ الإنجيل، يلزمنا أن نعيش هذا الفعل الحي في كل آية وكل معجزة وكل بشارة، لأن كل كلمة قالها الرب لها هدف، وهدف الكلمة لابد أن يتحقق في ملء الزمن...

فالإنجيل كله ليس قصة ولا هو تاريخ أو مجرد كلام يُقرأ للفهم أو للبركة ، بل هو وعد حي صادق لنوال الحياة الأبدية ، لكل من يقرأ و يؤمن .

فقصة آلام الرب وموته وقيامته هي لدى الباحث اللغوي أو العالم الناقد المحقق مجموعة من وثائق ينقصها الشيء الكثير من الدقة التاريخية والرتابة والبرهان المنطقي ، أما لدى بني الوعد فهي ميراث حيّ كامل ننال منه حياتنا وقوتنا ونمونا ورجاءنا وفرحنا وانتصارنا وشفاءنا كل يوم ، « قل كلمة فقط فيبرأ غلامي »(مت٨ : ٨) .

والمسيح لم يكتفِ بالرمز والتلميح بل تعدّى ذلك إلى المواجهة الصريحة على نفس المستوى والمعنى :

ـــ « و يل لكم أيها الكتبة والفر يسيون المراؤون ... أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم ... ، ها أنا أرسل إليكم أنبياءً وحكماءً وكتبة ، فمنهم تقتلون ، وتصلبون ، ومنهم تجلدون في مجامعكم ، وتطردون من مدينة إلى مدينة ، لكي يأتي عليكم كل دم زكي ... »(مت٢٣ : ٢٩ ــ ٣٥) .

لذلك فالمثل هنا خطير بالنسبة لحياتنا ، فالإنجيل يورثنا ميراث الكتبة والفر يسيين والكرّامين الأردياء الذين انتُزع منهم الكرم . وأمانتنا الآن لم تعدْ على النواميس والوصايا الأولى ، بل على دم المسيح في الإنجيل ، فإن كان الور يث قد **ذُبح من أجلنا** ، إذن فقد **صار ميراثه لنا** بعكس ما ظن القاتلون . فلو تصورنا أننا كنا واقفين من خلف السور ننظر ما جرى للمسيح داخل الكرم كيف قام عليه الكرامون وقتلوه ، لأدركنا الثمن الفادح الذي دفعه المسيح ثمناً لكي ينقل كرم الملكوت ، أي الإنجيل ، من تخوم إسرائيل لكي يضعه في أيدينا .



٢ ــ مرحلة التعبير الواضح والمباشر التي عبَّر بها الرب عن آلامه وموته

أولاً: التصريح العلني الأول عن آلامه

بالإضافة إلى الإشارات والرموز غير المباشرة التي أوردناها، كان الرب في بعض المواقف يتكلم علانية و بوضوح عن آلامه وعن موته. ولكن حتى هذه العلانية الواضحة جداً جاءت متفاوتة في التدقيق والكشف عن كيفية الآلام وأنواعها وكيفية الموت ونوعه، ويمكننا تقسيمها هي الأخرى إلى ثلاث مراحل من حيث أزمانها أو من حيث موقعها في رواية الإنجيل، لأنه يكشف عن تسلسل معين قصده الرب، فقد كان يزيد من وضوح الحوادث الآتية كلما اقترب منها.

وهذا التسلسل نجده واضحاً جداً في رواية الإنجيل الواحد، مثل إنجيل مرقس. فالتصريح الأول عن الآلام الذي يأتي علانية في أصحاح٨: ٣١ يليه التصريح الثاني وهو أكثر وضوحاً، يأتي بعده في ٩: ٣١، ثم التصريح الثالث والأخير، وهو الأكثر وضوحاً وعلانية، يأتي في ١٠: ٣٣.

ولكن سنحاول أن نضيف أيضاً الأقوال الموازية التي جاءت في الأناجيل الأخرى، لنعطي الصورة الكاملة لهذا التسلسل.

التصريح العلني الأول للمسيح عن آلامه وموته:

أ ــ نص إنجيل مرقس ٨: ٣١:

ــ «وأنتم من تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال له أنت ,, المسيح ،، فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه. وابتدأ يعلمهم أن **إبن الإنسان ينبغي** δεῖ must (يتحتم) **أن يتألم كثيراً** و يُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة و يُقتل و بعد ثلاثة أيام يقوم ــ **وقال القول علانية،** فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره. فالتفت وأبصر تلاميذه. فانتهر بطرس قائلاً: اذهب

عني ياشيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس.

ودعا الجمع مع تلاميذه وقال لهم: من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه و يتبعني. فإن من أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها. لا نّه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه. لأنه من استحى بي و بكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطىء فإن إبن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين.

وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة» (مر ٨: ٢٧ـــ٩: ١).

واضح أن أول مناسبة هنا، التي يبدأ الرب يعلن فيها عن آلامه وموته ـــ كما يقول هنا «**وقال القول علانية**»ـــ هي بعد أن أكمل تعاليمه، وأراد أن يختبرهم فيما أدركوه عنه شخصياً من هو، فلما صرح له بطرس أنه هو المسيح، أي المسيّا الآتي، ومعروف أن المسيا عندما سيأتي سيعلن عن ملكوته وردَّ كل شيء ـــ وخاصة ليرد المُلك لإسرائيل ـــ فالمسيا في فكر إسرائيل كلها هو الملك المنقذ والمخلِّص لشعب إسرائيل، نقول لما صرَّح بطرس أنه هو المسيح، أصبح **أمراً لازماً جداً** أن يبدأ المسيح و يشرح لهم عن مرحلة الآلام والموت التي سيعبرها المسيح أولاً، حتى يتم الخلاص والملك الأبدي!!

لذلك لا يفوت الباحث المدقق وقوفه هنا على أهمية كلمة «**ينبغي**ـــ δεῖ» «**ينبغي** أن يتألم»ـــ يعني «يلزم و يتحتم أولاً»! فوضع كلمة «ينبغي» يكشف عن سبب ورود هذا النص بأكمله، لأن تلاميذه والجمع الذي يتبعه كان يحسب أن المسيح سوف يعلن سريعاً عن نفسه ملكاً، وأن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال بمجد وعظمة وسلطان. لذلك وضع لهم المسيح كلمة «**ينبغي**» أن يتألم أولاً. بل أضاف على كلمة «**يتألم**» كلمة «**كثيراً**»، إمعاناً في الإعلان عن مرحلة الآلام العظمى القائمة بذاتها قبل استعلان هذا الملكوت المنتظر موضحاً أنه «ينبغي أن يتألم و يتألم كثيراً». كما شرحها هو بنفسه بعد قيامته هكذا «أما كان ينبغي= δεῖ أن المسيح يتألم بهذا و يدخل إلى مجده» (لو ٢٤: ٢٦) ولم يكتفِ المسيح بهذا بل رفع

صوته ليسمعه **الجميع «وقال القول علانية»**.

كما يلـزم للباحث أن يدرك أن كلمة «ينبغي δεῖ» لا توجد في العبرية ولا الآرامية، فهي يونانية ــ كما جاءت في إنجيل مرقس. وهذا مما حدا بالعلماء الحَرْفيين الذين طرحوا الإيمان والبصيرة جانباً ليجروا وراء الحروف والكلمات، أن يقولوا أن القديس متى ــ والقديس لوقا من بعده ــ أضاف هذه الكلمة وربما النص بأكمله، وهذا أمر لا يحزنَّا بقدر ما يذهلنا، لأن القديس مرقس كان يصيغ نفس التعبيرات التي كان ينقلها من اللغة العبرية، إما من نص مختصر أمامه أو من فم القديس بطرس مباشرة، وهذا هو الأرجح بحسب التقليد. وتسجيل مرقس البشير لكلمة **«ينبغي»** على فم المسيح لم يأتِ جزافاً في موضعها هنا، بل هي تتبع حتمية التسلسل من جهة الكلام السابق والكلام اللاحق. فالتلاميذ والجمع المرافق كانوا في لهفة وانتظار ورجاء خاطىء بأن المسيح سيعلن نفسه ملكاً سريعاً ومرة واحدة، و يباشر سلطانه بقوة وإعجاز. فالمسيح ردَّ عليهم بكل وضوح، أو كما يقول القديس مرقس نفسه: **«وقال القول علانية** أنه ينبغي ــ أي يتحتم ــ أن يتألم كثيراً أولاً».

أما فيما يخص الكلام اللاحق، فالرب تأكيداً لقوله **«إنه يتحتم** أن يتألم» عاد ووضع عليهم هم بالتالي وبالضرورة حتمية هذه الآلام عينها التي ينبغي أن تكون قبل الإشتراك معه في المُلك والمجد «من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه **ويحمل صليبه ويتبعني»** مريداً بذلك أن يقول إنه ليس فقط يتحتم على إبن الإنسان أن يتألم كثيراً و يُرفض ويموت، بل يتحتم على كل واحد منكم أن يكون على نفس الإستعداد لحتمية الآلام الكثيرة، والإستعداد أن يُرفض «ينكر نفسه»، والإستعداد لمثل نفس نوع الموت «يحمل صليبه» لكي يدخل هذا الملكوت.

وليس ذلك فقط، بل حذَّرهم **أن لا يحاول أحد أن ينال الخلاص والمجد بدون آلام، متهرباً من صليبه**، فهذا لن يكون له خلاص بل هلاك «من أراد أن يخلِّص نفسه (بالهروب من الصليب) يهلكها. ومن يهلك نفسه (باحتمال صليب الآلام حتى الموت) من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها» (مر٨: ٣٤، ٣٥).

ونلاحظ أن كلمة «ينبغي» بوضعها (الحتمي اليوناني) هذا، دخلت ضمن تقليد الكتاب المقدس كله. فنجدها متكررة في ذكر آلام الرب وموته بصورة واضحة ومتعمدة، ليس على لسان المسيح فقط (لو٢٤: ٤٦)، بل وعن التلاميذ أيضاً، إنما بصورة مشروحة كما نجدها في تصريح بطرس الرسول هكذا «هذا أخذتموه مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق و بأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه» (أع٢: ٢٣). بل وطبقها بولس الرسول على كل الذين يسعون لنوال ملكوت السموات أيضاً «إنه ينبغي بضيقات كثيرة أن ندخل ملكوت الله» (أع١٤: ٢٢).

أما موضوع الرسول بطرس بخصوص محاولته لكي يثني عزم الرب عن دخوله الآلام والموت الإرادي، فهو يزيد النص أصالة وقوة ودقة، فمعلوم أن هذا النص ورد أولاً في إنجيل مرقس، والقديس مرقس استلمه من القديس بطرس مباشرة ومن فمه، علماً بأنه نص مهين لكرامة بطرس، لأن الرب لقَّبه فيه بالشيطان، ولكن هي أمانة الإنجيل وأمانة النص وأمانة القول والتسليم. وهذا بحد ذاته يرفع من كرامة بطرس في أعيننا، بل و يرفع من كرامة مرقس البشير أيضاً الذي ارتضى أن يسجل هذا على الرسول بطرس، بل و يرفع من تكريمنا لكل حرف وارد ليس في هذا النص فحسب بل في الإنجيل كله.

و يلاحظ القارىء أن الرسول بطرس بلباقته، لما سمع من المسيح مسألة أنه ينبغي أن يتألم كثيراً و يُقتل، أخذ المسيح على جانب و بدأ ينتهره لأنه لم يحتمل الأمر، ليس على المسيح بل على نفسه، لأنه كان يتبع الرب على أساس المُلك الآتي والجلوس معه في مُلكه؛ مثل كثير منا الآن. فجرْيُنا وسعينا سواء في الخدمة أو العبادة أو تحمُّل المسئوليات هو كله في انتظار الأجر والمكافأة الحسنة، والكل أصبح عنده قدرة مذهلة مثل بطرس في جرأته للتهرب من الضيقات والآلام، وهكذا سدُّوا آذانهم عن قول الإنجيل أيضاً: «إنه ينبغي (δεῖ يتحتم) بضيقات كثيرة أن ندخل ملكوت السموات» (أع١٤: ٢٢).

وإزاء «عملة» بطرس هذه، التفت المسيح نحو التلاميذ والجمع، وما سمعه من

بطرس في الخفاء — على جانب وحدهما — ردّ عليه بصوت عالٍ حتى يسمعه التلاميذ «ولكنه التفت ونظر إلى تلاميذه، منتهراً بطرس قائلاً اذهب عني ياشيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس». وعاد المسيح محذّراً «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله (معيداً للأذهان ما قاله الشيطان نفسه للمسيح على جبل التجربة إذ أراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها...) وخسر نفسه» (مر٨: ٣١—٣٦)

يُلاحَظ هنا أن ما صنعه بطرس هو تكميل وتأكيد لِمَا قاله الشيطان للمسيح على جبل التجربة، لكي ينحاز إلى اختيار راحة العالم ومُلكه وعظمته، و يتخلى بالتالي وتلقائياً عن الصليب، أي عن مشيئة الله لخلاص العالم «ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً **وأراه جميع ممالك العالم ومجدها**، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررتَ وسجدتَ لي، (الباب الواسع والوسيلة السهلة). حينئذ قال له يسوع: **إذهب عني ياشيطان** لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (مت٤: ٨-١٠).

إذن تأكيد المسيح على الآلام وحتميتها «**ينبغي** أن يتألم **كثيراً** و يُرفض و يُقتل» هو في أعماق المسيح نداء الطاعة المطلقة لمشيئة الله. وهذا عند المسيح **حتمية**، وأي محاولة للتخلص من حتمية الآلام هذه، كما أرادها بطرس للمسيح، هو في عرف المسيح «لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس». بل والأخطر أن مثل هذا الإهتمام في محاولة التخلص من الآلام هو هو صوت الشيطان نفسه! لأن النطق الذي واجه به المسيح الشيطان على جبل التجربة هو بعينه نفس النطق الذي واجه به بطرس **«اذهب عني ياشيطان»**.

إذن نلخص جوهر هذا النص في هذه الكلمات «**ينبغي** (δεῖ يتحتم) **أن يتألم كثيراً** و يُرفض و يُقتل»، «**وقال القول علانية**»، «**اذهب عني ياشيطان لأنك لا تهتم بما لله**»، «**من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني**» (مر٨: ٣٤).

هذه الكلمات تصور لنا أول مرحلة أعلن فيها المسيح جهاراً رؤيته الواضحة عن

آلامه وموته ووثوقه الكامل من أن كل خطوة سيخطوها هي من صميم إرادته، لأنها من صميم إرادة الله.

ولكن لا ننسى إطلاقاً أن في إنجيل مرقس وراء الآلام والرفض والقتل هناك وعد أكيد بالقيامة والمجد العتيد أن يكون للمتأملين «و بعد ثلاثة أيام يقوم» في ذات النص. وفي ذات النص أيضاً، و بعد حثهم على حمل الصليب والسير وراء المسيح وعدم انحيازهم لجذب العالم ــ على طريقة نصيحة بطرس ــ يوجد الوعد بالمجد الآتي حتماً: «متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين». بل وفي نفس النص أيضاً يستطرد المسيح مباشرة معلناً «وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام هنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة»، مشيراً إلى يوم حلول الروح القدس. بل ولم يتركهم المسيح نهباً لأفكار الخوف والحزن من إعلانه عن آلامه وموته، بل بعد ستة أيام أخذهم إلى جبل التجلي، وجعلهم يرون مجده علانية، حيث سمعوا صوت الآب من السماء يشهد له و يشجعهم أن يسمعوا له.

لذلك أود أيها الأحباء أن أنبّه ذهنكم إلى أن النصوص الواردة عن آلام المسيح يستحيل اقتطاعها من موضعها، فهي داخلة ضمن نسيج الإنجيل الحي، والإنجيل ينبض بها منذ البداية إلى النهاية في توافق وتسلسل وتداخل، يستحيل معه حذف كلمة أو حرف، كما يحاول أن يعمل علماء اللاهوت المحدثين في كل الدنيا الآن.

ب ــ النص المرادف في إنجيل القديس متى:

معروف أن القديس متى كان يسترشد بما كتبه مرقس البشير، أو بما كان يسترشد به مرقس، و يُزيد عليه ما رآه وما سمعه وما يعرفه وما يناسب من كان يكتب إليهم، لذلك سنجد نفس النص بكل ظروفه مع إيضاحات ستزيد الرؤيا أمامنا وضوحاً:

ــ «وأنتم من تقولون إني أنا؟ أجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي...

... حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح...

من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم و يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة و يُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يارب لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس اذهب عني ياشيطان. أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس.

حينئذ قال يسوع لتلاميذه: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه و يتبعني. من أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه. **فإن إبن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله؛**

الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يَرَوا **إبن الإنسان آتياً في ملكوته؛**

و بعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس و يعقوب و يوحنا أخاه وصعد بهم إلى **جبل عالٍ** منفردين...».

[متى ١٦ و١٧]

من هذا النص يتضح لنا أكثر أن هنا بداية تعليم الرب جهاراً عن آلامه «من **ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر** لتلاميذه **أنه ينبغي**»، الذي يقابله في إنجيل مرقس «**وابتدأ يعلمهم** أن إبن الإنسان **ينبغي**...».

والبشيران يتفقان هنا أنه بعد ما أكمل الرب تعليمه عن الملكوت والتوبة وعن رسالة المسيح، ابتدأ يسألهم عن نفسه من يكون هو؟ ولما أجاب التلاميذ وكشفوا عن فهمهم لشخصيته أنه المسيا، ابتدأ ــ كما سبق وقلنا ــ يكلمهم عن آلامه الحتمية. فالقديس مرقس الرسول يذكر: «**وقال القول علانية**»، والقديس متى الرسول يذكر: «**وابتدأ يُظهر لتلاميذه**». وهنا إشارة إلى بدء التعليم العلني عن رؤية المسيح لآلامه والموت العتيد أن يكمله.

أما فيما يختص بمحاولة بطرس منع الرب عن المضي في طريق الآلام، فيزيد متى الرسول على ما سجّله مرقس قول الرب لبطرس: «**أنت معثرة لي**». هنا يكشف القديس متى عن **رؤية الرب لطريق الآلام** كطريق ممهّد بالمشيئة الحرة والرضى والطاعة لتدبير الآب. وهنا تدخّل بطرس يشكّل «**عثرة خطرة على طريق التدبير الإلهي**». وبطرس يشكّل العثرة على أساس «حاشاك يارب أن يكون لك هذا»، أي عدم لياقة الآلام والصليب. بطرس أراد أن يحقّر من قيمة الآلام، ويستصغر من شأن الصليب. وهكذا، وبناءً عليه، ينتقل بطرس سريعاً من حيازته على لقب «أنت بطرس **وعلى هذه الصخرة** أبني كنيستي» بسبب اعترافه العلني بيسوع المسيح إبناً لله الحي، إلى كونه أصبح **صخرة ولكن صخرة شك وحجراً للعثرة** «**أنت معثرة لي**»، لأنه وقف ليحجب رؤية الآلام والصليب عن المسيح إبن الله الحي.

سقطة بطرس هنا أنه كان ينظر لذاته ومركزه ونصيبه ومستقبله بالنسبة للمسيح، لذلك ردَّ الرب عليه في الحال: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي **فلينكر نفسه**». هنا الإختبار الحق والإختبار الوحيد لإمكانية السير وراء المسيح وتصديق أقواله، أما من استطاع أن ينكر نفسه، فهو في الحال سيدرك قيمة آلام الرب وعظمة صليبه، وبالتالي وتلقائياً سيحمل صليبه ويتبع الرب، لا عن قناعة فحسب بل عن فرح وسرور حيث ستكون له نفس رؤية المسيح «**ينبغي أن يتألم كثيراً**».

أما بخصوص عملية الموازنة بين إعطاء الرب للتلاميذ أول جرعة من المفهوم العلني الصريح للآلام الحتمية والموت الذي سيجوزه، وبين حتمية استعلان ملكوت الله ومجيئه في مجده، فالقديس متى يسجلها باهتمام ووضوح على لسان المسيح، حتى لا يجوز التلاميذ أي نوع من الحيرة واليأس، فيقول مباشرة: «**فإن إبن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي (يكافىء) كل واحد حسب عمله**».

ثم لا يكتفي إنجيل متى بهذا، بل يسجل أيضاً حادثة التجلي مباشرة مثل إنجيل مرقس ذاكراً بنوع من الإشارة الخفية المبدعة أنه أخذ تلاميذه المختارين الثلاثة «**وأصعدهم على جبل عال**». على نفس النمط الذي فعله الشيطان «ثم أخذه إبليس

على جبل عالٍ جداً». أما إبليس فأراه ممالك العالم ومجدها، أما المسيح فكشف لتلاميذه عن مجده الحقيقي حيث أضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور وأسمعهم صوت الآب من السماء يشهد له.

جـ ـ النص المرادف في إنجيل القديس لوقا ٩: ٢٢:

يذكر القديس لوقا هذا النص كما هو وارد في إنجيل مرقس وإنجيل متى تماماً. ولكن توجد إشارتان إضافيتان يهمنا أن نعلّق عليهما.

الإشارة الأولى: قول القديس لوقا: «**ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم**»، حيث التوضيح هنا يتركز في أن القيامة لا تكون **بعد مضي ثلاثة أيام، ولكن في اليوم الثالث**، وهذا بحد ذاته يفسّر لنا قيامة الرب في فجر الأحد.

الإشارة الثانية: يضيف القديس لوقا في موضوع حمل الصليب وإتباع الرب هكذا: «ويحمل صليبه **كل يوم**»، وهي المرادف البديع لقول الرب عن نفسه أنه «ينبغي **أن يتألم كثيراً**»، حيث يتكشف من نص إنجيل لوقا أن قصد المسيح ليس أن يكون التلميذ أو المؤمن الذي يتبع الرب مستعداً أن يموت فقط من أجل ملكوت الله متشبهاً بالمسيح، بل أن يتهيأ ليموت كل يوم بمعنى الإماتة الذاتية أو النسك أو التعفف وصلب الأعضاء الدائم للأهواء والشهوات، وهو المعنى الذي التقطه بولس الرسول وأفاض في شرحه وتوضيحه.

حيث ينبه الرب ذهننا **أن المزيد من الآلام يدخل في صميم تدبير الخلاص والمجد الآتى**، سواء للمسيح حيث بناءً عليه أخذ مجداً فوق كل إسم يُسمَّى في هذا الدهر والدهر الآتى، أو لنا كشركة في ذات الآلام، حيث سنتمجد معه، وحينما يظهر المسيح في المجد سنُظهر معه، أو كما يقول يوحنا الرسول «سنكون مثله» (١يو٣: ٢)!!

وهكذا في هذه المرحلة الأولى تمتد رؤية المسيح لآلامه بوضوح وقوة وثبات حيث تشمل ما سيأتى بعدها من مجد وما سيصيبنا نحن من هذه ومن ذاك في يقين كيقين الفجر.

ثانياً: التصريح العلني الثاني للمسيح عن آلامه وموته

مر٩: ٣١و٣٢	مت ١٧: ٢٢ و٢٣	لو٩: ٤٤ و٤٥
«لأنه كان يعلّم تلاميذه	وفيما هم يترددون في	قال لتلاميذه:
و يقول لهم:	الجليل قال لهم يسوع:	ضعوا أنتم هذا الكلام في آذانكم
إن إبن الإنسان يسلَّم إلى	إبن الإنسان سوف يُسلَّم	أن إبن الإنسان سوف
أيدي الناس	إلى أيدي الناس	يسلَّم إلى أيدي الناس.
فيقتلونه	فيقتلونه	
و بعد أن يُقتل يقوم	وفي اليوم الثالث	
في اليوم الثالث	يقوم،	
وأما هم فلم يفهموا القول	فحزنوا جداً.	وأما هم فلم يفهموا
		هذا القول
		وكان مخفيّ عنهم لكي
وخافوا أن يسألوه».		لا يفهموه وخافوا أن
		يسألوه عن هذا القول.

في هذا التصريح لا يختلف البشيرون الثلاثة في شيء، فالمشترك بينهم هو الذي يوضح ظروف وأسباب هذا النص الثلاثي. فالواضح في هذه النصوص أن الرب لم يقل هذا الكلام كمقولة أو مجرد حديث، ولكنه يظهر هنا أنه مجمل تعليم وتعليم متكرر: «**وكان يعلِّم تلاميذه**»... فهي هنا عملية تلقين متكرر ومستمر، وفي هذا يتضح من نص إنجيل متى إذ يقول «وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع»، أي أنه كان بمثابة درس متكرر طول مدة ترددهم في الجليل.

وفي نص إنجيل لوقا يظهر هذا المعنى بوضوح أن الرب لم يعطه كخبر، وإنما ترسيخ كلمات يكررها لتستقر في أذهانهم بقصد أن يتذكروها ولا ينسوها قط، إذ يقول: «**ضعوا هذا الكلام في آذانكم**» أي عليهم أن يستذكروه عن ظهر قلب. وليس أوضح

من هذا تعبيراً لكشف قصد الرب لتلقينهم ماذا سيحدث « حتى إذا كان تؤمنون » . فهنا التعليم أو التلقين واضح أنه يختص بما يودُّه المسيح أن يكون بعد قيامته ــ أي ليتذكروا ما سبق وقاله عما تم له حتى يكون إيمانهم قوياً ــ لذلك لم يهتم المسيح **أن يُفهمهم معنى ما يقول بل كان كل قصده هو أن يضع الكلام في آذانهم، كما يقول القديس لوقا .**

والدليل على ذلك أن كلاً من القديس مرقس والقديس لوقا شدَّدا على أن التلاميذ لم **يفهموا شيئاً** ، بل و يؤكدان أيضاً أن التلاميذ خافوا فيما بينهم أن يسألوه عن هذا ــ وطبعاً كان المسيح يعلم أنهم لم يفهموا شيئاً . ولكن العجيب هو أن إنجيل لوقا يزيد على ذلك أنه يستقرىء من عدم محاولة الرب تفهيم تلاميذه شيئاً عن هذا الأمر، أن الرب قصد أيضاً إخفاء ملابسات تسليم إبن الإنسان إلى أيدي الناس عن تلاميذه بقوله : « **وكان مخفي عنهم لكي لا يفهموه** » .

وهذا بحد ذاته كلَّف المسيح أن يكرر لهم هذا الموضوع مراراً، بل ولكي يرسِّخ في أذهانهم هذه الحقيقة الحتمية الحدوث، حاول الرب أن يضعها أمام التلاميذ في صورة جملة منسجمة قصيرة لا يمكن أن تُنسى، وهي تبدو كذلك في اللغة الأرامية بكل وضوح هكذا: [ميتا صار بار إناسا ليدا بني إناسا] وترجمتها التقريبية [وسوف يصير سريعاً تسليم إبن الإنسان لأيدي الناس] .

ولكن العجب أن العلماء(*) تمسكوا بهذه الآية وقالوا إنها أقدم نص فاه به المسيح للتعبير عن تسليم نفسه ، وكل ما جاء بعد ذلك هو تخريج منها ، ولكن الحقيقة واضحة جداً أن الرب وضع هذا التعبير بهذا الاختزال والانسجام في آذان التلاميذ حتى لا يمكن أن يُنسى ، و بقصد أن يتذكره التلاميذ بعد قيامته فيؤمنون .

ولا يفوتنا هنا أن نعتبر كلمة «يُسلَّم لأيدي الناس فيقتلونه» هي توضيح لتسليمه لأيدي الأمم ــ أي الرومان ــ الذين يقومون بعملية القتل . وهنا درجة متقدمة عن التصريح الأول الذي فيه قال المسيح إنه يُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، حيث لم يحدد القاتل آنئذ .

(*) New Test. Theology, by J. Jerem., p. 282.

ثالثاً: التصريح العلني الثالث للمسيح عن آلامه وموته

مر١٠: ٣٢ــ٣٤	مت ٢٠: ١٧ــ١٩	لو١٨: ٣١ــ٣٤
«وكانوا في الطريق		
صاعدين إلى أورشليم.		
ويتقدمهم يسوع	وفيما كان يسوع صاعداً	
وكانوا يتحيرون وفيما	إلى أورشليم،	
هم يتبعون كانوا		
يخافون.		
فأخذ الإثنى عشر	أخذ الإثنى عشر	وأخذ الإثنى عشر وقال
أيضاً وابتدأ يقول	تلميذاً **على انفراد في**	لهم:
لهم عما سيحدث له:	الطريق وقال لهم:	
ها نحن صاعدون إلى أورشليم	ها نحن صاعدون إلى أورشليم	ها نحن صاعدون إلى أورشليم
وابن الإنسان يسلّم إلى	وابن الإنسان يسلّم إلى	**وسيتم كل ما هو**
رؤساء الكهنة	رؤساء الكهنة	**مكتوب بالأنبياء**
والكتبة	والكتبة	**عن إبن الإنسان**
فيحكمون عليه بالموت	فيحكمون عليه بالموت	
ويسلمونه إلى الأمم	ويسلمونه إلى الأمم،	لأنه يسلّم إلى الأمم
فيهزأون به	لكي يهزأوا به	ويستهزأ به
ويجلدونه	**ويجلدوه**	
ويتفلون عليه		ويُشتم ويُتفل عليه ويجلدونه
ويقتلونه	**ويصلبوه**	**ويقتلونه**
وفي اليوم الثالث يقوم	وفي اليوم الثالث يقوم	وفي اليوم الثالث يقوم
		وأما هم فلم يفهموا شيئاً من ذلك. وكان هذا الأمر مُخفيّ عنهم، ولم يعلموا ما قيل.

كانوا صاعدين إلى أورشليم ، وكان هذا هو الصعود الأخير!! ، وكان يسوع ـ بحسب إنجيل مرقس ـ يتقدمهم!! كان منتعشاً ، لأنه كان يرى نهاية الرحلة المضنية ، و يلمح السرور الموضوع أمامه ، الجلجثة أنشودة الحياة الأبدية التى انتزعها الرب من وسط الجحيم!! ثم يبدو أنه كانت معه جموع أخرى ، لذلك حاول أن يسرع لينفرد مع الإثني عشر ـ بحسب إنجيل متى ـ «أخذ الإثني عشر تلميذاً **على انفراد**» .

ومرة أخرى يبدأ الرب يكشف لتلاميذه الأخصّاء عن سرّه الأعظم والكبير. وابتدأ يقول لهم عما سيحدث ، وهو عالم ومتيقن مسبّقاً أنهم لن يدركوا منه شيئاً ـ بحسب إنجيل لوقا ـ الذي يصمم على ذلك للمرة الثانية «**وأما هم فلم يفهموا شيئاً من ذلك وكان هذا الأمر مُخفىً عنهم ولم يعلموا ما قيل**» .

إذن ، فما هي الفائدة أو ما هو قصد الرب من هذا الإلحاح الشديد على كشف كل ما سيحدث له ، وفي هذه المرة الأخيرة يبدأ يوضّح بكل تدقيق كل أنواع العذاب والآلام التى يعانيها ؟ الأمر واضح جداً ، فلم يعد متبقياً على هذه الحوادث جميعاً سوى أقل من أسبوع واحد ؛ إذن فيلزم أن يكون في سجل ذهن التلاميذ أقصى ما يمكن من دقائق الحوادث التي ستحدث ، حتى إذا حدثت لا تبدو لهم أنها جزافية ، ثم عندما يتذكرون ما سبق وقاله الرب لا يعثرون فيه كأنه وقع تحت سلطان رؤساء الكهنة والكتبة والأمم عن ضعفٍ منه أو عن قوة وغلبة منهم ، بل يدركون أن المسيح إنما سار في الطريق الذي اختاره ورسمه بنفسه وخضع للحوادث التي سبق وحدّد لنفسه أنه سيجوزها بسابق علمه ومحض إرادته .

و يلزم جداً للقارىء أن ينتبه لعمق ألفاظ الرب ، فهو حينما يقول «وابن الإنسان ,,يُسلَّم،،» ، فهنا يأتى هذا الفعل في صيغة المبني للمجهول ، حيث الفاعل الحقيقي الذي سيسلّمه إلى رؤساء الكهنة والكتبة هو الله أبوه بنفسه ، هذا الأمر يكشفه بولس الرسول بكل وعي وفطنة «**الذي لم يشفق على إبنه بل بذله ـ سلّمه ـ** لأجلنا أجمعين» (رو٨: ٣٢) . وكذلك يكشفه أيضاً بطرس الرسول «هذا أخذتموه **مسلَّماً بمشورة الله المحتومة** وعلمه السابق وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه» (أع٢: ٢٣) .

ثم مرة أخرى يكشف المسيح رؤيته الواضحة والدقيقة لما سيجري عليه عند رؤساء الكهنة والكتبة، فيصدرون عليه حكمهم الأول بالموت، و بعد ذلك يسلمونه للأمم.

ثم يدخل بعد ذلك في تفاصيل ما سيجري عليه قبل الموت ــ الذي يحدده في إنجيل متى بأنه سيتم بواسطة الصلب ــ و يبدأ الرب يعدِّد أنواع العقوبات التي سيتحملها وكأنها واجبات، عليه أن يؤديها قبل تكميل الموت على الصليب من هزءٍ وجلد وتفل وشتم، وكان الرب يسردها دون جزع وكأنه يفتخر بها مسبقاً!!!

ولكن حدثت مفارقة خطيرة ومحزنة للغاية، فبينما يتقدم الرب التلاميذ صاعداً نحو أورشليم بهدوء فائق، وعلى وجهه مسحة العظمة السمائية، تفعمه روح الثقة من النصرة الأكيدة «وفي اليوم الثالث يقوم»، إذا بتلاميذه ــ كما يخبرنا إنجيل مرقس ــ «يتحيَّرون، وفيما هم يتبعون كانوا يخافون». كانوا يتبعون حقاً، ولكن يتبعون في خوف، فلا ثقة ولا رؤية ولا إيمان!! وهذا هو الفارق الهائل، أن المسيح كان يرى أمامه كل شيء من مهانة وفضيحة وعار وصلب وتعذيب حتى غصة الموت. ولكن لأن هذه الرؤية كانت مطابقة لمشيئته تماماً، لذلك لم يجزع ولم يتحير بل تقدَّمهم واثقاً من إرادته.

هنا نود أن نلفت نظر القارىء إلى بعض الألفاظ التي تأتي في الإنجيل وكأنها غير ذات أهمية، أو على هامش التصريحات والحوادث الجسام، مع أنها تحمل في طياتها تصديقاً لما يُرادفها من أحداث، حتى لتكاد ترتفع إلى مستوى الحدث ذاته.

وسنضع مرة أخرى أمام القارىء هذين النصين ليستخرج منها بنفسه قوة البرهان الذي يحمله كلٌّ منهما:

الأول: بالنسبة للرب: «وكانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم و يتقدمهم يسوع!!».

الثاني: بالنسبة للتلاميذ: «**وكانوا يتحيرون، وفيما هم يتبعون كانوا يخافون!!**».

ثم ألا تحكي لنا الألفاظ الجانبية كيف كان المسيح يعيش في رؤيا كاملة وواضحة لدقائق آلامه وموته، جعلته ثابتاً قوياً في اختيار مسيرته، يحكي لتلاميذه بلا جزع عن كل ظروف المهانة والفضيحة والعار، بينما كان يتقدم إلى أورشليم ليلاقيها!!

الأساس الذي كانت تقوم عليه رؤية المسيح المسبقة لأنواع الآلام التي سيجوزها:

ثلاثة عناصر أساسية كانت هي الخلفية الحية التي يتحرك عليها المسيح في حياته، وخاصة في رؤيته لآلامه وموته وقيامته:

العنصر الأول: النبوات.
العنصر الثاني: الواقع الذي يتصادم معه يوماً بعد يوم.
العنصر الثالث: « كما علّمني الآب ».

العنصر الأول: النبوات (وسنكتفي به هذه السنة):

كان المسيح يعي تماماً أنه جاء ليكمل الناموس والأنبياء، هكذا أعلن صراحة في بدء خدمته حتى يؤكد امتداد وتكميل عمل الله وصدق الأنبياء «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (مت ٥: ١٧). كان هذا في بدء خدمته.

ثم يعود المسيح في نهاية خدمته، بل وبعد تكميل كل الأعمال التي جاء ليعملها ويحقق طاعته للآب حتى إلى الموت، موت الصليب؛ وبعد قيامته أيضاً عاد يكرر هذه الحقيقة الأساسية، وهي أنه جاء ليكمل الناموس وكتب الأنبياء، الذين ما كتبوا وما تنبأوا إلا عن آلامه وموته وقيامته منذ البدء هكذا: «فقال لهما أيها الغبيان **والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي (δεῖ يتحتم) أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟** ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به **في جميع الكتب**» (لو ٢٤: ٢٥ــ٢٧).

وفي موضع أخير، يشدد الرب مرة أخرى وأخيرة على مدى أهمية دراسة وفهم انطباق أعماله وأقواله على ما كتبه الأنبياء سابقاً، موضحاً أنه إنما كان يذكِّرهم فيما مضى وهو معهم عن صحة أقوال الأنبياء عنه وأنه أتى ليكمِّلها، وها هو الآن و بعد القيامة يعود و يذكر لهم ذلك بوضوح فائق: «وقال لهم **هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع** ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لو٢٤: ٤٤).

والمدهش حقاً والذي يتحتم علينا أن ننتبه إليه ونعيه في قلوبنا وحياتنا، أن هذه الإعلانات الغامضة التي جاءت في ناموس موسى، والرموز والتشبيهات والتلميحات التي جاءت في النبوات، والأوصاف التي جاءت في المزامير تحوي في نظر المسيح أعماقاً روحية هائلة، وهي كفيلة أن تكشف أسرار الفداء التي أكملها المسيح وتزيدها وضوحاً ورؤية وقوة، لذلك وهب المسيح على الفور بعد قيامته التلاميذ قوة بصيرة روحية، أي فتح عيون عقولهم ليدركوا هذه الأعماق التي على أساسها يقوم الإنجيل كله.

و يقول القديس لوقا: «حينئذ فتح ذهنهم **ليفهموا المكتوب**»، فطقوس موسى أو كلام الأنبياء أو تصريح المزامير لا يمكن من ذاتها أن تنضح الأسرار التي فيها، ولكن هذا يتأتى بقوة الروح القدس الذي عمله الأساسي فيما يخص العهد القديم بالنسبة لحياة المسيح هو «ذاك يمجدني لأنه **يأخذ مما لي ويخبركم**، كل ما للآب هو لي، لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو١٦: ١٤و١٥).

والمسيح بعد قيامته يعطي صلاحية مطلقة للعهد القديم كشاهد لآلامه وموته وقيامته، ثم يعود و ينبه التلاميذ أن انطباق ما جازه وما أكمله من آلام وموت وقيامة بحسب أقوال الكتب والأنبياء تماماً، التي سبق ونبَّههم عنها بكثرة و بتأكيد، هو في الحقيقة شهادة عظمى بحد ذاتها عن صدق الأنبياء وصدق المسيح معاً بآن واحد، مما يعطينا رؤية منيرة وفائقة لعظمة التاريخ القديم وقيمته الفائقة في قبول حوادث الآلام والصليب والقيامة كقمة التاريخ ونهاية قصد الدهور «وقال لهم **هكذا هو مكتوب**،

وهكذا كان ينبغي (δεῖ يتحتم) أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم» (لو٢٤: ٤٦، ٤٧).

وليكن في علم القارىء أن هذه الحقيقة ــ كما أوضحناها الآن ــ فيما يختص بقيمة الأسفار المقدسة من ناموس موسى والأنبياء والمزامير لتوضيح وإثبات وتفهم أعماق عملية الفداء التي أكملها المسيح بالآلام والموت والقيامة، تدخل في صميم تقليد الكنيسة كمرتكز أساسي ومتين لكل علم ولكل فهم ولكل شرح فيما يختص بالعهد الجديد، بل لا نغالي إذا قلنا أن هذا التقليد عينه ــ أي قيمة الأسفار في تعمق الأسرار ــ هو المنطلق الأول أو هو بداية الطريق والمفتاح المؤدي لكل معرفة صادقة وسليمة للعهد الجديد كله.

وهذا المبدأ اللاهوتي المختص بأساس الإيمان، نقرأه واضحاً جداً في بولس الرسول: «وأعرِّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به... إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً ــ فإنني سلَّمت إليكم في الأول، ما قبلته أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا **حسب الكتب** وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث **حسب الكتب**» (١ كو١٥: ١ــ٤)، حيث «الكتب» هنا هي أسفار العهد القديم، لأن الإنجيل لم يكن قد كُتب منه ولا صفحة واحدة بعد!!

كما نقرأه واضحاً أيضاً في كلام بطرس الرسول:
«لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته... **وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم** إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم» (٢بط١: ١٦ــ١٩).

وبفاعلية استنارة الذهن التي وهبها المسيح بعد قيامته مباشرة لتلاميذه لفهم الفداء والخلاص الذي تم، بفهم كتب الأنبياء «وفتح ذهنهم ليفهموا الكتب»، بدأ التلاميذ يسترجعون جميع الحوادث الأخرى التي تمت على يد المسيح، وجميع ما تم له من آلام

وموت على ضوء الكتب. ونستطيع أن نقدم عشرات الأمثلة القوية التي تمسك بها التلاميذ من النبوات للتأكيد على صدق وصحة كل ما تم للمسيح باعتبارها قولاً فصلاً لا محاجاة فيه. ولكن نكتفي ببعض الإشارات الأولى التي بدأت بها الكنيسة في هذا المضمار.

وأول إشارة إلى ذلك جاءت في سفر الأعمال هكذا:

ـ «وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ، وكان عدة أسماء معاً نحو مئة وعشرين. فقال أيها الرجال الإخوة **كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب، الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود** عن يهوذا... لأنه **مكتوب في سفر المزامير** «لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر» (أع ١: ١٥ــ ٢٠).

ـ «أيها الرجال اليهود... ليكن هذا معلوماً عندكم واصغوا إلى كلامي... **هذا ما قيل بيوئيل النبي...**» (أع ٢: ١٤ــ ١٦).

ـ «أيها الرجال الإسرائيليون... هذا أخذتموه مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه الذي أقامه الله... **لأن داود يقول فيه...**» (أع ٢: ٢٢ــ ٢٥).

ـ «فإذ كان (داود) نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه **سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تُترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً**» (أع ٢: ٣٠ــ ٣١).

ـ «والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضاً **وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا**» (أع ٣: ١٧، ١٨).

ـ «الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردِّ كل شيء **التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر، فإن موسى قال... وجميع الأنبياء من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام**» (أع ٣: ٢١ــ ٢٦).

ـــ «فلما سمعوا (أي التلاميذ) رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا أيها السيد... **القائل بفم داود فتاك** لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه، لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودس و بيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل **ليفعلوا كل ما سبقت فعيَّنت يدك ومشورتك أن يكون**» (أع ٤ : ٢٤ـــ٢٨).

ـــ «ياقساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم كذلك أنتم، أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا **الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار** الذي أنتم صرتم مسلِّميه وقاتليه» (أع٧ : ٥١و٥٢).

والمكان هنا لا يتسع لكي نورد كافة الإستشهادات التي أوردها أصحاب الرسائل، وخاصة رسالة العبرانيين، التي تُعتبر برمتها قائمة ومؤسسة بصورة منهجية مدروسة على ناموس موسى والأنبياء والمزامير، بحيث يمكن احتسابها أول شرح لاهوتي متكامل للفداء على أساس التطبيق المباشر على الأسفار.

وهكذا إذ نستشعر هذه القوة الفائقة في بداية قيام الكنيسة والتي صاحبت رؤية الرسل والتلاميذ الواضحة للنبوات في التفسير لكل ما حدث وتم للمسيح، ندرك يقيناً أن هذه الموهبة التي سلَّمها الرب لتلاميذه كانت على أقصى ما يكون من الأهمية، لأنه على أساس هذا التفسير والشرح الذي قدَّمه التلاميذ لكل حوادث الآلام والرفض والصلب والقتل والدفن والقيامة، قام الإنجيل!! وبالذات إنجيل القديس متى بالدرجة الأولى.

ولكن يهمنا الآن أن نعود إلى الوراء إلى المسيح نفسه ونستشف من كل هذا الذي سردناه أمام القارىء إلى أي مدى **كان المسيح نفسه مدركاً لهذه النبوات التي جاء ليكملها**، بل وإلى أي مدى كان صفاء الرؤيا أمامه في تحديد جميع الحوادث والآلام والموت في زمانها وموضعها بكل دقة!!

فإذا كان المسيح قد أبدى هذا الإهتمام، بل هذه الضرورة الحتمية في إدراك

دقائق النبوات وكل ما جاء في الأسفار عن آلامه وموته بالنسبة للتلاميذ، فماذا كانت رؤيته هو لهذه النبوات؟ بل ومدى الأهمية والجدية التي كان ينظر بها إلى كل ما سبق وكتب عنه؟

ليس من الضروري أن نورد أمثلة لإستشهاد المسيح بالنبوات، ومع أن إنجيل متى الرسول مليء بمثل هذه الإستشهادات، ولكن من الصعب جداً أن نفصل بين الخط الفكري العام للمسيح عن أقوال النبوات بصفة عامة في الإنجيل كله، لأن تأثير النبوات في أقوال المسيح وأعماله لا ينحصر قط في الإستشهاد بها، بل هي في الحقيقة تشمل كل الأقوال وتغطي مساحة الإنجيل كله منذ الميلاد حتى الصليب والقيامة.

فبالرغم من أنه لم يعلن ولا سُمح لأحد من تلاميذه أن يعلن صراحة أنه هو المسيا، ولكن كان حديثه وكان تصرفه كله ينطق و يؤكد علناً أنه هو المسيا!!

فإن كان المسيح قد أدرك ووعى أنه هو هو المسيا الآتى، فماذا ننتظر بعد ذلك من أقواله وأعماله، إلا أن تكون شاملة شمولاً كلياً لكل خصائص المسيا ورسالته وأعماله وآلامه وموته وقيامته، كما جاءت في جميع الأسفار المقدسة من موسى والأنبياء والمزامير، وإنما في رزانة الحق الإلهي وفي سر الإنجيل!!

فالدارس المدقق لحياة المسيح وأقواله لا يمكن أن يلاحظ أن المسيح كان يقوم بدور ما أو كان يكلف نفسه بأن يأتى بأعمال لمجرد أنها كتبت عنه أو قيلت عليه في الأنبياء. وهذا يتضح تماماً من أن التلاميذ لم يلحظوا قط أن منهجه العام كان هو بذاته منهج المسيا الآتى. فكم مرة سأله تلاميذه والجموع التي كانت تتبعه وهي متحيرة، أن أعماله وكلامه لا ينطبقان قط على ما عرفوه عن المسيا الآتى: «نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع إبن الإنسان؟ من هو هذا إبن الإنسان؟» (يو١٢: ٣٤).

ــ «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به» (يو١٢: ٣٧).

ــ «قال له يسوع أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يافيلبس»؟ (يو١٤: ٩).

ـ «فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض ما هو هذا الذي يقوله لنا : بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني ، ولأني ذاهب إلى الآب ، فقالوا ما هو هذا القليل الذي يقول عنه لسنا نعلم بماذا يتكلم» (يو١٦ : ١٧ــ١٨).

كل هذا يكشف لنا أن منهج المسيح النبوي الذي كان يؤديه بكل دقة حسب كافة النبوات لم يكن قط في متناول التلاميذ ولا الأخصاء من الذين كانوا يتبعونه ، لأن المسيح لم يكن يطبق حرفية الناموس أو حرفية النبوات ، ولكن كان يتمم أولاً وقبل كل شيء مشيئة الآب التي هي روح النبوة ، والتي لم يكن حتى الأنبياء أنفسهم على دراية كاملة بها ، وهم ينطقونها و يسجلونها للتاريخ.

ولكن في مواقف كثيرة خرج المسيح عن تحفُّظه الشديد هذا ، فوبَّخ وأنَّب وآخذ ، معلناً أن كل ما يقوله و يعمله مكتوب ، وكان ينبغي على الجميع أن يدركوه فهو مسجَّل في الناموس ومُعلَن في الأنبياء والمزامير:

ـ «قال لهم يسوع **أما قرأتم قط** في الكتب الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ، من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا؟» (مت٢١ : ٤٢).
ـ «**فتشوا الكتب** لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . **وهي التي تشهد لي**» (يو٥ : ٣٩).
ـ «لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب . **يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني**» (يو٥ : ٤٥ ، ٤٦).
ـ «فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له ، **أأنت المسيح إبن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو**» (مر١٤ : ٦١ ، ٦٢).
ـ «**أستحلفك** بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح إبن الله؟ **قال له يسوع أنت قلت**» (مت٢٦ : ٦٣ ، ٦٤).

و يلاحظ أن القديس متى وضع الإجابة غير مباشرة «أنت قلت» ، لأن رئيس

الكهنة قال: «**استحلفك بالله الحي**»، وهذا غير مقبول ولا جائز من وجهة نظر المسيح، لأنه معلوم أن المسيح قال: «لا تحلفوا البتة» (مت٥: ٣٤)، ولكن القديس مرقس الرسول، لكونه يكتب للأمم، وضعها في صيغتها الإيجابية ـ متحاشياً القسم ـ فجاء جواب المسيح إيجابياً بلا حرج.

وهنا يلزمنا أن ننبه ذهن القارىء أن إعلان الرب يسوع المسيح عن نفسه صريحاً وعلناً هنا أنه هو المسيح إبن الله الحي، لم ينفع رئيس الكهنة بشيء، بل على النقيض أخذه بيِّنة و برهاناً ضد المسيح أنه يُجدِّف على الله!!

وهكذا يتضح أن معرفة الحق إذا لم تسندها رغبة في الإيمان بالحق تكون ضد الإنسان، وتخفي عنه وجه الله.

من أجل هذا أحجم المسيح طول حياته عن أن يعلن صراحة عن شخصه إلاَّ للذين أرادوا أن يؤمنوا به.

ولكن السؤال الذي يضعنا في مركز الموضوع مباشرة هو: إن كان المسيح هكذا يدرك تماماً و يقيناً عن نفسه كما أعلن **أنه هو هو المسيا إبن الله الحي**، وأنه جاء ليتمم مشورة الآب، إذن أصبح قوله «فتشوا الكتب... فهي تشهد لي» أمراً في غاية الأهمية والخطورة، بل والذي ننتظره عن يقين هو أن كل ما قاله وعمله وكل ما حدث له في آلامه وموته إنما هو تكميل حقيقي لكل ما جاء في الناموس والأنبياء والمزامير. وعلينا لو انفتحت بصيرتنا أن نتحسس أن وراء كل حَدَث في العهد الجديد نبوةً تشير إليه وتسنده من العهد القديم. وفي الحقيقة كان هذا هو شغل التلاميذ الأول وشغفهم الأعظم في بداية الكرازة، إذ توفروا على دراسة الناموس والأنبياء والمزامير باجتهاد و بانفتاح بصيرة لإدراك ما فيها من شهادة للمسيح «**هي تشهد لي**». وأظن هذا ينكشف لنا بوضوح في حياة بولس الرسول، إذ أنه في فترة حياته الأولى بعد التجديد والعماد، انطلق وحيداً يدرس و يطبق و يستلهم من الأسفار (الرقوق) كل أسرار المسيح!! وكان المسيح نفسه على ميعاد دائم معه، حتى صارت «درايته بسر المسيح»

(أف٣: ٤) شيئاً يشهد له الروح القدس علانية.

كيف كان المسيح يشير علانية بأعماله إلى النبوات في حوادث آلامه وصلبه:

يمكننا لو دققنا أن نفرد كل حوادث الآلام والصلب على ما جاء في نهاية سفر إشعياء و بعض المزامير، مما يؤكد لنا أن المسيح كان يرى نفسه في هذين السفرين، وكأنما كان يسير بأقدامه الدامية على تلك الآيات آية بعد آية!! ولم يكن صعباً قط على البشير كاتب الإنجيل أن يرى تلك الآيات و يلتقطها بوحي الروح القدس و يضعها في موضعها بإحكام يفوق الذهن البشري.

١ ــ «فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلم يسوع (علم أنهم يتربصون به لقتله)، فانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً، وأوصاهم أن لا يُظهروه»!! (مت١٢: ١٤ــ١٦).

يلاحظ هنا أن المسيح لما علم أن الفريسيين متربصون به لقتله، لم يأخذ إجراءً ضدهم، فلا هو خاصمهم ولا اشتكى ضدهم ولا رفع صوته عليهم، كل ما عمله أنه انصرف في الشوارع من أمام وجههم!!، ومن يدري ربما كان من بينهم نفس منسحقة قريبة من الإيمان، أو فريسي لا يزال في ضميره ولو دخان يسير من مصباح الشريعة!! ثم بعد هذا الرفض كله أليس له خراف أُخر من حظائر أخرى؟ (يو١٠: ١٦).

هنا يبرز أمامنا المسيح في شخصية إنسان إشعياء النبي ــ العبد المتألم ــ المرفوض الصامت بكل وضوح، مما جعل القديس متى ينطق بقوة مكمِّلاً: «لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل هوذا فتاي (عبدي) الذي اخترته، حبيبي الذي سُرَّت به نفسي، أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق، **لا يخاصم ولا يصيح ولا يَسمع أحد في الشوارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مدخنة لا يطفيء،** حتى يخرج الحق إلى النصرة وعلى إسمه يكون رجاء الأمم» (مت١٢: ١٧ــ٢١)، (إش٤٢: ١ــ٤ النسخة العبرية).

٢ ــ «كلكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة» (مت٢٦: ٣١).
ــ «الحق الحق أقول لك لا يصيح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات» (يو١٣: ٣٨).
ــ «هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركونني وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي» (يو١٦: ٣٢).
ــ «فذاك لمَّا أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً، فلما خرج قال يسوع: الآن تمجَّد ابنُ الإنسان وتمجد الله فيه، إن كان الله قد تمجَّد فيه فإن الله سيمجده في ذاته و يُمجِّده سريعاً» (يو١٣: ٣٠ــ٣٢).

وهكذا يكتشف المسيح بل يكشف لنا نهاية تعبه وعمله هذه السنين كلها، كيف تنتهي بالخيانة فتُحتقر حياته لدى بني البشر، ولكن تتكرم في عين الله.

لم يهتم القديس يوحنا أن يعطينا الشاهد من سفر إشعياء، ولكن الكلام نفسه يصوِّر لنا إنسان إشعياء ــ العبد المتألم ــ وقد صار ألمه وظلمه مجداً لله: «وقال لي **أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد، أما أنا فقلت عبثاً تعبتُ باطلاً** ــ (كلكم تشكُّون فيَّ في هذه الليلة وتتركونني وحدي، هوذا يد الذي يسلِّمني معي في الصحفة) ــ وفارغاً **أفنيت قدرتي، لكن حقي عند الرب وعملي عند إلهي**» (إش٤٩: ٣، ٤).

ــ «والآن قال الرب جابلي من البطن عبداً له لإرجاع يعقوب إليه، فينضم إليه إسرائيل فأتمجد في عيني الرب وإلهي يصير قُوَّتي، فقال، **قليل أن تكون لي عبداً!!** لإقامة أسباط يعقوب ورد محفوظي إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم، **لتكون خلاصي** إلى أقصى الأرض. هكذا قال الرب فادي إسرائيل وقدوسه **للمهان النفس لمكروه الأمَّة لعبد المتسلطين!!**» (إش٤٩: ٥ــ٧).

٣ ــ «فابتدأ قوم **يبصقون عليه، و يغطون وجهه و يلكمونه** و يقولون له تنبأ، **وكان الخدام يلطمونه**» (مر١٤: ٦٥).
ــ «حينئذ **بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه** قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من

ضربك» (مت٢٦: ٦٧).
ــ «فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع **بعدما جلده ليُصلَب**» (مر١٥: ١٥).
ــ «ولما قال هذا **لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً**» (يو١٨: ٢٢).
ــ «حينئذ أطلق لهم باراباس، **وأما يسوع فجلده وأسلمه ليُصلب**» (مت٢٧: ٢٦).

كل هذا المشهد جازه المسيح راضياً، فوقَّع ببصمات قدميه خطوة خطوة على ما جاء في إشعياء النبي عن وصفه لما سيلقاه العبد المتألم:

ــ «**بذلتُ ظهري للضاربين، وخدَّيَّ للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق.** والسيد الرب يعينني لذلك لا أخجل، **جعلتُ وجهي كالصوان، وعرفت أني لا أخزى**» (إش٥٠: ٦، ٧).

وهذه الصورة بدقائقها المؤلمة والدامية التي حدثت قبل الصليب، كانت تملأ رؤية المسيح وهو صاعد إلى أورشليم، ولم يخفِ هذه الصورة عن تلاميذه، لأنه لم يكن يخزى، لأنها كانت رسالته التي وجد فيها مسرته.

والآن فليلاحظ القارىء أن دقائق هذه الصورة وردت على ثلاث مراحل يستحيل على أي عبقري أن يكون قد ألَّفها أو أخرج فصولها هكذا. فإشعياء يصف العبد المتألم، والآلام الممجَّدة، والذي يخاطبه الله في آلامه «**أنت عبدي الذي به أتمجَّد**». ثم يأتي المسيح و يصف آلامه المزمعة، ليس في موضع واحد كقصة ولكن على مدى ثلاث سنوات، ويحدِّد أنواع الآلام بعينها كما وصفها إشعياء، وفي مدخل آلامه يخاطب الله علانية في صورة الغائب «**الآن تمجَّد ابن الإنسان وتمجَّد الله فيه**» (يو١٣: ٣١). ثم في المشهد الثالث يدخل المسيح هذه الآلام عينها كما سبق وحددها إشعياء، وكما سبق ووصفها هو متنبئاً بها عن نفسه.

٤ ــ ولكي يظهر المسيح أن الآلام التي سيجوزها آلام فدائية، وتخرج عن مفهوم

العقوبة الشخصية، يسبق المسيح و يتحدى مقاوميه: «مَن مِنكم يبكتني على خطية!!» (يو٨: ٤٦)، ورؤياه متركزة فيما قاله عنه الأنبياء.

إذ نسمع هذا عينه في إشعياء النبي: **«قريب هو الذي يبررني. من يخاصمني. لنتواقف، من هو صاحب دعوى معي. ليتقدم إليَّ»** (إش ٥٠: ٨)، **«على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش»** (إش٥٣: ٩).

وهذا النص يلتقطه بطرس الرسول بالروح ليؤكد، ليس النبوة في حد ذاتها فقط، ولكن يرافقها تأكيد صدق رؤية المسيح لذاته كما أعلن عنها وكما أشارت إليها النبوة **معاً**: «لأنكم لهذا دُعيتم، فإن المسيح أيضاً **تألَّم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً** لكي تتَّبعوا خطواته. **الذي لم يفعل خطية** (من منكم يبكتني على خطية واحدة فعلتها) **ولا وُجد في فمه مكر** (إشعياء)» (١بط ٢: ٢١، ٢٢).

٥ ـــ أما الشيطان العاتى الحيَّة القديمة الذي بدا وكأنه جبار وغالب على الصليب، فإن المسيح يسبق و يكشف مبكراً كيف سيربطه على الصليب و يسلب مسبيِّيه غنيمة لنفسه ويخرج منصوراً ومنتصراً.

ـــ «ولكن إن كنت **أنا بروح الله** أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله، أم كيف يستطيع أحد أن **يدخل بيت القوي و ينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً. وحينئذ ينهب بيته**» (مت١٢: ٢٨، ٢٩).

و يرويها القديس لوقا بصورة أوضح: **«حينما يحفظ القوي داره متسلحاً تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء من هو أقوى منه، فإنه يغلبه و ينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه و يوزع غنائمه»** (لو١١: ٢١، ٢٢).

لذلك فالمسيح كان يعلم تماماً أن ساعة الصليب هي ساعة سلطان الظلمة، ولكنه إذ كان يرى نفسه، منصوراً ومنتصراً لم يجزع منها مسبقاً، بل قال: **«لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة»** (يو١٢: ٢٧).

أتى إلى هذه الساعة وهو عالم بأنه مدعو ليربط القوي و يفك أسراه، و ينطلق بمسبيِّي الجحيم إلى السماء.

كانت نبوة إشعياء ماثلة أمامه والمزامير تشير إلى خطواته، فكانت معركة الصليب مرسومة أمامه بحسب نتائجها، فلم يجزع من أهوالها.

«هل تُسلَب من الجبار غنيمة، وهل يفلت سبي المنصور، فإنه هكذا قال الرب: حق سبي الجبار يُسلَب وغنيمة العاتي تفلت. وأنا أخاصم مخاصمكِ، وأخلص أولادكِ» (إش٤٩: ٢٤، ٢٥).
ـ «هوذا عبدي ينجح، و يتعالى، و يرتقي، و يتسامى جداً» (إش٥٢: ١٣).
ـ «صعدتَ إلى العلاء، سبيتَ سبياً، قبلتَ عطايا بين الناس» (مز٦٨: ١٨).

وهذا المنظر المهيب عاد فصوَّره لنا بولس الرسول بالإلهام، وعلى نفس النمط مستوحياً من إشعياء والمزامير وما حدث على الصليب بالروح، وصفاً رائعاً لمعركة الصليب هكذا:

ـ **«محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً** لنا (سلاح القوي) وقد رفعه من الوسط **مسمِّراً إياه بالصليب** (كسر سلاحهم وأحرق أتراسهم بالنار ــ مز٤٦: ٩). **إذ جرَّد الرياسات والسلاطين** (ربط القوي) **أشهرهم جهاراً ظافراً بهم** (يغلبه و ينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ــ لوقا) **فيه** (أي في الصليب)...» (كو٢: ١٤، ١٥).

و يعود بولس الرسول أيضاً في موضع آخر يصف كيف خرج المسيح بالمسبيين من الجحيم إلى العلاء محمَّلين بعطايا المجد: **«إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا، وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى (الجحيم)» (أف٤: ٧ــ٩).**

و يعود بولس الرسول أيضاً متخذاً نفس رؤية المسيح وخط المسيح في الربط بين

نبوة إشعياء من جهة العبد المتألم وتحقيقها في شخصه، من جهة أن المسيح كما أطاع كعبد ونزل إلى الأرض ثم إلى الجحيم بواسطة الصليب هكذا رفّعه الله إلى العلاء كرب. «**وضع نفسه وأطاع حتى الموتَ** موتَ الصليب لذلك **رفّعه الله أيضاً وأعطاه آسماً فوق كل إسم**، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (الجحيم)» (في ٢: ٧ــ ١٠).

و يلاحظ القارىء شدة تلميح بولس الرسول إلى «**العبد المتألم**» الواردة في إشعياء النبي، بقوله: «**أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً** (بإرادته) **في شبه الناس وإذ وُجِد في الهيأة كإنسان...**» (في ٢: ٧، ٨).

فالقديس بولس الرسول يجمع في شرحه هنا بين نبوة إشعياء وتعليم المسيح عن نفسه بكل علانية ووضوح، ثم ما تمَّ على الصليب وما بعد الصليب، من جهة حصوله على المجد بعدما تألم باختياره كعبد، وصعوده إلى السماء بسبب نزوله منها باختياره، وقيامته من تراب الأرض بسبب نزوله وسقوطه تحته باختياره، وفك سبي الجحيم بعد أن ظفر بسلطان الموت على الصليب.

٦ ــ ولم يكن رفض رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين لكل تعليمه ولموته الفدائي أمراً يستغربه المسيح، بل أعلنه مسبقاً مطبّقاً على نفسه رؤية إشعياء النبي عن العبد المرفوض: «**وكيف هو مكتوب عن إبن الإنسان أن يتألم ويُرذل**». (مر٩: ١٢).

والمسيح هنا يشير إلى نبوة إشعياء التي تقول عن العبد المرفوض:

ــ «**مُحتقَر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن، انحجب وجهه عنا محتقَر فلم نعتَد به**» (إش٥٣: ٣).

كانت هذه رؤية المسيح عن نفسه، ولكنه كان يسترجعها بألفاظها من إشعياء النبي بين الحين والحين. والذي يسترعي إنتباهنا هنا جداً أن ما يسميه إشعياء: «**هوذا عبدي**» ثم «**رجل أوجاع**»، يوافق عليه المسيح أنه هو هو، و يُعبِّر عن ذلك باللقب الذي اختاره هو مرادفاً لذلك «**إبن الإنسان**».

و يلاحظ القارىء أن ما عمله المستهزئون بالمسيح قبل الصليب «فابتدأ قوم يبصقون عليه و **يغطون وجهه** و يلكمونه» (مر١٤: ٦٥)، يصفه إشعياء بنوع من الغموض في قوله: « **كمستَّر الوجه عنَّا** » أي «مُغطىً أو منحجب» ـــ حسب الترجمة الصحيحة.

ثم قول إشعياء: «**محتقر فلم نعتدُّ به**» تمَّمه الصالبون إذ كانوا يضربونه على رأسه بالقصبة و يلكمون وجهه وهو مغطى: «**وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة** (صولجان الملك) **و يبصقون عليه** ثم يسجدون له جاثين على ركبهم. و بعد ما استهزأوا به نزعوا عنه...» (مر١٥: ١٩، ٢٠).

ولا يحسب القارىء أن كل هذه النبوات رُكِّبت على الحوادث بعد كمالها كما يقول قليلو الإيمان، لأننا سبق أن نبَّهنا ونكرر أن المسيح على مدى ثلاث سنوات سبق فأعلن في مواضع عديدة عن أنواع الآلام والعار والرذل الذي سيعانيه كمن يسرد قصة الصليب بعينين مفتوحتين. ولم يكن سفر إشعياء فقط ماثلاً أمامه بل والمزامير التي أحبَّها وأشار مراراً إليها بقوله: «داود قال بالروح».

وفي مزمور ٢٢ نجد أن موضوع الإحتقار الشديد الذي سيلقاه من شعبه وأمته، والإستهزاء والرذل والعار، كله كان ماثلاً في ذهن المسيح جنباً إلى جنب مع أقوال إشعياء عنه: «**أما أنا فدودة لا إنسان** (في نظر القاتلين) **عار عند البشر، ومحتقر الشعب، كل الذين يرونني يستهزئون بي**» (مز٢٢: ٦).

٧ ـــ ولكن لم يفُت على البشيرين وعلى بطرس الرسول توضيح خلاصنا الذي تم بواسطة سر المفارقة العظمى بين رفض الكهنة والشعب للمسيح مع احتقاره والإستهزاء به إلى درجة البصق في الوجه والضرب على الرأس واللكم في الوجه، باعتبار أنهم حسبوه مُصاباً ومضروباً من الله ومذلولاً، و بين قبول المسيح لهذا الإستهزاء عينه بكل رضى وسرور، باعتباره راغباً في حمل عارنا وخطايانا في جسده.

فالقديس متى يقول: «لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل. **هو أخذ أسقامنا،**

وحمل أمراضنا» (مت٨: ١٧).

أما القديس بطرس فيقول: «**الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة**، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر، **الذي بجلدته شفيتم**» (١بط ٢: ٢٤).

ولكن لا يظن أحد أن كلاً من البشير متى والرسول بطرس يعتمد على النبوة وحسب في شرحهما لحمل المسيح لخطايانا، على الخشبة، كما جاءت في إشعياء: «**لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحمَّلها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبحُبُره (بجلدته) شُفينا**» (إش٥٣: ٤، ٥)، بل إنها رؤية المسيح نفسه لما سيحل على جسده تمهيداً لموته. ولكي يتضح أمامنا سر صفاء رؤية المسيح لمدى الرفض والإستهزاء والضرب الذي سيتحمله في جسده والذي سيعانيه تمهيداً لموته فدية عن كثيرين، لاحظ ما أوضحه بكل جلال وعظمة في سر العشاء الأخير: «**هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم**... من أجل كثيرين» (لو٢٢: ١٩، مت٢٦: ٢٨).

٨ ــ كذلك فقد كانت رؤية المسيح واضحة قبل أن تأتي لحظة المأجورين من جهة رؤساء الكهنة والجند، وهم حاملون السيوف والعصي وكأنهم يطاردون سارقاً أو لصاً. فقبل أن تحل هذه الساعة قال لتلاميذه: «لأني أقول لكم إنه ينبغي **أن يتم فيَّ أيضاً هذا المكتوب وأُحصِيَ مع أثمة**، لأن ما هو من جهتي له انقضاء (أي أنه فرط في نفسه للموت كنهاية))» (لو٢٢: ٣٧). لقد كانت نظرة المسيح متركزة على نبوة إشعياء عنه: «**إنه سكب للموت نفسه** (قدّم نفسه كذبيحة يُسفك دمها) **وأُحصِي مع أثمة**» (إش٥٣: ١٢).

ويلاحظ القارىء تصميم المسيح لقبول كل ما سبق الوحي وأنبأ به عن ظروف موته، معتبراً ذلك داخلاً في صميم الطاعة لله: «**ينبغي** δεῖ **أن يتم فيَّ أيضاً هذا المكتوب**...». فالمسيح كان يرى نفسه في النبوات بوضوح وشمول، وكان في سيره نحو الموت يستنفد هذه النبوات، أو بالحري تستنفد فيه هذه النبوات كيانها وسرها

الأبدي. أما أثناء المحاكمة وهو يرى و يسمع شهادات الزور والإتهامات الباطلة وأخيراً الحكم المغشوش الظالم، بل وضرب عبد رئيس الكهنة له، لم يكن شعور المسيح إزاء هذا المشهد إلا شعور الحمل الوديع أمام الذي يذبحه. كان هذا الشعور طاغياً على فكر المسيح وقلبه. ألم يكن هذا مرسوماً عنه من قبل إنشاء العالم؟، بل منذ أن ذُبح أول خروف في مصر؟ «ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً» (رؤ١١: ٨)، بل وعلى فم إشعياء وقلمه: «**ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه**» (إش٥٣: ٧). أليست هذه هي صورته التي كانت مرسومة أيضاً في ذهن يوحنا المعمدان حينما رآه على نهر الأردن: «**هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم**»؟ (يو١: ٢٩).

لذلك فإن منظر المسيح وهو مُقيَّد اليدين ومُساق للمحاكمة بل للذبح، كان مركز رؤى الأنبياء الذين سبقوا وتنبأوا منذ الدهر، وجاء الرسل وتحققوا بإرشاد الروح القدس من النبوة والواقع معاً. وأول من اكتشف هذا التطابق بين النبوة والواقع هو فيلبس: «وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه (الحبشي الخصي وزير كنداكة)، وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه (في إشعياء النبي بإلهام الروح) فكان هذا. **مثل شاةٍ سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه، هكذا لم يفتح فاه. في تواضعه انتُزِعَ قضاؤه** (خسر القضية بسبب تواضعه وعدم دفاعه عن نفسه)... ففتح فيلبس فاه **وابتدأ من هذا الكتاب فبشَّره بيسوع**» (أع٨: ٢٦ــ٣٥).

ولكن يستطرد بعد ذلك بطرس الرسول، و يضم إلى هذا المشهد تعبيراً واقعياً من عنده في نفس الموضوع، غاية في القوة، عما جرى أثناء المحاكمة:

ــ «الذي **إذ شُتم لم يكن يشتُم عوضاً، وإذ تألم** (ضربة عبد رئيس الكهنة وضرب الرأس والسياط) **لم يكن يهدد، بل كان يُسلِّم لمن يقضي بعدل**» (١بط٢: ٢٣)، هذا تصوير رائع لواقع منظر المحاكمة وهو هو بعينه إلهام الروح بالرؤ يا لإشعياء سابقاً «**ظُلم أما هو فتذلل**»!!

٩ ـــ على الصليب:
مضمون الصليب كذبيحة فداء،
وبذل النفس عن كثيرين (عن الجميع):

المسيح سبق ورأى ذبيحة نفسه وتحدث عنها علانية، لا فيما يخص عملية الصلب فقط بل ومضمونها ومفهومها.

«لأن إبن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدم بل ليخدِم **وليبذل نفسه، فدية عن كثيرين**» (مر١٠: ٤٥).

هذه الرؤيا الصافية لنفسه وجسده وهو مذبوح على الصليب فدية عن كثيرين كانت على أوجها ليلة العشاء كما سنرى في بحثنا القادم «وقال لهم **هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك** من أجل **كثيرين**» (مر١٤: ٢٤)، «هذا هو **جسدي الذي يُبذل عنكم**» (لو٢٢: ١٩).

ونحن نستطيع أن نلمح رؤية الرب يسوع وهي مسلَّطة على شخصيته المذبوحة سابقاً قبل إنشاء العالم بالمعرفة السابقة وبالإرادة الحاضرة والتي كشفها إشعياء في شخصية العبد المتألم الآتي: «جعل **نفسه ذبيحة إثم... ليبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها**» (إش٥٣: ١٠، ١١)، «**هكذا ينضح (دمه على) أمماً كثيرين**» (إش٥٢: ١٥).

وكان سهلاً على المسيح أن يمد ذراعيه لصالبيه على خشبة الصليب دون تململ أو ضيق، لأن صورة العبد المتألم الممدود الذراعين لخلاص كل الشعوب في سفر إشعياء كانت واردة في ذهن المسيح دائماً، ولأنه يعلم أن على امتداد ذراعيه سيثبت بره وحقه ليكون نوراً للأمم والعالم كله، وسيتسجل قضاء المسيح لحساب خلاص كل الشعوب بموته على الصليب وهو بريء على مرأى من شعبه وبني أمته!!

ـــ «**انصتوا إليَّ ياشعبي، ويا أمّتي اصغي إليَّ!!** لأن شريعة من عندي تخرج **وحقي أثبته نوراً للشعوب**، قريب برِّي، **قد برز خلاصي وذراعاي يقضيان**

للشعوب. إياي ترجو الجزائر **وتنتظر ذراعي!!**» (إش ٥١: ٤و٥).

ولينتبه القارىء لكلمة «**سكب** للموت نفسه» الواردة في إش٥٣: ١٢. فكلمة سكب هنا هي لفظ طقسي ذبائحي، فالمسيح ليس بالرؤيا المستقبلية كان يعيش كمن سيقدم نفسه ذبيحة عن العالم، بل كان قد تهيأ منذ أن دخل إلى العالم ليقدم جسده. لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: «ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن **هيَّأت لي جسداً**، بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ثم قلت هُنذا أجيء في درج الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتك يا ألله... فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عب ١٠: ٥ــ٧و١٠).

كذلك فالنبوة في إشعياء تصوره أنه **«سكب» بصورة دائمة وكأنها فعل مقضي به،** لذلك جاء في صيغة الماضي، و بولس الرسول يتعمق هذه الحقيقة، أي **سكب النفس للموت،** فيراها فعلاً قبل أن يتجسد أو بالحري وهو متهيىء لهذا التجسد، إذ يرى «سكب للموت نفسه» تبدأ منذ الإخلاء، بل يرى في الإخلاء ذاته صورة من سكب النفس توصِّلها حتماً إلى الموت: «لكنه **أخلى نفسه آخذاً صورة عبد... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب**» (في ٢: ٧و٨).

هذا كله يوضح لنا رؤية المسيح الصافية من جهة ذبيحة الصليب، وماذا كان يعتمل في أعماق نفسه منذ أن حلَّ في الجسد!!

و يستطرد بولس الرسول في كل من رسالة رومية والعبرانيين ليكمل مسيرة النبوة بحسب أعماق المسيح.

فيقول في سفر العبرانيين: «هكذا المسيح أيضاً بعد ما **قُدِّم مرة** (سكب الذبيحة) **لكي يحمل خطايا كثيرين** سيظهر ثانية بلا (حَمْلِ) خطية للخلاص للذين ينتظرونه» (عب ٩: ٢٨). أما في سفر رومية فيكمل النبوة: «من هو الذي يدين؟ المسيح هو **الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا**» (رو ٨: ٣٤).

و يستطرد في سفر العبرانيين: «فمن ثمَّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام **الذين يتقدَّمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم**» (عب٧: ٢٥).

ثم يأتي يوحنا الرسول فيؤكد هذه النبوة «وإن أخطأ أحد **فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفَّارة لخطايانا**، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا **كل العالم أيضاً**» (١يو٢: ١، ٢).

وهكذا نرى أن هذه المبادىء اللاهوتية المحسوبة أنها أساس الإيمان المسيحي ــ من جهة حمل خطايانا والشفاعة عنَّا لدى الله الآب ــ هي في الحقيقة امتداد للرؤ يا الحيَّة التي كان المسيح يراها في نفسه أولاً، والتي اُكملت بحسب مشورة الله في الكتب تماماً، فصارت حقيقة حيَّة وفعَّالة نؤمن بها ونحيا بمقتضاها ونخلص بقوتها.

أما حوادث الصليب والكلمات التي فاه بها المسيح على الصليب فنجدها مستوحاة بوضوح من المزامير إذ لا يوجد سفر من الأسفار عايش المسيح في آلامه وأحزانه وكل المهانات التي أحاطت بصلبه مثل سفر المزامير، وكأن داود كان يرى مشهد الصليب لحظة بلحظة من وراء ألف سنة، وخاصة مزمور ٢٢، إذ كان الخلفية المنيرة التي عاشها المسيح على مدى ساعات الصليب.

مزمور ٢٢ :

وهو يحيط بحوادث الصليب جميعها:

النبوة: «أما أنا فدودة لا إنسان. **عار عند البشر ومحتَقَر الشعب**» (مز٢٢: ٦).

الواقع: «وكيف هو مكتوب عن إبن الإنسان أن يتألم كثيراً **و يُرذل**» (مر٩: ١٢).

مزمور ٤١ :

النبوة: «**رجُل سلامي الذي وثقت به. آكل خبزي رفع عليَّ عقبه**» (مز٤١: ٩).

الواقع: «وفيما هم **يأكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يُسلِّمني**، فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب، فأجاب وقال: **الذي يغمس**

يده معي في الصحفة هو يسلمني، إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه. ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلّم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد، فأجاب يهوذا مسلّمه وقال هل أنا هو يا سيدي. قال له أنت قلت» (مت٢٦: ٢١ــ٢٥).

مزمور ٦٩:
النبوة: «العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقة فلم تكن، ومعزين فلم أجد» (مز٦٩: ٢٠).
الواقع: «ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً. فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة» (مت٢٦: ٤٠).

مزمور ٢٢:
النبوة: «أحاطت بي ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفتني» (مز٢٢: ١٢).
الواقع: «وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الإثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب... في تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني...» (مت٢٦: ٤٧، ٥٥).

مزمور ٣١:
النبوة: «الذين رأوني خارجاً هربوا عني» (مز٣١: ١١).
الواقع: وأما هذا كله فقد كان لكي تكمّل كتب الأنبياء. حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا» (مت٢٦: ٥٦).

مزمور ١١٨:
النبوة: «أوثقوا الذبيحة برُبُط إلى قرون المذبح» (مز١١٨: ٢٧).
الواقع: «فقال له يسوع ياصاحب لماذا جئت. حينئذ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع وأمسكوه... والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ» (مت٢٦: ٥٠، ٥٧).

مزمور ٢٢ :

النبوة: «**فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر**» (مز٢٢ : ١٣)

الواقع: فقال الوالي وأي شر عمل، **فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليُصلب**» (مت٢٧ : ٢٣).

«فناداهم أيضاً بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع، **فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه**، فقال لهم ثالثة فأي شر عمل هذا، إني لم أجد فيه علّة للموت، فأنا أؤدبه وأطلقه. **فكانوا يلجون بأصوات عظيمة طالبين أن يُصلب، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة...**» (لو٢٣ : ٢٠ــ٢٣).

النبوة: «كل الذين يرونني **يستهزئون بي**» (مز٢٢ : ٧).

الواقع: «وبعدما **استهزأوا به** نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه» (مر١٥ : ٢٠).

النبوة: «**ثقبوا يدي ورجلي**» (مز٢٢ : ١٦).

الواقع: «ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة **صلبوه** هناك مع المذنِبَين واحداً عن يمينه والآخر عن يساره» (لو٢٣ : ٣٣).

النبوة: «**أُحصيَ كل عظامي. وهم ينظرون و يتفرسون فيَّ**» (مز٢٢ : ١٧).

الواقع: «وكان الشعب **واقفين ينظرون**. والرؤساء أيضاً معهم **يسخرون** به قائلين خلَّص آخرين فليخلِّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله» (لو٢٣ : ٣٥).

النبوة: «**يقسمون ثيابي بينهم وعلى لِباسي يقترعون**» (مز٢٢ : ١٨).

الواقع: «ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع، أخذوا ثيابه **وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً**. وأخذوا القميص أيضاً. وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق، فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل **نقترع عليه** لمن يكون. ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لِباسي ألقوا قرعة. هذا فعله العسكر» (يو١٩ : ٢٣، ٢٤).

النبوة: «يفغرون الشفاه و ينغضون (يحركون) الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجه، لينقذه لأنه سُرَّ به» (مز٢٢: ٧، ٨).
الواقع: «وكان المجتازون يُجدِّفون عليه وهم يهزون رؤوسهم، قائلين ياناقض الهيكل و بانيه في ثلاثة أيام خلِّص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب، وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلَّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلِّصها. إن كان هوملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به، **قد اتكّل على الله فلينقذه الآن إن أراده.** لأنه قال أنا إبن الله» (مت٢٧: ٣٩ــ٤٣).

النبوة: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مز٢٢: ١).
الواقع: «صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً أَلُوِي أَلُوِي لَمَا شبقتني. الذي تفسيره **إلهي إلهي لماذا تركتني» (مر١٥: ٣٤).**

مزمور ٣٨:
النبوة: «أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي. وأقاربي وقفوا بعيداً» (مز٣٨: ١١).
الواقع: «وكان جميع معارفه ونساءٌ كُنَّ قد تبعَنَهُ من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك» (لو٢٣: ٤٩).

مزمور ٦٩:
النبوة: «ويجعلون في طعامي علقماً. وفي عطشي يسقونني خلاً» (مز٦٩: ٢١).
الواقع: «بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل، فلكي يتم الكتاب قال **أنا عطشان، وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلاً** فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه، فلما أخذ يسوع الخلَّ قال قد أكمل. ونكّس رأسه وأسلم الروح» (يو١٩: ٢٨ــ٣٠).

مزمور ٣٤ :

النبوة: «يحفظ جميع عظامه. واحد منها لا ينكسر» (مز٣٤ : ٢٠).

الواقع: «لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل. **عظم لا يُكسر منه**» (يو١٩ : ٣٦).

مزمور ٣١ :

النبوة: «في يدك أستودع روحي» (مز٣١: ٥).

الواقع: «ونادى يسوع بصوت عظيم. وقال **ياأبتاه في يديك استودع روحي. ولما** قال هذا أسلم الروح» (لو٢٣ : ٤٦).

مزمور ٢٢ :

النبوة: «انسكبتُ كالماء. انفصلت (تفكّكت) كل عظامي (مفاصلي). صار قلبي كالشمع الذائب في وسط أحشائي» (مز٢٢ : ١٤).

الواقع: «لكن واحداً من العسكر **طعن جنبه بحربةوللوقت خرج دمٌ وماء**» (يو١٩ : ٣٤).

النبوة: «يبست قُوّتى كالفخار (مثل شقفة) **ولصق لساني بحنكي. وإلى تراب الموت تضعني» (مز٢٢ : ١٥).**

الواقع: «وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان وفي البستان **قبر جديد... فهناك وضعا يسوع**» (يو١٩ : ٤١، ٤٢).

خميس العهـــــد

هذا هو دمي المسفوك / هذا هو جسدي المبذول:
عنكم / وعن كثيرين / عن حياة العالم.

الآلام وسفك الدم بعمقها الأبدي:

كنت أتحدث معكم في الأيام السالفة منذ أول أسبوع الآلام عن رؤيا المسيح الصافية لآلامه على مدى الإنجيل كله، منذ البداية حتى النهاية، منذ عرس قانا الجليل وفي وسط بهجة المحتفلين أعلن لأمه العذراء أن **ساعته لم تحن بعد**، وفي وسط بهجة التجلي ومجد ظهوره في وسط السحابة المنيرة مع النبيين العظيمين موسى وإيليا كيف كانا يتحدثان معه عن خروجه العتيد أن يكمله بالموت. بل ولا نخطأ إذا قلنا أن حديث المسيح عن آلامه، سواء بالرمز أو القصة أو التعليم غير المباشر أو التصريح العلني، يملأ الإنجيل كله، بل نقول أنه هو الإنجيل كما أوضحنا سابقاً.

ولكن في هذا اليوم يعطي لنا المسيح صورة حيَّة وعجيبة عن رؤيته لآلامه، لأنه إن كان قد سبق وأعلن عن آلامه وموته كاشفاً حدودها الزمانية، بقوله: «بعد ثلاثة أيام»، أو بقوله: «بعد قليل»، وحدودها المكانية بقوله: «أنه خارجاً عن أورشليم لا يمكن أن يموت نبي»!! كما رأينا كيف وصف بدقَّة شخصيات قاتليه وصالبيه من رؤساء كهنة وكتبة وفريسيين وشيوخ الشعب والأمم، وكذلك حوادث الآلام السابقة على الصليب بمنتهى الوضوح والدقة من جلد وضرب ولطم وتفل وشتم...

...... ولكن على هذا العشاء الأخير يكشف لنا المسيح عن آلامه وموته في عمقها الأبدي الخارج عن الزمان والمكان؛ موضحاً ولأول مرة في تاريخ العالم كله كيف يُستحضر الأبدي على المستوى الزمني وكيف يرتفع الزمني ليدخل إلى مداخل الأبد في الأزلية!!

فحينما مسك المسيح كأس الخمر الممزوجة بالماء في يده قال لتلاميذه: «خذوا اشربوا منه كلكم، **هذا هو دمي المسفوك عنكم وعن كثيرين**»، لم يكن هنا يتنبأ عما سيحدث له على الصليب من حادثة سفك دمائه كما كان يعلّم بالقول سابقاً، بل **الآن قد استحضر لهم الحادثة بكل دقائقها من عمق الأبدية ــ وليس الزمن ــ متخطياً حتى المستقبل، وأعطاهم الدم عينه المزمع أن يسكبه على الصليب، لكي يشربوا منه!**

تسليم الآلام وسفك الدم في حقيقتها الإلهية التي تتجاوز الزمن وتتخطى الحادثة:

المسيح هنا يكشف عن آلامه وموته وسفك دمائه بصورة تخرج نهائياً وتعلو جداً عن مستوى الحادثة المحدودة بالزمان سواء في صورتها الماضية كنبوة أو في صورتها الآتية على الصليب كحادثة. والسبب في ذلك هو عجز التلاميذ نهائياً عن فهم قوة وسر آلامه على مستوى النبوة والشرح، فالمسيح وهو عالم أيضاً أن هذا القصور عينه سيلحقنا جميعاً، فما كان منه إلا أن يسلّم هذا السر ذاته ــ أي سر آلامه وموته وقيامته ــ عارياً من الزمن وعارياً من الشرح والتعليم، فسلّمه إليهم في جوهره الحي كسِرّ، وبالتالي للعالم كله، ليأخذوه ليستقر ــ إن لم يكن ممكناً في عقولهم ففي كيانهم وأعماق وجدانهم ــ كفعل حياة سرّي فائق على العقل... بمعنى أنه إن كان قد قصُر إدراك التلاميذ عن أن **يفهموا من تعاليم المسيح الواضحة أن آلام الرب وموته وسفك دمه هي حتماً لقيامة وحياة أبدية، إذن فليس بد من أن يأخذوا جوهر هذا الموت على مستوى سره الفائق كجسد مكسور ودم مسفوك ليتحول فيهم إلى قيامة وحياة فائقة.**

هذا ما أكمله المسيح بالفعل في العشاء الأخير، فقد أعطاهم سر موته وسر دمه وسر قيامته وسر حياته معاً في الخبز المكسور والخمر الممزوج ليسكن أعماقهم وكيان وجدانهم كموت حقيقي وقيامة حقيقية لحياة أبدية إلى أن يحين فتح عقولهم، ليدركوا هذا السر العظيم الذي تم على مستوى الحادثة والزمن: «لست تعلم أنت الآن ما أنا

أصنع **ولكنك ستفهم فيما بعد»** (يو١٣: ٧)، وحينئذ و بعد أن ينالوا قوة الروح والإستنارة يستطيعوا أن يربطوا بين الزمني والأبدي، بين النبوة والحدث، و بين الحدث والجوهر الإلهي الفائق الذي يتجاوز الزمن والنبوة والحدث المادي جميعاً.

أليست هذه بعينها هي النتيجة الحتمية المباشرة لسر التجسد الإلهي إذا هو واجه الألم والموت؟ **أي أن ظهور الله في الجسد يُحتِّم استعلان وجود سر القيامة في صميم الموت!!**

أليست هذه بعينها هي النتيجة المباشرة لحلول ملء اللاهوت جسدياً؟ فتكون نتيجة التحام الأبدي بالزمني أنه حينما يعطينا جسده ودمه ننال الحياة الأبدية!!

ولكن أود أن أنبه ذهنكم أن إدراك آلام الرب وموته وقيامته في سر الخبز المكسور والدم المسفوك لا يكون أبداً على مستوى الإدراك المنطقي الذي اعتدنا عليه في تطبيق الحوادث على النبوات والنبوات على الحوادث، التي كان ينكشف منها في الحال صدق النبوة وصدق الحدث معاً مما كان يلهب قلوبنا، واعتبرنا هذا بحد ذاته جوهر الإنجيل ومعجزته أي استعلان الحق الإلهي في الإنجيل.

ولكن هنا نحن نواجه في سر العشاء الأخير وفي إعلان المسيح المفاجيء ـــ وهو ممسك بالكأس في يده ـــ أن هذا هو دمه بالفعل، دمه المسفوك على الصليب قبل أن يُسفك، هذا تحدي للمنطق والعقل والإدراك جميعاً، وهذا شأن معجزة الله للخلاص وكل المعجزات!!

إذن فالمسيح في سر العشاء يعلن عن موته وسفك دمه وقيامته بطريقة جديدة تختلف تماماً وكلية عن كل منطق تعليمي عرفناه سابقاً. فالمسيح هنا يتجاوز الزمن و يلغيه، و يستحضر الحادثة مكشوفة عارية بدمائها التي تتقطَّر على الصليب من وراء الزمن، يستحضرها بواقعها الحي في الحاضر أمام التلاميذ، هذا هو دمي المسفوك!! ثم بنفس القدرة في تجاوز الزمن وكشف الحادثة وتعريتها عن مضمونها الزمني الوقتي يسمو بآلامه و بدمه المسفوك على الصليب ليعلنه أمام التلاميذ في جوهره الإلهي الأبدي

كفعل فداء فعَّال بقوته، وذلك فوق الزمن وقبل الزمن و بعد الزمن، يغفر خطايا الماضي والحاضر والمستقبل «يُعطى لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦ : ٢٨) وحياة أبدية.

في سر العشاء انتقال من الموت إلى الحياة:

هنا المسيح ارتفع بإعلانه عن آلامه فوق الرؤ يا المستقبلية التي حاول أن ينقلها لتلاميذه فلم يستطيعوا إدراكها، لذلك فهو يتوقف هنا عن أن يكشف آلامه باعتبارها أموراً آتية، ولم يعد يعبِّر عن رؤ يته للآلام وكأنها ستتم في القريب، لأن هذا يجد ذاته فوق أنه أزعج التلاميذ وأحزن نفوسهم حتى «ملأ الحزن قلوبهم»، فهم أخفقوا نهائياً عن إدراك كل ما قاله عن آلامه سواء تلميحاً أو تصريحاً.

والسؤال الذي قد يحير الإنسان، لماذا يخفق التلاميذ في فهم المسيح بهذا القدر؟ ولكن هذه حقيقة حتمية. فأمور المسيح كلها، **وبالأكثر آلامه وموته وقيامته، ليست على مستوى المنطق العقلي.** أو كيف أن الألم ينشيء فرحاً؟ أو أن الموت ينشيء حياة؟ المسيح أصلاً ومبدأ ليس خاضعاً كلياً للزمان وللقوانين التي تتحكم في عقل الإنسان ووجدانه، بل إن الرسالة العظمى التي جاء المسيح ليكملها للإنسان هي أن ينقله من الخضوع المجبر للموت بواسطة الخطية إلى قبول حركة الحياة بحرية إرادته بواسطة الإيمان بدم المسيح لغفران الخطايا، الذي فيه الإنتقال المحتم من الموت إلى الحياة حتى وفي صميم هذا الدهر!!

فرحة الخلاص يتحتم أن تُرسم على خلفية الآلام:

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى وليمة عشاء المحبة باعتبارها القالب المختار الذي وضع فيه المسيح سر آلامه وموته. لأننا كما كنا أشرنا سابقاً إلى اهتمام المسيح كثيراً باختيار الحديث عن آلامه وموته في جو لا يخلو من السرور كما رأيناه عند سكب مريم قارورة الطيب الغالي الثمن الزكي الرائحة، أو في ختام رحلة التجلي الباهرة، أو أثناء تقدمهم في الطريق الصاعد إلى أورشليم وهم يترنمون بمزامير المصاعد في ملء الفرح والسرور: «فرحت بالقائلين لي إلي بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢ : ١)، نجد هنا أيضاً أن المسيح

يختار هذا العشاء المعتبر من أبهج المناسبات في حياة الشعب اليهودي، يختاره ويختار منه أقدس حركتين فيه وهما بدء العشاء بتقسيم خبز البركة ونهاية العشاء بتوزيع كأس البركة. و بينما التلاميذ في قمة الفرح والسرور التقليدي بالفصح الذي لم يخفِ المسيح عن فرحه به أيضاً: «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم» (لو٢٢: ١٥)، بدأ المسيح يعلن عن سر الخلاص بسفك دمه وتمزق جسده (!!) من داخل مسرة الأكل والشرب.

هنا الإشارة إلى تلاحم عمق الفرح مع عمق الألم تبلغ قمتها وأوجها، لتنشىء الإنتقال من الموت إلى الحياة. هنا سفك الدم العاري من العنصر الزمني كفعل دائم معنا يعلن عن تغلغل قوة الله السرية وفعل الروح المستمر للإنتقال المبهج من الموت إلى الحياة لتشمل كل حياتنا في الصميم؛ وخاصة لحظة التناول!

إن عطاء المسيح لسر آلامه وموته من خلال عشائه الأخير الذي أكملوه بالتسبيح على خلفية الآلام يُعبِّر لنا تعبيراً حياً عن موقع الخلاص وسر الإفخارستيا من حياتنا اليومية!!

رؤيتنا للصليب

في رؤيتنا لآلام المسيح عبرنا على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: رؤية المسيح لآلامه والتعبير عنها بالرمز.

ثم المرحلة الثانية: رؤية المسيح لآلامه والتعبير المباشر عنها بالتحديد الزمني والوصف الواقعي.

ثم انتقلنا إلى المرحلة الثالثة: وهي رؤية المسيح لآلامه والتعبير عنها سراً أي بفعل سري يفوق المعنى، و يفوق الحادثة، و يفوق الزمن المحدد الذي حدَّده لهم بقوله: «بعد ثلاثة أيام... يُقتل إبن الإنسان». فلما لم يستطيعوا أن يقبلوا هذا، باغتهم وهم في حالة استرخاء وعلى عشاء المحبة إذ به يُمسك الكأس والخبز فجأة، و يقول لهم: «هذا هو جسدي... هذا هو دمي... كلوا... واشربوا منه كلكم...». ولم يستطِع أحد أن يسأله: كيف؟ أو ماذا تعني بالجسد المكسور والدم المسفوك؟ بل مدُّوا أيديهم إلى الكأس وهم مأخوذون وشربوا...

وهكذا أدخل المسيح بهذا الفعل الفائق في كيان التلاميذ ـــ لا مفهوم الآلام، بل سرّه وجوهره.

و يلزمنا أن نفهم أن كل فعل بشري مآله إلى التغيير ثم إلى الزوال، كل فعل بشري بل كل خليقة تحت السماء هي قابلة للتغيير، كما قال الرسول بولس: «هي تبيد ولكن أنت تبقى. وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير. ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى» (عب١: ١١، ١٢). هكذا كل حادثة زمنية، كل قول بشري ـــ حسب قول يوحنا المعمدان ـــ «الذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم» (يو٣: ٣١)، ولكن «الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع»، هذا هو الذي كلامه من السماء، ولا يمكن أن يسقط حرف ولا نقطة واحدة منه (مت٥: ١٨). كل فعل زمني، كل فهم بشري،

سواء كان في الفلسفة أو العلم، فمآله إلى التغيير. كل معرفة، مهما أحيطت بالتأكيد والبرهان في زمن ما، مآلها إلى التغيير، و بعد التغيير الزوال.

أما الحادثة الروحية والفعل الإلهي ــ كالصلاة مثلاً ــ فهو لا يفنى. فالصلاة فعل روحي، وكل من يصلي بحرارة وإخلاص يدخل الفعل الروحي الذي لا يفنى. كل صلاة يصليها الإنسان باقية إلى الأبد، وما عداها من أعمال يتغير و يفنى. كل ما صليته وأنت صغير أو وأنت شاب هو مذخر لك، كل ما اتصلت به بالروح هو باقٍ لك ومحفوظ، لأن «سيرتنا نحن هي في السموات» (في٣: ٢٠). إنها سيرة الذين يؤمنون بالمسيح. هكذا سيرة كل الذين يعبدون الرب من كل قلوبهم. هي في السموات، وكل سيرة في السماء مكتوبة بالنور، وكل إسم آمن بالرب يسوع المسيح منقوش على كف المسيح وعلى صليبه، بل وعلى جسده.

هكذا استطاع المسيح يوم خميس العهد أن يعطي تلاميذه الفعل الإلهي: الموت، والآلام التي تسبق الموت، والقيامة التي تتبعه. أعطاهم سر آلامه وسر موته وسر قيامته في الخبز المكسور وفي الدم المسفوك. لا أقول قسراً أو اضطراراً بل دون وعي من العقل ولا قياس على فهم أو منطق، إنما بحذق إلهي فائق. إذ لما أخفق العقل البشري عن إدراك سر موت الرب وقيامته استطاع المسيح أن يستخدم العنصر الذي يفوق العقل، أي فعل الروح القدس الذي يتغلغل الكيان الروحي للإنسان. وهكذا استطاع من خلال السر أن يسكب في أعماق كيان تلاميذه، ليس **فكرة** الآلام التي لم يفهموها، ولا **معنى** الصليب الذي أنكروه على المسيح، ولكن **سر وجوهر** الآلام وفعل الصليب الكفاري مع قوة القيامة.

هذه هي المرحلة الثالثة التي سبق وتكلمنا عنها بإسهاب، وقلنا أنها هي رؤية المسيح الخاصة لآلامه والتعبير العملي عنها بالسر.

واليوم وعلى الصليب كملت كل رؤية المسيح لآلامه بكل دقة وإحكام، إذ انطبقت الرؤية على الحدث الزمني انطباقاً يذهل العقل، وتقدم المسيح فاتحاً ذراعيه

ومُقدماً جسده للصالبين ليكملوا فيه كل ما أرادوا. لم يجزع أو يستعفي لأنه من أجل هذه الساعة قد أتى، فتقدم وهو عالم بكل ما سيأتي عليه.

كانت رؤية المسيح لنفسه المصلوبة رؤية واضحة. وماذا ننتظر من وراء الرؤيا الواضحة للحادثة المستقبلية إلاّ تتميمها بلا جزع بل بكل رضى، مهما تكدّست الأحقاد والأتعاب والآلام؟ وقد سبق أن سردت لكم كيف وأنا بعد راهب مبتدىء كنت أقرأ عن آلام المسيح، فقرأت للقديس بولس الرسول: «مع المسيح صُلبتُ»، و«إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (غل٢: ٢٠؛ رو٨: ١٧)، فتساءلت: ماذا يكون موقفي لو اقتحمتني الضيقات ودُعيتُ فجأة لمشاركة المسيح في آلامه وصليبه بالفعل؟ وصرت أتأمل كيف أقبل آلام المسيح لتكون نصيبي فعلاً وعلى مدى الحياة. وابتدأت أتصور الآلام وهي تكتنفني كرؤيا... فارتاعت نفسي جداً، ولكن كانت قوة الصليب تتكشّف لي من وراء سحب الضيقات مع أمجاد الآلام، فوجدتني أتقبّلها إنما بصعوبة ومشقة حتى أضاء طريقي نورُ القيامة التي تواكب الصليب حتماً وتنبثق منه!!

فإن كانت هناك نتيجة حتمية للآلام الطوعية، والشركة في موت المسيح، فهذه النتيجة هي: القيامة! وكل من يؤمن بالقيامة لا يصح أن يستعفي من الألم حتى إلى الموت.

لذلك أقول أن اليوم ينبغي أن يكون يوم رؤيتنا نحن للصليب. وهي رؤيا مزدوجة:

الرؤيا الأولى: وهي ما أكمله المسيح عني وعن العالم كله، «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب: يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا، **ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً**» (١يو٢: ١، ٢). رؤيتنا يجب أن تمتد لتشمل هذا الإتساع. فالعمل الذي عمله المسيح على الصليب يحتاج إلى رؤية إنجيلية دقيقة، لنرى عمقه واتساعه، حتى نرى أنفسنا حتماً و بالضرورة ضمن هذه المشورة العظمى التي أكملها المسيح لتتسع العالم كله...

أما الرؤيا الثانية: فهي الرؤيا الفعلية لأنفسنا منحصرين في دائرة الصليب دون استعفاء: «من لا يحمل صليبه و يأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو١٤: ٢٧). هنا انتقال من العمل المطلق المتسع الذي عمله المسيح من أجل الجميع إلى الواقع الفردي المنحصر في الذات، وهو انتقال حرّ لأنه دعوة ووصية من فادي أحب الذين فداهم حتى الموت لكي بشركة آلامه وصليبه يرتفعوا معه إلى المجد الذي له والذي أعده ليشتركوا فيه...

ووصية المسيح تحمل في طياتها وعداً بالتنفيذ أكيداً: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت٢٤: ٣٥).

ولقد استرعى انتباهي في تأملي لموت المسيح وأثره علينا، الآية التي تقول: «وكما وُضع للناس **أن يموتوا** مرة ثم بعد ذلك **الدينونة**، هكذا المسيح أيضاً بعدما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين **سيظهر ثانية** بلا خطية **للخلاص** للذين ينتظرونه» (عب٩: ٢٧، ٢٨).

هنا ينكشف فعلان في حياة الإنسان يحكمان البشرية كلها: الفعل الأول: **الموت**، والفعل الثاني: **الدينونة**.

الأول نراه حادثاً أمام عيوننا كل يوم، أما الثاني فهو وإن كان غير منظور إلا أنه محسوس.

فمنذ الطفولة والإنسان يواجه الإحساس بالدينونة، أولاً عن طريق قانون الخطأ والصواب، حيث ينغرس في الوجدان الإحساس بخطر الدينونة منذ أول لحظة ينفتح فيها الفكر البشري لتأويل الحادثة، وذلك حينما تُعاقب الأم طفلها على الفعل الخاطىء، فيحدث فعل ارتكازي يبدأ الطفل على أثره مباشرة يفهم رد الفعل المترتب على أفعاله، وهذه هي الإرهاصة أو التشكيلة الأساسية التي يتشكل عليها و ينبني مفهوم الدينونة.

وهكذا يبدأ فعل الدينونة يرافقنا في مسيرة الحياة برمتها منذ اللحظة الأولى التي يتحرك فيها العقل والضمير لفهم أن لكل فعل رد فعل.

كذلك الموت، فمنذ أن نولد وفعل الموت يخط خطوطه و يعمقها في الإنسان. فكل إصابة برد أو حمى أو أي مرض حتى والطفل ما يزال صغيراً بعد، يكون له رد فعل مباشر على المخ وعلى الأعصاب يغيِّر و يشكِّل في السيالات العصبية وفي تركيبات الدم الكيماو ية بأثر سلبي ليبدأ العد التنازلي في عمر الإنسان.

فالموت والدينونة فعلان يرافقان الإنسان منذ أن يولد. وهنا يتكشف لنا عمق معنى الآية: «**كما وُضع للناس أن يموتوا مرة و بعد ذلك الدينونة**».

هذان الفعلان، أي الموت والدينونة، يظلان يعملان في كيان الإنسان دون أن ينتبه لهما أو يَعيهما، ولكن حينما ينمو الضمير و يعي العقل الأمور جيداً، ونبدأ نفهم الحادثة الروحية كما ندرك ونعي الحادثة الزمنية، حينئذ يبدأ الإنسان يدرك حقيقة الموت الكائن فيه وحقيقة الدينونة التي يسير إليها. وعلى هذا فحينما نقرأ الإنجيل ونفهم معنى الوصية ومخالفة الوصية، ونعرف العقاب ومعناه، والدينونة ومعناها، وآلام الرب التي تألمها، والأحزان التي جازها كلها بمفهومها ومعناها، والصليب والموت، حينئذ تستيقظ فينا كل خبرات الحياة من أفعال وردودها، فتبدأ تتشكل صورة صحيحة عن الدينونة الحتمية و يتكون في وعينا تقييم صحيح للموت الذي سنجوزه. أي أننا كلما نضجنا وتقدمنا في فهم الحدث الروحي في الإنجيل — والخاص بآلام المسيح بالذات وموته — حينئذ ينضج إدراكنا للموت وللدينونة.

ولكن ثمة آية أخرى قابلتني ترد على هذه الأولى وتكمِّلها، هذه الآية الثانية هي: «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو٨: ١).

لقد جاز المسيح الموت والدينونة فداس الموت وألغى الدينونة؛ بينما نحن لا يمكننا أن نجوزهما دون أن نُمْسَك فيهما من واقع طبيعتنا. من أجل هذا مات المسيح وقام وجاز

الدينونة عن كل ذي جسد فنال له وعنه البراءة الكاملة. فالمسيح بصليبه و بآلامه رفع الدينونة، ورفع الموت أيضاً. هذا هو صليب المسيح الذي يطالبني المسيح أن أكون شريكاً فيه لأنال منه ما اكتسبه لي فيه؛ هذه هي رؤيتنا للصليب.

إذن فضميرنا الذي ورث الدينونة منذ صغره كرد فعل على أخطائه وتراكمت عليه المرعبات والتخويفات، سواء من الأهل أو المدرسة أو دروس الدين، هو مدعو أن يُلقي عنه كل هذه التراكمات إن هو فهم قيمة صليب المسيح واشترك فيه طواعيةً، لأن على صليب المسيح أُلغي هذان الفعلان وخلصت البشرية من هذين الحكمين اللذين حكماها قسراً!

نعم... لقد دخلت البشرية إلى حرية حقيقية ــ بكل معناها المطلق ــ سواء من الموت أو الدينونة، إذ سقط عن الإنسان حكم الموت كتوقف عن الحياة وصار مجرد **انتقال** لمسيرة حياة أفضل، وسقط حكم الدينونة وصار «**لا دينونة**».

هذا هو فعل الصليب في طبيعتي حينما أحمله واشترك فيه.

لقد مدَّ اليوم المسيح يده ــ كما فعل يوم خميس العهد ــ من أمام المستقبل بكل امتداده ومن وراء الماضي بكل عمقه ورفع الدينونة كلها ووضعها على نفسه، و برَّأ الإنسان بأثر رجعي. فالمسيح لما مات حمل خطايا البشرية، كل البشرية، في جسده على الخشبة، فأصبحنا ــ كل من يؤمن ــ بلا دينونة، لأن الدينونة كانت قائمة على أساس الخطية، والخطية تلاحقنا منذ يوم ولادتنا «لأنه ليس إنسان بلا خطية ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض» (*).

من وراء الزمن ومن أمام الزمن مدَّ المسيح يده واستحضر كل قوانين حكم الموت من واقع الناموس القديم، منذ أول يوم نطق بها موسى، وأخذ تلك الدينونة العتيدة أن يُدان بها العالم كله بسبب التعدي والخطية ووَضَعَها على جسده و برَّأ الإنسان، والتبرئة

(*) أوشية الراقدين ــ القداس الإلهي.

هنا تم فقط على كل من يقبل الصليب وما تم عليه اليوم. لماذا؟

لأن هذا حكم براءة، مصدّق عليه من محكمة الله العليا، مختوم عليه بخاتم دم المسيح، فكل من آمن بالدم المسفوك سَرَى عليه نفس الحكم.

فما تم على الصليب هو حكم عام ببراءة الإنسان، من آدم حتى آخر ابن لآدم، فأصبح من حق كل إنسان أن يطالب به، ولكنه ليس حقاً أبداً لمن يزدري به.

وهكذا لا يمكن أن يُفهم من هذا أن خلاصنا مضمون بلا تحفظات!

ولكي يتضح التحفظ المطلوب نضع الآيتين معاً:

ــ «وكما **وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة**».

ــ «**لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع**».

فالذين هم في المسيح يعيشون و بالمسيح يسلكون هم وحدهم الذين في المسيح يتبرأون ومع المسيح يحيون.

إن الصليب الذي صُلب عليه ربنا يسوع المسيح، هذا الذي أخذناه معياراً لحياتنا ورمزاً لجهادنا، نضعه على صدورنا كتعبير عن أننا خبأناه داخل قلوبنا، ورسمناه في بيوتنا تعبيراً عن أننا رسمناه داخل ضمائرنا وعقولنا، هذا الصليب قوة. ليس هو قصة... هو ممدود إليك وعليه ذراعا الرب. ليس هو صورة، بل عليه تمت حادثة ظلت في العالم فعلاً يسري على مدى الدهور. قوة دخلت العالم ولن تخرج منه... وكما قلنا إن كل فعل بشري مآله إلى الزوال، لكن الذي حدث على الصليب ليس فيه تغيير ولا شبه دوران، ليس فيه قيد شعرة من التغيير. فما حدث هو حادث، والدم المسفوك سيظل مسفوكاً، والقوة التي دخلت إلى العالم كقوة غفران ورفع الدينونة عن الإنسان، كل إنسان، لم تخرج ولن تخرج من العالم! ومن هو العالم؟ هو أنا وأنت، وكل جيل، وكل مكان في العالم. حادثة الصليب حادثة إلهية. وكما التحمت المادة بالأزلية ــ في التجسد وفي سر كأس الإفخارستيا ــ والتحم الزمني بالأبدي، وهكذا صار للزمني أي للإنسان قوة لن تفارقه «من يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في

اليوم الأخير» (يو٦: ٥٤). وهكذا على الصليب دخلت العالم قوة، ألغت الفعلين الآخرين، الموت والدينونة.

حقاً إن الموت والدينونة فعلان أرعبا الإنسان وحكما العالم واستبدا بالطبيعة البشرية! ولكن لما دخل العالم فعل المصالحة، نازلاً من السماء من وراء الزمن، حمل كل الدينونة والخطيئة على جسد المسيح، فألغى الموت وألغى الدينونة.

فالفعل الذي أكمله المسيح على الصليب فعل خارج حدود الزمن، فهو يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ويمتد ليؤثر في الأبدية أيضاً، فهو ليس فعلاً محكوماً بالزمن والمادة، إذ هو فعل إلهي. وكل فعل إلهي فعّال بطبيعته غير ساكن، أي غير جامد (static)، فعل متحرك (dynamic)، أي أنه فعل يولِّد فعلاً. ففعل الموت على الصليب ولَّد فعلاً آخر هو فعل القيامة.

فالصليب ــ مثله مثل الجسد والدم في سر الإفخارستيا ــ ليس هو حدثاً ساكناً بل متحركاً، أي فعالاً، يتخطى كل حدود الزمن، اليوم وغداً وإلى الأبد. فهو الذي سيعبر بك الدينونة و ينقلك من الموت إلى الحياة.

لذلك فحينما نقول: «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، يتضح لنا أن ما حدث على الصليب ليس قصة بعد ولا تاريخاً بل قوة محرِّكة.

فهذا الذي تم على الصليب حينما يتقابل مع واقعنا على مستوى الإيمان، ينشيء فينا حركة محيية مجدِّدة تغيِّر شكلنا وسلوكنا. لذلك تقول الآية عن يقين: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، وعلينا أن نثق ونؤمن بهذا تماماً. فالقوة لنا وفينا حتى وإن كنا لم نستخدمها بعد.

والآن لا نستكثر التغيير الذي نشتهيه فالأمثلة التي حازت عليه عظيمة حقاً. أنظر إلى موسى الأسود، ومار يا المصرية، وأغسطينوس. مار يا المصرية ذات الماضي

العريض في الدعارة، كيف خطفتها قوة الصليب بروح التوبة، فانطلقت إلى براري الأردن لتعيش في نسك فائق سنين طويلة، ليقدّم لنا منها المسيح أخيراً نموذجاً لأقدس إمرأة تائبة ناسكة عايشت الوحوش في براري موحشة تأكل من حشائش الأرض وورق الشجر وتتستر بالخرق البالية وألياف الشجر.

قل لي، من أنت؟ وكم هو قدر خطاياك؟ وأنا أقول لك: «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع»، الذين قبلوا الصليب لا كقصة بل كفعل إلهي تم في ملء الزمن، ليرتفع بالإنسان فوق طبيعته العاجزة، و يرتفع بالعقل البشري فوق كل منطق، وليعطيه ما لا يمكن أن يتصوره فكر؛ هذه القوة المغيِّرة التي تستطيع أن تجعل من الخاطىء المتردّي في خطاياه قديساً ذا مثال يُحتذى، و يصح فيه القول أنه صار بالفعل خليقة أخرى مهيّأة ومُعدّة للقيامة.



القيـــامـــة

القيامة إيمان قائم على مشاهدة فائقة

القيامة حياة جديدة غير منظورة حسياً أي لا تُرى بالرؤيا العادية، فهي ليست حدثاً زمنياً يختص بهذا العالم كلية. فهذا العالم ينحصر في فعلين: ميلاد وموت، ويُحكم ببعدين: زمان ومكان. والقيامة فعل ثالث فوق الميلاد والموت، وهي أيضاً فوق الزمان والمكان، لذلك فالقيامة تخرج عن نطاق المنطق العقلي.

مفتاح إدراكنا للقيامة يلزم أن نفحصه أولاً في الإنجيل.

في إنجيل متى ٢٧: ٥٠-٥٣، يربُط ربطاً محكماً بين موت المسيح وقيامته وتأثير ذلك على قيامتنا نحن: «فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم **وأسلم الروح!... وإذا** حجاب الهيكل قد انشق (رمز علاقة الله بالإنسان) إلى إثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت والصخور تشققت، والقبور تفتحت **وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته** ودخلوا المدينة المقدسة **وظهروا لكثيرين»**.

هذه هي شهادة الإنجيل عن القيامة وهي مطابقة تماماً لعلامات القيامة العتيدة العامة. إذن فالإنجيل هنا يهمس في آذاننا أن قيامة المسيح من الأموات هي في حقيقتها وفعلها **فجر حقيقي للقيامة العامة، وبدء فعَّال ودائم لها.**

في الحقيقة يُعتبر هذا النص الإنجيلي من أهم النصوص التي وردت عن مفهوم موت الرب وقيامته:

+ لأنه يربط ربطاً عملياً وواقعياً مشاهَداً ومشهوداً له من كثيرين أن **موت الرب أنشأ في الحال تأثيراً فعَّالاً محيياً في الموتى**، ومن هنا جاء نشيد الكنيسة المعبِّر عن لاهوتها الخالد **[بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم هم بالحياة الأبدية]**.

وموتى القبور عندنا الآن هم الأموات بالذنوب والخطايا حتى ولو كانوا في القصور.

إيمان الكنيسة ولاهوتها مشاهدة فعلية:

+ ثم كان هذا النص وهذا اللحن هو الأساس العملي أيضاً على مستوى المشاهدة والشهادة لإيمان الكنيسة أن قيامة المسيح من الموت أطلقت القائمين من قيود الموت، أي حرَّرتهم من سلطان الزمان والمكان، و بدأوا بالفعل يحيون الحياة الأخرى علناً كعربون وشهادة. هذا هو فجر الخلاص الذي شهده التلاميذ.

وهكذا يتبلور إيمان الكنيسة منذ البدء، على أساس مشاهدة فعلية أي خبرة إيمانية جماعية ولكن على مستوى خاص وفائق.

ــ **أن موت المسيح** ألغى الموت وأنهى على سلطانه **في الحال** وفك أسرى الهاو ية. «الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة **وهي الآن** حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو٥: ٢٥).

ــ **وأن بقيامة المسيح** وظهوره بدأت القيامة للإنسان بالفعل، وإن كانت ظهرت في الجسد كحالة خاصة فهي عربون للقيامة العامة للقديسين الكائنة الآن بالروح والتي ستكون.

ومن هنا جاء الإيمان القوي الذي له ما يسنده و يبرره و يشهد له من الإنجيل بخصوص أرواح القديسين الراقدين في العالم الذين ظهروا ظهوراً خاصاً لكثير ين.

تسليم التلاميذ لبولس و بولس يسلِّمه لأهل كورنثوس:

هذا الإيمان الكنسي المُعتبر حجر الزاو ية في اللاهوت المسيحي، استلمه القديس بولس الرسول كتسليم قائم على إيمان واستعلان ورؤ يا واختبار من التلاميذ، وسلَّمه لأهل كورنثوس (١كو١٥: ١ــ ٢٠) (سنة ٥٥/٥٦م)، لا كأنه اختبار إيماني وعقيدة مسلَّمة من التلاميذ فقط، ولكنه أضاف إليها إيمانه هو الإختباري الواقعي فيما بعد. وطبعاً نضيف إلى ذلك رؤ يته هو للمسيح علناً وسماع صوته من السماء.

دفاع بولس:

و يلاحظ أن محور دفاع بولس الرسول عن قيامة المسيح ليس هو لإثبات قيامته — بل لإثبات قيامتنا — مع أنه قدم الشهود العيان، وهو واحد منهم.

لا قيمة للشهادة المادية:

ولكن نعود ونقول ونبه: ما قيمة شهود عيان لحادثة لا يحكمها الزمان والمكان، فلا العين تستطيع أن تتحقق منها خلْواً من موهبة الإنفتاح، ولا العقل يمكن أن يستوعب الرؤيا و يصدقها خلْواً من موهبة إيمان. لذلك نجد الشهود قليلين جداً لأنهم مختارون من الذين يستطيعون أن يروا ما لا يُرى، ولا نجد شهادة واحدة من الجميع يتفق عليها الجميع. في رؤية بولس للمسيح، بعض الذين معه سمعوا الصوت ولم يروا أحداً، وبعضهم رأوا ولم يسمعوا، كذلك في دخول بطرس و يوحنا للقبر، بطرس رأى وخرج مندهشاً، و يوحنا نظر فآمن وهذا هو الحال في رواية القيامة في الأناجيل الأربعة، الأمر الذي حيَّر العلماء واستنفذ كل ذكائهم وصبرهم بلا أي فائدة — فالقيامة أولاً وأخيراً حالة فائقة لا تُدرك إلا بانفتاح خاص وبموهبة خاصة وفي حالة أو مستوى روحي خاص. لذلك نجد بولس الرسول لا يركّز على القبر الفارغ أو شهادة النسوة أو الملاك.

كذلك نجد أن بولس الرسول يركز بشدة على حقيقة القيامة كمحور الكرازة بالمسيح، على أساس أنها تنشيء قيامة فينا. هذا الإيمان الواثق استلمه بولس واختبره، وهو قمة الإيمان بالمسيح و بدونه لا منفعة من الإيمان بالمسيح قط.

«إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا» (١كو١٥: ١٤)، (لماذا؟ لأننا نحن التلاميذ والرسل واثقون بالشهادة والتسليم، ولأن قيامة المسيح ليس لها أي هدف أو غاية إلا إقامتنا وإقامتكم من الأموات) «و باطل أيضاً إيمانكم» (١كو١٥: ١٤) (لماذا؟، لأن أي إيمان بالمسيح بدون الإيمان الحي بأنه قام من الأموات فلن تكون له قوة قيامة، وإذا لم تكن لكم قيامة فنحن وأنتم أشقى جميع الناس،

لأننا نبقى في خطايانا ونتألم بلا رجاء.

يقين الإيمان بالقيامة ينشأ من حالة قيامة بالروح فعلية:

ولكن من نص إنجيل القديس متى ونص القديس بولس نستشف بيقين نحسه في أعماق قلوبنا أن الكنيسة الأولى كانت تعيش بالفعل في حالة يقين الإيمان بالقيامة، لا كمجرد مبدأ إيماني أو نظرية لاهوتية، ولكن **كانت تعيش في حالة قوة هذه القيامة كحقيقة معاشة.** وهذه الحالة بعينها وليس أي شيء آخر سواها هي التي نقلت التلاميذ من حالة الخوف وعدم الإيمان وضعف الفهم وانعدام الإدراك لكل ما قاله المسيح وكل ما تم على الصليب إلى اللحظة التي أُعلن فيها عن القبر الفارغ، وسمعوا بخبر قيامة المسيح من الملائكة: «فأجاب الملاك وقال للمرأتين **لا تخافا أنتما.** فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا **لأنه قام** كما قال. هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه. **واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات»** (مت٢٨: ٥—٧).

ولكن كيف استلم التلاميذ هذا العربون أو هذه الحياة الجديدة بكل خصائصها؟

لم تكن البراهين المادية على الإطلاق سبباً في قبول التلاميذ حالة الإيمان بالقيامة ونوال عربونها، فلا القبر الفارغ ولا حديث النسوة ولا شهادة الملائكة ولا رؤية الرب نفسه كان كافياً، لأنه مكتوب بكل وضوح: «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له **ولكن بعضهم شكُّوا»** (مت٢٨: ١٦—١٧).

الرب يسلم سر قيامته بسلطانه للتلاميذ:

ولولا أن الرب تقدم وبدأ يكلمهم ثم وهبهم في هذه اللحظة قوة وسلطاناً خاصاً على إدراك كل الحقيقة، لبقوا بلا إيمان «فتقدم يسوع وكلَّمهم قائلاً: **دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا** (هنا فاء العِلَّة تأخذ معنى أنه أعطاهم هذا السلطان) **وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس**

وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم (السند الثاني الدائم) كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين» (مت٢٨: ١٨ــ٢٠).

+ حتى في حادثة توما، فما جعله يؤمن هو انفتاح بصيرته مع وضع أصبعه، نتيجة لقول الرب له: «لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (يو٢٠: ٢٧). واضح جداً أن التلاميذ لم يستطيعوا أن يقبلوا القيامة بالبرهان المادي أو العقلي على الإطلاق، لذلك تدخل الرب يسوع وسلّمهم هذه القيامة بكل سلطانها كفعل حياة سري ــ وكقوة حياة لخليقة جديدة ــ لذلك فالقيامة في الإنجيل وفي الكنيسة هي قوة تمنح في سر.

القيامة مجد:

كما يلزمنا أن نفهم تماماً أن القيامة ليست مجرد قيامة أجساد من الموت، بل هي بالدرجة الأولى حالة حياة في مجد لخليقة جديدة، هي شركة في مجد الله، فجسد المسيح المقام كان في حالة مجد، لذلك كان من العسير للعين العادية والإيمان العادي أن يدرك القيامة إدراكاً كاملاً إلا إذا أُعطي نعمة نظر هذا المجد، وإلا فلن يرى إلاّ مجرد خيال كما ظنه التلاميذ عند أول ظهوره: «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً» (لو٢٤: ٣٦، ٣٧) مع أنه كان واقفاً أمامهم بكل مجده.

القيامة حالة مجد وغبطة في حضرة الرب:

من هنا يبدأ إيماننا بالقيامة، فالقيامة حالة مجد، واشتراك «في مجد». لا هي إيمان عقل ولا رؤية عين!!، لذلك يُقال أن كل نداء بالمجد δόξα في الكنيسة هو إعلان وشهادة أن الكنيسة حاضرة بالقيامة في حضرة الآب والإبن والروح القدس. فالنداء بالذكصا إعلان عن حالة القيامة التي تعيشها الكنيسة في كل لحظة، هو نداء الإعتراف والشكر والتوسل معاً.

واضح جداً ياأحبائي أن الكنيسة الأولى كانت تعيش هذه الحالة عينها، حالة المجد «**الذكصا**» حالة القيامة، حالة حضور الرب حسب وعده الصادق والأمين «**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**». حضور الرب هو حالة قيامة ممجدة ندخل فيها ونعيش فيها. الكنيسة هي مكان حضور الرب عندما تكون مجتمعة باسمه للشهادة والتسبيح والتمجيد لإسمه. فالكنيسة تعيش مجد القيامة وتسلّمها لأولادها طالما هي تشهد وتكرز وتعلم بالروح والحق من خلال الصلاة والأسرار والتسبيح.

تسليم قوة القيامة من الرب المقام:

ثم لاحظوا تماماً أن التلاميذ لم يقبلوا حقيقة القيامة كفعل وحياة وطاقة شهادة وكرازة وفرح إلاَّ من الرب نفسه و بروحه القدوس عندما كانوا مجتمعين معاً سواء في العلية بعد القيامة أو في العلية في يوم الخمسين.

لذلك لابد أن نفهم ونعي تماماً أنه **يستحيل علينا أن نعيش في عربون القيامة أو نقبل فعل الحياة الأبدية أو نذوق مجد الله إلاَّ بحضور المسيح ومع المسيح وفي ملء الروح القدس. فقيامة المسيح هي قيامتنا كما تقول الكنيسة** في أوشية كل إنجيل: «**لأنك أنت هو حياتنا كلنا، ... وقيامتنا كلنا**».

كما يلزمنا أن نلاحظ أن البرهان المفرح والمُقنع جداً على قبول التلاميذ قوة قيامة المسيح هو تحوُّل حياة التلاميذ من الضعف إلى القوة؛ من اليأس إلى الرجاء؛ من الخوف إلى الشجاعة؛ من الإنكار والهرب إلى الكرازة والفرح بالإضطهاد والبذل حتى الموت. **لذلك يناسبنا أن نضع هذا المقياس الحسَّاس والدقيق جداً نصب أعيننا لكي نتحقق من حصولنا على سر قيامة الرب في حياتنا.**

رجاء القيامة هو سلطان المسيح الذي لا يُحَد في السماء وفي الأرض:

الرب الحاضر بقيامته معنا وفينا والذي نكرز بموته و بقيامته له كل السلطان على كل السماء والارض!!

من الأسباب التي جعلت التلاميذ يتغيَّرون و يصيرون على مستوى القوة للكرازة باسم الرب لكل العالم **هو أن الرب استلم كل سلطان ما في السماء وعلى الأرض.**

العلاقة هنا بين سلطان الرب والكنيسة سرِّية للغاية، والرب نفسه هو الذي أشار إليها: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...». الأمر الذي يعطيه الرب هنا لتلاميذه بالذهاب للكرازة للعالم كله، ليس أمراً عادياً بل هو مشفوع بتأكيد ووعد وتأمين سرِّي **أنهم سيعملون تحت مظلة سلطان المسيح هذا الذي تخضع له كل السماء والأرض.**

قيامة المسيح هنا لم تقف عند حد غلبة الموت، أو حتى الصعود إلى السماء، أو حتى مجرد الجلوس عن يمين العظمة في السموات، **بل إن قيامة المسيح كشفت عن مستوى المجد الذي للمسيح إذ تسلَّم من الآب كل سلطان مما في السموات وما على الأرض،** ولكن ليس لمجرد أن يحتل المسيح مكانته في المجد لنفسه، ولكن لا يزال هذا المجد والسلطان يعمل لحساب الإنسان. فالرب بكل وضوح وعلانية يؤكد لتلاميذه أن ذهابهم إلى أقصى العالم للخدمة والكرازة إنما هو المسئولية المباشرة المنبثقة من سلطانه، أي أنه نال هذا السلطان لتكميل خدمة الكرازة على الأرض لخلاص العالم.

هذه الحقيقة تعطي للقيامة **امتداداً** في السماء **والأرض** ــ بواسطة الكنيسة ــ لتكميل الخلاص من واقع سلطان المسيح الحاضر في كنيسته بقيامته ومجده وسلطانه معاً.

فعنى أن يأخذ المسيح سلطاناً في السماء وحدها شيء، وكونه يأخذه في السماء وفي الأرض فهذا واضح جداً أن المسيح يملك في كنيسته على الأرض بسلطانه السمائي لحساب خلاص كل نفس.

وهذا الوعد أو الأمر بحد ذاته يُعطي للكنيسة قوةً ورجاءً وعزاءً لا يُقهر ولا يقف عند حد، كما يُعطي لكل إنسان يسعى نحو بلوغ القيامة قوة دفع لا يقدر الموت أن يوقفها.

والكنيسة التي تعيش في قوة القيامة هي حقاً تعيش في استعلان المجد أي في الذكصا الدائمة!! □

القسم الرابع

مقالات مناسبة للآلام

أسبوع الآلام

أسبوع الآلام أو أسبوع البصخة...

والبصخة هي العبور أو الفصح، مأخوذة من طقس خروف الفصح الذي بدمه عبر الملاك المهلك على البيوت ولم يؤذها (سفر الخروج الأصحاح الثاني عشر).

إذن، فأسبوع البصخة ليس أسبوع آلام عقيمة أو آلام وحسب، بل آلام عبور، آلام فصحية، آلام تأخذ قوتها ونورها ووهجها من دم الحمل المذبوح على الصليب.

إذن، فنحن سوف نجوز معاً أسبوع آلام، ولكن آلام للعبور بقوة دم يسوع من حياة لحياة ومن إيمان لإيمان...

لابد أن يكون أسبوع الآلام أسبوعاً خالداً في سنتنا هذه، ننال به حياة أقوى وأفضل، فيه سنسمع مراراً وتكراراً كيف يكشف الرب لتلاميذه عن خطة حبه السرية التي صممَّ أن ينفِّذها في نفسه طواعيةً عن حب صامت مكتوم.

«ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، و يسلمونه إلى الأمم...» (مت ٢٠: ١٨، ١٩). لقد حزن التلاميذ، و بعضهم استنكر هذه الخطة، لم يدركوا عظمتها... ولكن ما رأيكم أنتم أيها الأحباء وقد أدركتم عظم الخلاص والحب الذي صار بهذه الخطة المباركة، خطة الصعود إلى أورشليم ليسلَّم ابن الإنسان و يُهان ويموت؟ من الذي يسمع عن هذا السر الإلهي، سر التسليم المطلق للآب ولا يشتاق أن يتممه؟ ومن الذي لا يشتهي الآن أن يرسم نفس الخطة و يسير على آثار أقدام السيد في طريق الجلجثة؟

وإن كانت بدايتها الآلام والأحزان ونهايتها قيامة وبهجة ونور وقوة وصعود إلى السماء، فمن الذي يجزع بعد ذلك أن يعبر أسبوع الآلام الفصحية مع المخلص؟ من الذي

يتراجع و يستكثر الثمن المدفوع لهذا الخلاص العظيم. إنها خطة ناجحة مائة بالمائة، هيا نتممها معاً، كلٌّ في نفسه حسب طاقة حبه وإيمانه...

هيا نسير معاً على درب الصليب ونكمل أسبوع آلام العبور... نتواعد بالمسيرة، ولكن في قلوبنا، وكلٌّ له مسيرته وله آلامه وله حبه، ولكن نعبر جميعاً ولا يتخلف أحد، كصف واحد مُسحت أعتاب أبوابنا العليا بدم الحمل الواحد!! مسحة مقدسة بالروح والقوة. نعبر عبوراً اشتهيناه كل أيام حياتنا عبوراً من وجه الملاك المهلك... عبوراً من ظلمة جهل الخطية والجلوس حول قدور لحم الشهوة وعبودية فرعون، ومن السُخرة والمذلة، إلى النور والخلاص والعتق بدم المسيح.

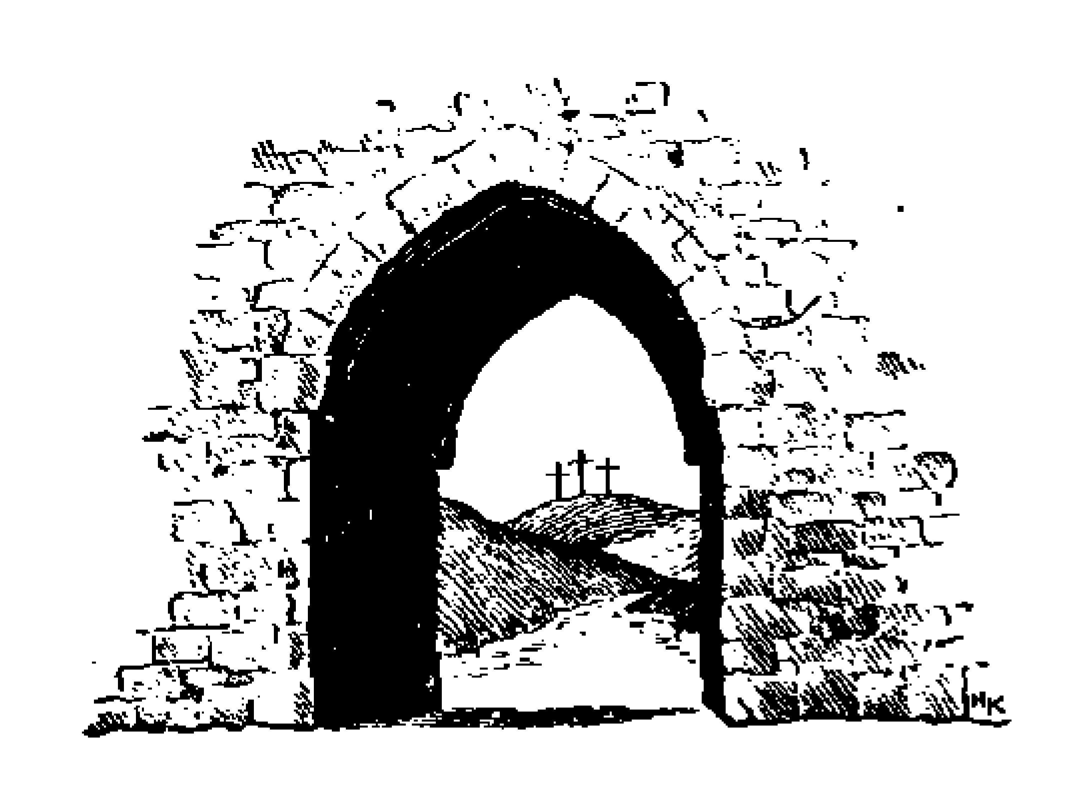
ما أمجدها آلاماً وما أعظمه أسبوعاً فصحياً، ذلك الذي ننال فيه هذا العبور.

إذن، فلنجعلها آلام حب، آلاماً طوعية، نمزج دموعنا بخبزنا ونبلل بها فراشنا، لا نعطي فيها راحة لصدغنا ولا نعاساً مريحاً لأجفاننا، حتى نعبر، حتى نجوز وادي ظل الموت، و يشرق علينا المسيح بقيامته.

هو ثبَّت وجهه نحو أورشليم وصمَّم على الخطة، عرَّض وجهه للخزي و بذل ظهره للسياط، لم يرتد إلى الوراء حتى الذبح...

إذن فقد فتح لنا الطريق ورسم خطواته وما بقي إلا التنفيذ...

(١٩٧٧)



صورة جديدة للألم

بعد أن أثبت المسيح سلطانه الفائق على الموت بإقامته لعازر من الموت (يو١١)، وبعد أن دهنته مريم بالطيب الغالي (يو١٢)، فكان في اعتباره هو «التكفين» الحقيقي، أي مسحة الجسد وإعداده للموت، تَقَدَّم يسوع إلى الصليب لِيُكَمِّل الإنجيل وليكمِّل كل تعاليمه وأعماله بمواجهة الآلام والموت الإرادي.

ولكن لا يفوتنا هنا أن نلمِّح كيف بدأ الرب آياته السبع، وكيف أنهاها ـ بحسب إنجيل يوحنا ـ لأن الرباط بينهما وثيق.

فنحن نعلم أن بداية الآيات التي صنعها يسوع كانت في بيت أحباء له، وفي وسط أناس على استعداد للإيمان به، في عرس قانا الجليل (يو٢)، عندما حوَّل الماء خمراً طيباً، كدعوة رجاء من القديسة مريم أمه.

وأخيراً، ها نحن في بيت الأحباء، بيت لعازر ومريم ومرثا أشد المؤمنين به. وهوذا المسيح بدعوة رجاء من مريم أخت لعازر يقيم لعازر الميت إلى الحياة، وهنا أظهر مجده كما سجَّل لنا الإنجيل.

في المعجزة الأولى كان اعتراضه الوحيد على طلب مريم العذراء أمه أن ساعته لم تحِنْ بعد. ولكن هنا، وبعد ثلاث سنين وأكثر، حانت الساعة فلا اعتراض البتة على إتيان المعجزة. وهنا أيضاً يُسجِّل لنا الإنجيل أنه أظهر مجده. وهكذا دائماً، فالمسيح لا يجد إلا في المؤمنين به أنسب الفرص ليصنع آياته و يظهر مجده.

ثم أيضاً بعد تحويل الماء إلى خمر بدأ المسيح فوراً يعلِّم عن تغيير وتحويل الإنسان نفسه بالميلاد الجديد من فوق من السماء، من الماء والروح، لحياة أبدية جديدة. وهذه استصعبها نيقوديموس جداً (يو٣). كذلك وفي إقامة لعازر من الأموات أعطى الإشارة واضحة لقدرته على الإقامة من الأموات أي التغيير الكلي. وهنا بلغت الصعوبة أقصاها عند الرافضين أيضاً، حتى أنه من شدة عدم تصديقهم عوَّلوا على قتل لعازر والمسيح منذ تلك اللحظة!!

وهكذا بدأت آلام الموت مبكرة قبل الصليب... ولكن ما أعجبها مفارقة بحسب المنطق، فآلام السيد بدأت علناً فور إعلانه عن شخصيته الحقيقية عندما دخل أورشليم كملك إسرائيل، وكصاحب الهيكل. أو بحسب النبوات: «و يأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه»(ملا٣: ١)، ثم تقول النبوات «ومن يحتمل يوم مجيئه»(ملا٣: ٢).

نعم، فرؤساء الكهنة وكل معلمي الناموس، والقائمون على المقدسات والتعليم، لم يطيقوا أبداً هذا المنظر! لا لأنه دخل أورشليم والهيكل بعظمة فائقة، ولكن على النقيض، لأنه جاء وديعاً متضعاً راكباً على حمار، بعكس ما كانوا يتوقعون!!

لقد بدأت آلامه بالرفض الكامل والمهانة والحقد الشديد، لأنه جاء وديعاً متضعاً بما لا يتناسب وأحلام إسرائيل، وهكذا دخل المسيح من الباب الضيق، وتمَّ فيه القول «مكروهُ الأُمَّةِ، عبدُ المتسلطين» (إش٤٩: ٧).

وهكذا، يبدأ درب الصليب مباشرة لأصحاب الحق، حينما تظهر هذه المضادة المكروهة دائماً في أعين الرؤساء، وهي عدم احتمال المناداة بالحق من فم مستضعف!!

لذلك، لحكمة بالغة جعلت الكنيسة القبطية أسبوع الآلام يبدأ يوم الأحد، حيث في هذا اليوم بالذات تبلغ الحفاوة بالمسيح قمَّتها، حينما تنشد الكنيسة أوصنا «خلِّصنا» في الأعالي ياملك إسرائيل، مبارك الآتي باسم الرب، وفي نفس الوقت تعود في الحال تنشد الكنيسة مزاميرها بلحنها الحزايني، وترتل الإنجيل بحزن يعصر القلب، وآثار الذبيحة تكون لا تزال قائمة على المذبح.

شيء مذهل! ولكن هذا هو مفهوم المسيح، وهذا هو مفهوم الإنجيل في وعي الكنيسة. مضادة فائقة على العقل يلتحم فيها أشد اليأس والحزن مع أشد الفرح والرجاء!! فمذخر في وعي الكنيسة وذهنها أن رفض رؤساء الكهنة للمسيح وإيذاءه وإهانته وسحقه على الصليب، هذا بعينه أنشأ فرحاً بالخلاص الأبدي لا يُنطق به ومجيد!!

الآلام المقبولة :

لعل أعمق ما بلغه الإنسان المسيحي من مفهوم صلب المسيح وآلامه أن الصليب بالنسبة للمسيح كان عملاً إرادياً مقبولاً «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها؟» (يو١٨: ١١). بل وأكثر من ذلك أيضاً، فالآلام والصليب لم تكن إرادية ولم تكن مقبولة وحسب، ولكن صارت مقصداً وغاية جاء المسيح ليكملها «ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧).

هذا يجعلنا نترجم الآلام ــ نحن المسيحيين ــ ترجمة فورية بأن المسيحي الذي يؤمن بالصليب حقاً لا يستعمل حقوقه في الهرب من الصليب!! لأن الإنسان المسيحي الذي أدرك عمق الصليب وأسراره، فهذا يرى الآلام جزءً لا يتجزأ من إيمانه، بل ونصيباً يعتزُّ به و يسعد بتتميمه، وغاية يسعى نحوها بلا خوف!!

وفي التقليد الكنسي تقول الرواية أنه لما حكم نيرون على بطرس الرسول بالصلب، عندما جاهر بإيمانه بالإله المصلوب، جزع بطرس وراوغ الحراس وهرب. فقابله الرب في الرؤيا، وقال له إلى أين أنت ذاهب يا بطرس؟ هل تريدني أن أذهب وأُصلب بدلاً عنك مرة أخرى؟... فاحتشم بطرس جداً وتألم بمرارة كيف سلك هذا المسلك المشين وخان صليب سيده؟ فعاد لتوه وأسلم نفسه لصالبيه!...

وهكذا، يضيف التقليد إلى إيماننا عنصراً هاماً وخطيراً أن الذي يهرب من كأسه ونصيب آلامه إنما يحرم نفسه من نصيبه في آلام المسيح، و يصبح وكأنه محتاج أن يُصلب المسيح من أجله مجدداً!!

اليد الحبيبة الممدودة بكأس الآلام :

لم تخطيء عينا المسيح قط في التعرف على اليد التي تقدّم له الآلام، فالمسيح لم يعتبر قط أيدي الأشرار الممدودة بالمطرقة والمسمار، ولا وجوه رؤساء الكهنة الفظّة الحاقدة وهي تصرخ: أصلبه... أصلبه (يو١٩: ٦)، بل ولم يعتبر بيلاطس كحاكم أو كناطق

بحكم الصليب، ولم تُعر أذنا المسيح إلتفاتاً إلى الشتائم وألفاظ التشفي من الحاقدين والموتورين من الفريسيين وحفظة الناموس ومقدّسي السبوت؛ بل كانت عينه مثبّتة على يد الآب وحدها باعتبارها هي الماسكة بالمطرقة والمسمار، وأذنه تصغي بوضوح إلى فم الآب وحده وهو يتلو منطوق العقوبة من جلد وصلب... وقد قالها المسيح بوضوح ما بعده وضوح «لم يكن لك عليَّ **سلطان** البتة لو لم تكن قد **أُعطيت من فوق**» (يو١٩: ١١).

لقد ظن بيلاطس أنه كان بسلطانه أن يُطلق سراح الرب ولا يحكم بصلبه، فراجعه المسيح في ذلك، بأن ذلك إنما هو ادعاء ووهم، وصحّح له مسار القضية كلها من اتهام ودفاع وقضاء. فبيلاطس كان ينطق بما تمليه عليه السماء!! لا بمقتضى الحكم السنهدريمي الغاش، ولا بمقتضى الحكم الروماني المفسود!... فالحكم بالآلام والموت على الصليب كان أولاً وأخيراً ممزوجاً حباً بيد الآب الذي أحبه من قبل إنشاء العالم، بل ومن أجل حب الله للعالم!!... فلم تكن فيه مرارة كما هو بحسب الظاهر، ولا كان ممزوجاً بحقد الحاقدين وتدبير المرائين بحسب الصورة والشكل، بل نصيباً مفضَّلاً من يد الآب نفسه يحمل جوهر الحب والقيامة والحياة!!...

ولكي نستسيغ هذا النموذج العالي، علينا أن نعود إلى النماذج الصغرى المبدعة للصلبان الصغيرة، مثل نموذج يوسف الشاب المبارك الذي لم يحقد على إخوته الذين ألقوه في البئر، ثم باعوه بالفضة ليمضي بعيداً في الغربة إلى مصر وحيداً، بل كان رافعاً قلبه وعينيه نحو الله معتبراً أن هذا نصيبه من يد الله مباشرة، فلم يرَ يوسف يد «أخيه» الخشنة الخائنة التي أدلته بالحبال إلى هاوية البئر، ولا انغلق قلبه من نحو إخوته وهم يقبضون ثمن دمه وهم يبيعونه للإسماعيليين، بل في كل هذا كان ينظر إلى اليد الخفية، يد الله نفسه، وهي تصيغ هذه الحوادث معاً. فنسمعه في النهاية يُطمئن إخوته عند افتضاح كل شيء و يقول لهم: «ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله.... أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً...» (تك٤٥: ٨، ٥٠: ٢٠).

لقد جاء المسيح ليرفع هذه الخبرات الصغرى وهذه النماذج الفردية إلى منهج عام، وقانون إلهي، وصليب فادي كبير، ودستور عهد الله مع الإنسان الذي ختمه بدمه وضمنه بروحه القدوس، قوامه أن ما من ألم وضربة تصيب خيمتنا الأرضية إلا ووراؤها أحنُّ يد في الوجود، يدُ الله، تلعب دورها بالحب الخالص!! فيد المسيح المثقوبة والتي عليها نُقش إسمنا مسبقاً، قد ضمنت خلاصنا جاعلة من آلامنا اليوميةوأتعابنا التي تبدو جزافية — مع اضطهاد ظالمينا وجحود الذين يتعاملون معنا كل يوم — صليباً جميلاً غاية الجمال يحمل لنا بذرة الحياة الأبدية، وله رائحة المسيح الزكية بشبه صليبه في المجد!!...

إغفر لهم:

وليس أدل على قبول المسيح لكأسه من يد الآب، بكل ما فيه من المهانةوالفضيحة والعار والألم حتى الموت، وكأنه الحب كل الحب دون تشكك أو تبرُّم أو حتى معاتبة أو أنين، من قوله «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤)، وذلك في الساعة الأخيرة عندما بلغ الألم أقصاه، وبلغت الفضيحة مداها، وصار الموت على مدى شبر أو دون.

فلو لم تكن عينا المسيح مثبَّتة على يد الآب الممدودة بكأس الألم والموت، ما استطاع المسيح أن يتجاوز المرارة المحيطة به، والعداوة الجاهلة، والأحقاد والتشفِّي، والظلم الفادح، وكل الحماقات التي أملاها الشيطان على الرؤساء ومقدّمي الشعب وعلى التلميذ الخائن!!...

لذلك، حينما طلب المسيح منَّا أن ندعو في صلواتنا اليومية بالغفران للذين أساءوا إلينا، لم يكن طلبه هذا من فراغ، ولا كفرائض الناموس العاجزة عن الفداء والخلاص، بل على أساس خلفية الصليب القائم على الطاعة لمحبة الله، والذي طالبنا أن نحمله على شبهه ومثاله.

فالذي ينوي أن يحمل صليب المسيح، عليه أولاً وقبل كل شيء أن لا ينخدع

بنظره وراء الأيدي الخشنة الصالبة لآماله ومشاعره، أو يتوه عقله في خبث نيات المتربصين ومؤمرات الحاقدين، ولكن عليه أن يثبِّت نظره نحو اليد المُحبة الحانية التي وضعت نير الصليب على الكتف بكل المواصفات التي تمت في صليب المسيح، كنصيب معين ومحدد بكل دقة وبحسب تدبير المحبة الإلهية التي تقيس كل شيء على قياس مجد المسيح، و باعتبار أنه مهما ثقل صليبنا ومهما تمادى العدو مع الأشرار في التثقيل بكل حماقة بالحِمل الموضوع على كتفنا الضعيف، فإن اليد الإلهية تقيس بدورها أيضاً مقدار ما يناسب من ثقل المجد المقابل في صليب المسيح، بحيث لو رُفع عن أعيننا ــ ولو إلى لحظة ــ الغشاوة التي ينسجها العدو ضدنا في هذه اللحظات، مع وهن النفس والملل والأعصاب المتأثرة، لأدركنا أن خفة هذا الصليب مع كل ضيقتنا الوقتية قد أنشأت بالفعل ببرهان الروح ثقل مجد أبدي موضوع لنا أمامنا في السماء ومنظور بالروح في عمق أعماق القلب مما يسهِّل علينا بالفعل أن نغفر بكل القلب ونتمادى في الغفران حتى إلى الدعاء والحب لكل من أساء إلينا وأضرّ بنا مهما بلغت الإساءة، ومهما بلغ الضرر ولو إلى حد الموت!!...

فالحياة الأبدية بكل أمجادها الباهرة كامنة في سرّ الصليب الصغير الحلو الذي وضعه الرب على أكتافنا!!...

عداوة لابد منها،
أما حقد الذين صلبوا المسيح فلم ينته بعد!

بمجرد أن ظهرت قوة المسيح الفائقة واستُعلِنت معجزاته وشاعت أعماله وأقواله المنيرة الباهرة، قام رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون وكل من كان يتعيش باسم الدين ومن وراء خدمة الدين، يُشكِّكون أولاً ثم يهاجمون ثم يتربصون و يصطادون الكلمات والأعمال. وأخيراً كان لابد من التآمر في الخفاء واتخاذ اللازم بأقصى سرعة للقضاء على هذا الدخيل قبل أن تضيع هيبتهم وتكسد تجارتهم، بحسب تعبير رئيس الكهنة نفسه.

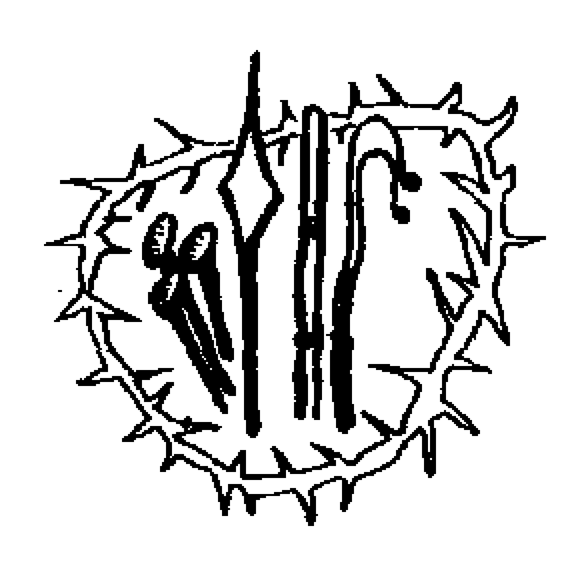
فالذي يلزم و يتحتم أن يبرز أمام أعيننا تجاه السبب المباشر في الوقوف ضد المسيح

وصلبه من حيث تصرف العالم نحوه، يمكن تلخيصه في جملة واحدة هي «نجاح المسيح الباهر»، نجاحه في الرفع من روح الشعب وفهمه للناموس وإسعاد الناس عامة، وعلى وجه الخصوص الخطاة والمنبوذين والمذلين والمرفوضين والمسحوقين والمرضى بأمراضٍ ميئوسٍ منها والمأسورين برباط الشياطين!!...

مرَّة أخرى، نجاح المسيح وحبه وحنانه ولطفه هو سبب كل آلامه وصليبه، هذا من جهة العالم!! أما من جهة الله الآب، فكان الأمر عكس ذلك تماماً، ففي الصليب كانت قد تقررت المشورة الأبوية بموافقة الإبن بكل الطاعة والرضى، لإنقاذ العالم حتى لا يهلك كل من يؤمن بالمسيح وآلامه. فالصليب هو الفُلك الجديد الذي يحمل من كل المستويات، الذي يسير وسط طوفان العالم وتهديدات الموت حتى هذه الساعة، لكي يبلغ بحامليه إلى شاطيء عالم السلام الأبدي.

ونفس نوع العداوة التي أظهرها جنود عالم الظلمة ورئيسه من نحو المسيح المخلِّص، وكل أحقاد الصالبين من رؤساء وشيوخ، التي كانت تتحرك من دوافع ذاتية للمنفعة، مع تعصبهم الأعمى المزيَّف للحرف، لا تزال كما هي حتى الآن، تصوَّب بنفس الجهالة والتعصب الأعمى المزيَّف نحو كل من عزم أن يعلن المسيح في حياته ويسير على أثر خطواته.

(١٩٧٨)



جثسيماني: بستان «معصرة الزيت»(*)

أكتب إليكم أيها الأحباء عن واجبنا إزاء المقيدين والمذلين في العالم والسائرين في طريق الموت باعتبار أنها رسالة حياتنا، لأن هذا قد وُضع علينا بإرادتنا، ولأن لا خلاص لنا إلا بقدر ما نرى أنفسنا مسئولين عن خلاص الآخرين، أو كيف نرتاح في أنفسنا وإخوتنا لا راحة لهم، والرب يحذرنا: «إن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم؟»[1].

واليوم أكتب إليكم عن سر مخفي من أسرار المسيح فات علينا أن نتعمقه ونعيشه، وهو سر جثسيماني، سر الصلاة التأملية التي أسسها المسيح لتكون الخلفية الحيَّة لحمل الصليب، إذ لا يمكن يا أحبائي أن يكون صليب بدون جثسيماني. فكل من ارتضى أن يكون تلميذاً للمخلِّص ووضع في قلبه أن يحمل الصليب، فعليه أولاً أن يقتني «جثسيماني»، الذي تفسيره بستان «معصرة الزيت»، ليمارس صلاة العَرَق الذي يتصبب كقطرات دم، ليكون على مستوى الصليب.

كلنا أيها الإخوة، ذُقنا صلاة التوبة بدموعها الحارقة، وارتوينا من صلاة المزامير حتى الشبع، ومنا من اختبر صلاة المناجاة توسلاً أو تشفعاً أو حباً خالصاً، بل ومنا من تكرم بأن أنعم عليه بصلاة الرثاء صلاة إرميا النبي عن قتلى الشعب (الخطاة)، والقليل جداً من وُهب دموع راحيل (الكنيسة) وبكاءها المر على أولادها الذين أُخذوا من حضنها وماتوا بعيداً عنها (المرتدين)، ولكن بقيت صلاة لم ينفتح سرها بعد أمام قلوبنا، صلاة جثسيماني، بأعماقها وأحزانها... فلقد أبقاها المسيح للنهاية لتكون جزءً لا يتجزأ من الصليب، ابتدأها يسوع لما دنت الساعة، لما أكملوا المشورة عليه واتفقوا على الثمن وقبض الخائن وتحرك الشامتون والحاقدون، فدخل المسيح جثسيماني ليسكب نفسه في جهاد الصلاة ليواجه الصليب والصالبين.

---

(١) لو١٦: ١٢.

دخل يسوع جثسيماني، وأبقى الثمانية عند الباب وأوصاهم بالسهر والصلاة لأن التجربة عليهم بالمرصاد، ثم أخذ الأخصاء الثلاثة بطرس و يعقوب و يوحنا ليشهدوا و يسجلوا أروع مواقف الرب وأعمق آلامه: «**وابتدأ يحزن و يكتئب**»(٢)، وكأنه يدخل الصليب مسبقاً و يغرس المسامير في جسده بيديه!... عجيب هذا المخلص الذي يعلمنا كيف ندخل الموت طواعية بالصلاة النازفة!! «نفسي **حزينة** جداً حتى **الموت**(٣)... وإذ كان في **جهاد** كان **يصلي بأشد لجاجة** وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض»(٤)!

الآن أدركت لماذا اختار الرب بستان «**جثسيماني**» الذي تفسيره «**معصرة الزيت**»، إشعياء النبي يكشف سر المعصرة هذه «من ذا الآتي من آدوم **بثياب حمر** من بُصرة، هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته، أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص، ما بال **لباسك مُحمرٌ** وثيابك كدائس **المعصرة**؟ **ـقد دست المعصرة وحدي** ومن الشعوب (التي فديتها) لم يكن معي أحد»(٥).

لقد دخل المسيح في صلاة جثسيماني كما يدخل الإنسان المعصرة، وقد شاهد التلاميذ الأخصاء كيف انعصرت بالفعل نفسه وصار عرقه ممزوجاً بالدم يتقطر على الأرض! ولثلاث مرات، تماماً كالتجربة على الجبل، واجه الرب هذه التجربة أيضاً في صراع مر وجثو الركب حتى التراب، وفي كل مرة يقوم ليوصي تلاميذه بالسهر ليستلموا سر الفداء بكل ما فيه من أوجاع وعناء! ولكنه في كل مرة كان يجدهم نياماً، **لهفي على بطرس** النائم والمعلم أمام عينيه يجوز غصة الموت، والمشورات قد وُضعت من **بعيد**، والخطط أُحكمت على التنفيذ، **والمال دفع**، والشهادة أعدت والشهود، والقتل حللوه بالقوانين والبنود، وتبارى القاتلون وكأنهم يقدمون خدمة لله!!

«لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس»(*)؟ وكلنا

---

(٢)مت ٢٦: ٣٧.
(٣) مت٢٦: ٣٨.
(٤) لو٢٢: ٤٤.
(٥) إش٦٣: ١-٣.
(*) لو٢٣: ٣١.

يـابـسـون، فـهل نقوى على التجربة ونحن نائمون؟ أيمكن أن نحتمل يوم الصليب وعنف الصـالبين ونحن لم ندخل جثسيماني ولا سهرنا في جهاد الصلاة واللجاجة **«ولا ساعة واحدة»** [٦]؟

يـاأحـبـائـي انـتبهوا: لقد أسس المسيح لنا في «جثسيماني» مدينة ملجأ، «بصلاة المعصرة»، نعم بصلاة الصراع على مستوى الموت **لغلبة الموت!** اسمعوا القول **«نفسي حزينة جداً حتى الموت»** لـقد دخل المسيح بالصلاة الحزينة إلى عمق الصليب، و بـالـعـنـاء «والـصـراخ الـشـديـد والـدموع» [٧] حوّل العرق المتصبب إلى قطرات دم تتساقط!! وكأنه نزيف إرادي!...

إن الـصـلاة في جـثـسـيـمـاني هي سر النصرة على التهديد بالموت، إذ كيف يخشى الموت مَن بـلـغ الموت بـصـلاتـه، أو كـيـف يهاب نزيف الموت على الصليب مَن بلغ بأحزانه نزيف الدم في قيامه وسجداته؟

ولـكـن نحن لا ندخل جثسيماني من أجل أنفسنا، وهل كان المسيح يجاهد بالعرق والـدمـوع مـن أجـل نـفسه؟ إن الشركة في آلام الرب وأحزانه من جثسيماني حتى القبر عـبـوراً بكل حوادث الصليب هي أفخر ميراث للذين حملوا همَّ خلاص الشعب، وثقلوا أنـفـسـهـم بمصير الخطـاة، وهـزل جـسـمـهـم وطـار نومهم من أجل المظلومين والمذلين والمـطـروحين خـارج الـسـيـاجـات، هؤلاء الـذيـن قـبـلـوا شرف تكميل آلام الرب في أجسادهم وفي نفوسهم من أجل الكنيسة.

نـعـم لهؤلاء أسـس الـرب منهج جـثـسيماني في الصلاة، **صلاة معصرة النفس** بـأحـزان وصراخ شـديد ودموع، لكي يكون لهم فرصة أن **يسمع لهم من أجل تقواهم** و يـقـضـي لهـم قـضـاءهـم ويخـلـص بـذراعـه كـل مـن يـسـهرون و يتشفعون من أجل خلاصهم!...

---

(٦) مت ٢٦: ٤٠.

(٧) عب ٥: ٧.

ولكن أين نحن من جثسيماني وأين جثسيماني من صلاتنا؟... ياويل الكنيسة التي ليس لها جثسيماني... ياويل الراعي الذي لم يدخل بابها... لذلك فالمفقودون لا يعدون من الكثرة، ولا يوجد حتى من يذرف عليهم دمعة!!، والباقون ليس من يسهر على حراساتهم في أهوال هذا الليل الطويل المظلم... وما فات هين، والقادم أظلم!

ألم يتحقق ما قاله داود ثم ما قاله التلاميذ، وها نحن نردده واثقين، «قد ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل، قام الملوك وتآمر الرؤساء معاً على الرب **وأولاد مسيحه**، لنقطع الأغلال (ربط المودة) ونطرح عنا نيرهم (نير الأخوَّة والعلاقات)» (٨).

حينما كان الخائن يضع الخطة مع الحاقدين والمتآمرين، كان الرب يصارع في مجاهدة بحزن ومرارة، ساكباً نفسه للموت بعرق كالدم، مع جثو الركب المستمر على التراب ثلاث مرات. وهكذا افتتح لنا الرب منهج الإستعداد الفريد بالصلاة التأملية «صلاة جثسيماني» صلاة ما قبل الصليب، حتى تنكسر حدة «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (٩).

إن الأيام تجري، والأرجل مسرعة، والأمر يحتاج إلى **معجزة فائقة**، والمعجزات واردة بالإيمان ولكنها تحتاج إلى **عمل فائق، جثسيماني** لا غير!! حيث يجوز الرعاة المعصرة وحدهم: «**ليبكِ الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح و يقولوا اشفق يارب على شعبك ولا تسلم ميراثك للعار... لماذا يقولون... أين إلههم؟**» (١٠).

فالنجاة قريبة وهي بروح الله «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود» (١١). ولكن أنَّى لنا بروح الله ونحن لم نتعلم الصلاة، صلاة الصراخ ليل نهار كشرط الرب، ما أصعب الصلاة المنتصرة، لقد أعطانا الرب في جثسيماني نوعاً خاصاً فريداً لصلاة «**الضيقة العظمى**»، صلاة «**الحصار**»، والصالبون على الباب.

---

(٨) مز٢: ١-٣.

(٩) لو٢٢: ٥٣.

(١٠) يوئيل ٢: ١٥-١٧.

(١١) زك٤: ٦.

ولكن السؤال الصعب من أين لنا أن نجاهد في صلاة «المعصرة» حيث يمتزج العرق بالدم عن نفوس نحن لا نحس بقيمة موتها أو حياتها؟؟؟ لا يقلقنا خلاصها أو هلاكها؟؟...

ياإخوة لا يحس بقيمة خلاص النفس البشرية ولا ينزعج لهلاكها إلا من **له روح المسيح**، والذي ليس له روح المسيح فالمسيح ليس له...

لقد كان المسيح يجاهد في جثسيماني بأعمق ما فيه من أحزان وعرقه يتصبب كالدم، والقاتلون على الباب، و بالرغم من هذا كله كان التلاميذ ينامون **والشجاع «بطرس» مثقل جداً بالنوم!!** وذلك لأنهم لم يكونوا قد أخذوا روح المسيح بعد، ولا استعلنت لهم تكاليف الفداء ولا حملوا مسئولية الكرازة وخلاص الناس!! وهم في ذلك كانوا معذورين. ولكن أن ننام نحن، ونحن نقول أن لنا روح المسيح وأننا مدركون تكاليف الفداء وقد حملنا مسئولية النفوس، فهذا أمر لا يطيقه الإيمان، وهو كفيل بحد ذاته أن يعجّل بساعة الظلمة و يطيل ليل الآلام و يعمق التجربة، وفي هذا كله لن يُلام الله!!

فإما جثسيماني وإما الهروب في ساعة التجربة، فلنحذر لأن ليس للوضع بديل.
ياإخوة قد تُفرقنا في أيام السلام المعارف والنظريات؛
وقد تُفرقنا في أيام العمل عظمة الرئاسات والمسئوليات؛
وقد تُفرقنا في أيام الغنائم الأحقاد والمخاصمات؛
ولكن ماذا في أيام المحن والضيقات؟ ماذا وشبح الصليب قد ألقى ظله على الأفق البعيد؟ فإذا لم تجمعنا جثسيماني ماذا سيجمعنا إلا منجل الحصاد!

وإن كنا قد أخفقنا في أيام سلامنا في كل شيء، فلا ينبغي أبداً في أيام ضيقنا أن نخفق على باب النجاة!! لو أمكن لنا بشيء من البصيرة أن نتصور الخسارة قبل حدوثها لأخذنا الدوار وداهمتنا الرعبة ولكن لو انتبهنا إلى المطلوب عمله لبلوغ النجاة لأذهلتنا قيمته المبسطة والمقسطة، فجثسيماني حصننا في يوم الصليب!

ولكن ينبغي أن نلتفت أن جثسيماني لا تعفينا من الآلام، ولا تتجاوز لنا الصليب، ولا تلغي ضربة القبر، فالمسيح صلى في جثسيماني وصُلب ومات وقُبر، **ولكنه قام!!**

والمسيح لم يأخذ في جثسيماني إعفاءً من الصليب، ولكنه أخذ صكاً بالقيامة!!

لقد أمضى الرب بعرقه الممزوج بالدم الحروف الأولى من معاهدة الفداء والقيامة، وعلى الصليب أكمل الإمضاء والختم.

صلاتنا في جثسيماني تؤمِّن لنا الشهادة أمام بيلاطس، وتضمن لنا النصرة على الصليب، وتشجع التلاميذ والتابعين والشعب من قريب ومن بعيد حيث لا يعود «اصلبه اصلبه» بل «اصلبنا اصلبنا!». لقد حق جداً للمسيح أن يقول محذراً في هذه الساعة الخطيرة: «أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية»(١٢).

إن صلاة جثسيماني لم تأتِ جزافاً قبل الصليب بساعات قليلة، فنحن لم نسمع على مدى حياة الرب كلها عن صلاة مثل صلاة جثسيماني... فهي لا تصلح لكل ساعة، لقد أسسها الرب لتكون جزءً حياً من الصليب!! إن صلاة المعاناة بتألم شديد أمام الله وبمجاهدة جسدية عنيفة «**بصراخ شديد ودموع**»(١٣)، قادرة أن تغيِّر المجازاة والمقادير «**فسُمع له من أجل تقواه**»!! و بقدر المعاناة تكون المجازاة... فكم مرة استطاع موسى أن يغيِّر قضاء الله من جهة إفناء الشعب بأجمعه؟

أما الضيقات «فنحن موضوعون لهذا»، ولكن الخطر كل الخطر أن تأتي الساعة ونحن لم نقتنِ صلاة المسيح في جثسيماني، لأننا حتماً سنكل ونخور ولن نضبط قوة على صبر أو احتمال: «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة **مقاومة** لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم، لم تقاوموا بعد حتى الدم (بالصلاة)»(١٤).

---

(١٢) مت٢٦: ٣١.
(١٣) عب٥: ٧.
(١٤) عب١٢: ٣و٤.

إذن فنحن مطالبون إزاء كل مقاومة أن ندخل بستان معصرتنا **ونقاوم مع الله** في الصلاة حتى الدم...

هذا هو منهج الصليب الذي رسمه الرب بدمه في جثسيماني!! وهو أصلح ما يكون لنا في هذه الأيام.

(أبريل ١٩٧٦)



سـر الإفخارستيا

من رسالة معلمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس:

«لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء. إذاً أيُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه. ولكن ليمتحنْ الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز و يشرب من الكأس. لأن الذي يأكل و يشرب بدون استحقاق يأكل و يشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب» (١ كو١١: ٢٣ـ٢٩).

* * *

١ ـ «لأنني تسلمت من الرب...»:

معروف أن بولس الرسول لم يرَ المسيح بالجسد، لأنه آمن بالمسيح بعد موته وصعوده حتى و بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين. إذن فقد استلم بولس الرسول هذا السر أي سر الإفخارستيا ــ سر تقديم الجسد والدم كذبيحة في هيئة خبز وخمر متحولين ــ من الرب نفسه بعد القيامة بصورة سر ية أيضاً وفائقة على المعرفة وعلى التسليم العاديين. وهذا يبين مدى أهمية هذا السر بالنسبة للإيمان المسيحي، فهو الخلاصة العملية لكل التعليم المسيحي أو هو محور الإيمان بالمسيح، والمنطلق العملي للحياة مع المسيح أو بالمسيح لنكون شعباً مبرراً وأمة مقدسة.

وهذا مما جعل المسيح بنوع خاص يسلمه بالروح للقديس بولس الرسول كما سلم

الله لموسى قديماً الشريعة مكتوبة بأصبع الله نفسه، أو كما سلمه بالرؤيا مواصفات خيمة الإجتماع بكل دقائقها مع طقوس الذبيحة والكهنوت بكل تفصيلاتها...

وهذا يجعلنا نهتم جداً أن نأخذ تفصيلات وشروح بولس الرسول بخصوص هذا السر مأخذاً جدياً للغاية، فهو يُعتبر لدينا على أعلى مستوى من الوقار والقداسة كما كان ناموس موسى وشريعته بالنسبة لبني إسرائيل تماماً بل وأكثر.

فكما أن ناموس موسى وشريعته كانا المؤهل الوحيد الذي جعل بني إسرائيل شعباً لله، كذلك أصبح هذا السر بكل تعاليمه بالنسبة للذين يؤمنون بالمسيح. والمسيح نفسه سبق وأوضح هذه الحقيقة بقوله: «الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم» (يو٦: ٥٣).

٢ ــ «أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً...»:

هنا يبين بولس الرسول بكل وضوح تاريخ بداية تأسيس السر وعلاقته الصميمية بموت الرب.

فالرب لم يؤسس هذا السر في بداية خدمته، لا بعد المعمودية مباشرة مثلاً ولا بعد صوم الأربعين ولا بعد سنتين أو ثلاثة ولا كنهاية لتعاليمه، ولكنه أخَّره متعمداً حتى ميعاده المضبوط تماماً «في الليلة التي أُسلم فيها». فحينما انتهى من كل تعاليمه، وحينما أكمل كل حبه، وحينما سلم لتلاميذه كل أسرار علاقته بالآب، ثم إذ دخل بالفعل في ساعة الصفر وتقرر البدء في تنفيذ الصلب ودُفع للخائن الثمن وتعين زمان ومكان التسليم وأحس المسيح بدنو ساعة الموت، حينئذ أخذ خبزاً و باشر تأسيس أعظم أسرار الوجود الإنساني على الأرض بل وأعظم أسرار الحياة قاطبة الذي صار للإنسان المائت ترياق عدم الموت، وقوة للقيامة ومفتاحاً للخلود...

إذن ينبغي أن نرسخ في شعورنا وتفكيرنا و وجداننا هذه المناسبة الزمانية الصميمية القائمة بين سر الإفخارستيا وموت المسيح:

«في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً...» ، لأن هذه المناسبة التاريخية ــ أي الزمانية القائمة بين تأسيس السر وليلة التسليم للموت ــ أصبحت بعد تحول الخبز والخمر مناسبة كرازية فائقة للزمان تستغرق كل الزمان ثم تتخطاه إلى الأبدية اللانهائية: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء!!» (١ كو١١: ٢٦).

السر هنا يربط بين المسيح الجالس مع تلاميذه والمتحد معهم بسر الحب ساعة العشاء يوم الخميس والموت على الأبواب و بيننا نحن في كل الأجيال وعلى مدى كل الزمان، والموت يداهمنا يوماً بعد يوم. هنا سر الإفخارستيا هو هو سر المسيا الكائن الذي كان والذي يأتي، المتحد بأولاده بجسده السري عبر الزمان كله يحييهم بسر موته المحيي!

ونحن نأكل الآن وكل يوم جسد المسيح ونشرب دمه، كتحقيق على مستوى الكرازة العملية أن المسيح مات وقام وأنه آتٍ حيث يُستعلن يومئذ اتحادنا معه الذي أكملناه في سر الإفخارستيا، و ينكشف علانية كيف عشنا وسنعيش إلى الأبد بموته. لأنه إذا كان الجسد والدم هما الآن محييان لنا، فلأن المسيح مات عنا بذات الجسد وقام. وإن كنا مطالبين الآن أن نكون جماعة متحدة بالحب ونصير كإنسان واحد حي في المسيح، فذلك لأن المسيح قدّم في سر جسده ودمه سر موته وقيامته لكل واحد منا كالآخر.

سر الموت هنا يرفع الفوارق تماماً. المسيح هو هو قائم ميتاً وحياً في كل واحد، قد نحسه الآن في واحد أو في آخر مجرد إحساس خفي، ولكن حينما يجيء المسيح سيستعلن في كل واحد منا كالآخر بقوة، وتستعلن الكنيسة كلها كإنسان واحد كامل مات وقام فيه المسيح، قائم بكل ملئه وكماله؛ حيث يظهر المؤمنون متساوين في الموت والحياة، متحدين بالحب بصورة تجعل الكل واحداً بالحق ليس فيهم أي فرقة أو انقسام، لأن المسيح الواحد في كل واحد منهم كالآخر، سيظهرون وكأنهم إنسان واحد متعدد المحاسن والكمالات.

بشارتنا الآن بموت الرب كلما أكلنا من الخبز وشربنا من الكأس هي واقع حال السر الإلهي، لذلك فهي لازمة وحتمية إلى أقصى حد، لأن اعترافنا بموت الرب الذي نأكله ونشربه يلغي موتنا كل يوم الذي نموته بالخطيئة، يلغي فُرقتنا، يلغي عداوتنا، يلغي كبرياءنا... حياتنا الأبدية تنبع لنا دائماً من حيث نشهد بموت الرب الذي نأكله ونشربه في السر، لذلك كان الجسد المكسور والدم المهرق في الإفخارستيا نَبْعَ حياة أبدية لنا منذ عشاء يوم الخميس حتى اليوم وإلى نهاية الدهور كلها.

٣ ـ سر عشاء الخميس نواة الكنيسة كلها:

تكرم الكنيسة لتأسيس سر الإفخارستيا يوم (خميس العهد) من كل سنة ليس مجرد تذكار تاريخي، المسيح وجماعة الرسل المجتمعين في ذلك المساء حاضرون معنا الآن بجملتهم في الكنيسة هنا عندما يقام هذا السر، وليسوا هم وحدهم، بل وأيضاً كل الذين ضمتهم الكنيسة إلى جسد المسيح. السر في جوهره يضم باستمرار إلى جسد المسيح كل الذين يخلصون. فإذا تصورنا سحابة هائلة تمتد حتى عنان السماء ثم فحصنا كل نقطة ونقطة فيها من ذرات الماء الكثيف، واكتشفنا أن كل نقطة عبارة عن وجه قديس أو روح بار مكمَّل بالمجد، فهذه ربما تعطي صورة تقريبية للكنيسة. ولكن إذا دققنا وجدنا أن قوة تجمُّع وانجذاب كافة النقط معاً بهذه الصورة تنبعث من الوسط، حيث توجد مائدة صغيرة في وسطها الرب وحولها التلاميذ؛ فتكون هذه هي الصورة التقريبية لسر عشاء الخميس.

(أ) صورة الإفخارستيا عند مسيحيي القرن الأول

من سفر الأعمال ومن رسائل بولس الرسول يتضح أن المؤمنين كانوا يركِّزون باهتمام شديد على اجتماعات الشركة التي تنتهي بكسر الخبز، و«كسر الخبز» هو التعبير الأول عن إقامة سر الإفخارستيا الذي كان يلازمه **صلوات كثيرة**. «وكانوا يواظبون على **تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات**» (أع ٢: ٤٢). وهذه كلها أوصاف لاجتماع الكنيسة للتناول. وهي عبارة عن ليتورجيا تنتهي بالتناول

كانت تبدأ بقراءات من الكتاب المقدس يتبعها تعليم الرسل كشرح لها، ثم المستعدون للتناول يجتمعون حول الكاهن الذي يقدّم صلاة شكر طويلة ثم يُكسر الخبز الذي يتناوله الجميع مع كأس البركة في النهاية.

وأهم ما يسترعي انتباهنا في صلوات كسر الخبز في العصر المسيحي الأول مقدار **الفرح والبهجة وبساطة القلب** التي كانت تملأ المؤمنين أثناء وبعد التناول. «وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبّحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب» (أع ٢: ٤٦، ٤٧).

وهذا يدلنا في الحال على حضور المسيح في وسطهم الذي كان يجعلهم في حالة من الفرح الروحي الشديد. ويلاحَظ في الآية السابقة الربط بين «كسر الخبز» وتناول الطعام، لأن سر الإفخارستيا كان يتبعه في الحال وعلى نفس المائدة وليمة المحبة التي كانت تُسمى الأغابي، التي سرعان ما انفصلت عن زمان ومكان الإفخارستيا وأصبحت تقام في مكان خاص وبنظام خاص بعد التناول.

وأوضح مثال لذلك ما هو موجود في الأديرة القبطية حتى اليوم، فالمائدة تكوِّن خورساً من خوارس الكنيسة، إذ كان يخرج الرهبان المتناولون من الهيكل ليلتفوا حول المائدة كل يوم أحد وفي الأعياد.

وسرعان ما اختفى اصطلاح «كسر الخبز» للتعبير عن تقديم الجسد والدم وحلَّ محله اصطلاح «**الإفخارستيا**» ومعناها «الشكر»، وهي مأخوذة من وصف صلاة التقديس التي كانت تقال على الخبز والخمر فيتحول بعدها إلى الجسد والدم، إذ أنها كانت عبارة عن صلاة شكر، وهي التي لا يزال يرددها الكاهن باختصار على الخبز والخمر عند التقديس والرشم بقوله «وشكر»، وكانت أصلاً صلاة شكر طويلة مأخوذة من صلوات الهيكل اليهودي.

وأول ما وردت كلمة «الإفخارستيا» كاصطلاح للتعبير عن صلاة تحويل الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، وردت في كتابات القديس إغناطيوس الأنطاكي الذي

استشهد سنة ١٠٧م. واستخدمها بكثرة بعد ذلك القديس يوستين الشهيد الذي استشهد سنة ١٦٥م.

الإفخارستيا كواسطة لوحدانية الجماعة في المحبة:

في العصور الأولى كان اجتماع الإفخارستيا بالنسبة للمؤمنين والمعتمدين حديثاً والمقدَّمين للمعمودية واجباً مسيحياً هاماً للجماعة، يعبِّر عن حالة محبة قوية و يزكِّيها و يلهبها، فكان بمثابة روح الحياة وجدَّتها.

وتعطينا قصة أعمال شهداء قرطاجنة بشمال أفريقيا صورة مبدعة لمعنى الإفخارستيا وقيمتها لدى جماعة المسيحيين الأوائل.

تقول القصة إن السلطات الوثنية قامت بالقبض على خمسين من المسيحيين وهم على وشك الإنتهاء من صلوات الإفخارستيا، فكان السؤال الخطير المعتاد: هل اشتركتم في العبادة؟ وكان الرد بالإيجاب كفيلاً بأن يؤدي إلى الإعدام، وكان الرد بالنفي سهلاً وممكناً جداً، **ولكن كان في عرف المسيحيين أن إنكار الإفخارستيا معناه إنكار الإيمان بالمسيح جملة!!** فلما ضيَّق القاضي الخناق على أحد الشمامسة (بدرجة قارىء) وإسمه إمر يتوس Emeritus ليشرح له ما هو السر، قال القارىء: **«بدون اجتماعنا وتناولنا من هذا السر لا نستطيع أن نعيش!»**...

أما المؤمن فيلكس فأجاب القاضي على نفس السؤال بقوله: «المسيحيون يقيمون سر الإفخارستيا وسر الافخارستيا يقيم المسيحيين، ولا أحد يستطيع أن يعيش بدون الإفخارستيا».

ومن هذه الردود نتبين مقدار أهمية هذا السر المقدس في حياة المؤمنين الأوائل وتعلقهم به هذا التعلق الشديد. ومن الأوصاف التي وردت في هذه القصة، يتبين لنا أن مقدِّم السر وهو الأسقف يساعده بعض الكهنة، كان يقبِّل كافة المؤمنين بقبلة المحبة التي كانت تربط الجماعة معاً بروح أُخوَّة شديدة. وكان الشعب يشترك مع مقدِّم السر في الصلاة بحوار مستمر حتى نهاية الصلاة. وكان الشمامسة عليهم أن يحملوا نصيب الغائبين إلى بيوتهم...

(ب) صورة الإفخارستيا من القرن الثاني

و يقدمها لنا الشهيد يوستين الذي عاش في منتصف القرن الثاني (١٥٠م). وهو يقدّم لنا وصفين للإفخارستيا: الأول إفخارستيا المعمَّدين الجدد، والثاني إفخارستيا المؤمنين العادية:

أولاً ـ إفخارستيا المعمَّدين الجدد:

[عندما نفرغ من عماد الذي يكون قد آمن وانضم إلينا، نُدخله إلى جماعة الإخوة حيث يكونون مجتمعين معاً. ونبدأ بالصلاة معاً من أجل نفوسنا بحرارة ثم من أجل هؤلاء المعمَّدين ثم من أجل الآخرين في كل مكان، حتى نحصل ـ بواسطة معرفتنا للحق ـ على النعمة التي تؤازرنا في عمل الصلاح وحفظ الوصايا لكي نبلغ إلى خلاصنا الأبدي. و بعد أن نقبِّل بعضنا بعضاً بقبلة السلام نستمر في الصلوات. و يقدّم لرئيس جماعة الإخوة الخبز وكأس الخمر والماء. فيمسك بهما، مقدِّماً التسبيح والمجد للآب السماوي باسم الإبن والروح القدس. ثم يصلي **صلاة شكر مطوّلة** من أجل النعم التي وهبها الله لنا. و بعد أن يختم الصلوات والشكر يرفع الشعب كله صوته قائلين: آمين. وهي الكلمة العبرية التي تعني «نعم هكذا يكون» (وفيها مصادقة على كافة الوعود المذكورة في الصلوات مع انتظارها).

و بعد أن ينهي الرئيس صلوات الشكر و يستجيب الشعب لنداء الشمامسة بصلوات يقولونها في سرهم حسب دعوة الشماس، يبدأ الشمامسة في توزيع قطعة خبز (أي الجسد) لكل واحد من الحاضرين مع خمر الإفخارستيا الممزوج بالماء (أي الدم) ويحملونها أيضاً للغائبين].

(مترجمة حرفياً من دفاع يوستين الأول)
الفصل ٦٥ من ١ ــ ٥

و يوضِّح القديس يوستين الشهيد في موضع آخر أن تقديس الخبز إنما يتم بواسطة

صلاة مجموعة من كلمات المسيح (الدفاع الأول: الفصل ٦٦، ٢٢).

ثانياً ـ إفخارستيا يوم الأحد:

[في اليوم الذي يُقال له يوم الأحد يتجمع المؤمنون الساكنون في المدن والقرى في مكان واحد. وأول ما يُقرأ يُقرأ أعمال الرسل (أي كتاباتهم وهي تشمل الأناجيل والرسائل طبعاً)، أو كتابات الأنبياء، إذا كان الوقت يسمح بذلك.

وعندما تنتهي القراءات يقوم الرئيس و يبدأ يعلّم بالكلمة ليحضنا على الإقتداء بهذه التعاليم الصالحة. و بعد ذلك نقوم جميعاً ونقف لنصلي. وعندما ننتهي من الصلوات، يؤتى بالخبز والخمر والماء و يبدأ الرئيس بتقديم الصلوات والتشكرات على قدر إمكانياته، والشعب يجيب دائماً بآمين. و بعد ذلك يوزع سر الشكر و يرسل نصيب للغائبين بواسطة الشمامسة].

ومن وصف القديس يوستين الشهيد يتضح أن القداس قديماً كان كما هو الآن تماماً ينقسم إلى جزئين: الجزء الأول للقراءات والوعظ، و يسمى ليتورجيا خدمة الكلمة، و ينتهي حيث يبتدىء الجزء الثاني بالقبلة أي قبلة السلام، التي يقبّل بها مقدم الجماعة كافة المؤمنين أولاً ثم التي يقبّل بها الشعب بعضهم لبعض. وقد صارت الآن قبلة الكاهن للكهنة فقط، وتحولت من قبلة إلى مصافحة.

(جـ) الإفخارستيا في القرن الثالث

احتفظ لنا التاريخ بوصف مفصل للقداس في القرن الثالث، وهو المعروف بقداس الرسل لهيبوليتس أسقف رومية الذي تنيح سنة ٢٣٥م. وهذا القداس يعتبر القداس الكامل الوحيد الذي وصل إلينا قبل انقسام الإفخارستيا إلى التقاليد الشرقية والغربية، وهو لا يزال يصلّى به في أثيوبيا حتى اليوم، ويمتاز بوضوح صلاة حلول الروح

القدس أثناء التقديس بعكس قداس يوستين الشهيد الذي يتم التقديس فيه بكلمات الرب يسوع.

(د) الإفخارستيا في القرن الرابع

وهو القرن المعروف بقرن تأليف الليتورجيات أو القداسات. وقد تم فيه وضع قداس القديس باسيليوس وقداس القديس غريغوريوس وقداس القديس يوحنا ذهبي الفم. كما اكتُشف حديثاً أنه تم في هذا القرن أيضاً وضع قداس قبطي على أعلى ما يمكن من الأهمية بواسطة القديس سيرابيون الأسقف تلميذ الأنبا أنطونيوس. وكان هو القداس الذي يصلّى به في الإسكندرية، ويسمى قداس الإسكندرانيين. أما القداس الكيرلسي فهو من تقاليد القرن الأول ويعتبر من وضع القديس مرقس الرسول. وبالرغم من الإختلافات الطفيفة في الصلوات وأماكنها بين هذه القداديس جميعها، إلا أن طبيعة هذه القداديس واحدة مما يفيد أن مصدرها جميعاً واحد. وكلها تشترك في كونها تنقسم إلى قسمين: الأول قداس القراءات أو الموعوظين، والثاني قداس الإفخارستيا أي تقديس الخبز والخمر. وكل قداس يلتزم بصلوات معينة لا يشذ فيها عن باقي القداديس.

ومن التقاليد التي وصلت إلينا من هذا القرن أن الكنائس في أورشليم كانت ترتل مزمور: «أبارك الرب كل حين وتسبحته دائماً في فمي» أثناء التوزيع، ويرد الشعب «ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب» (مز٣٤: ١، ٨)...

* + * + * + *

تعاليم الآبــاء عن الإفخــارستيــا

أولاً: تعاليم الآباء بخصوص طبيعة سر الإفخارستيا:

بدأت شروحات الآباء وتعليقاتهم على هذا السر منذ العصر الأول بسبب دخول

الموعوظين الذين كانوا يحتاجون إلى فهم طبيعة هذا السر.

وتتلخص تعاليم الآباء عن هذا السر في الآتي:

١ ــ أن كلمة الله تؤكل على شكلين، الأول: أكل عقلي، وفيها تُستوعب الكلمة أي الإنجيل لتدخل حياتنا وتتحد بها عملياً. **والثاني: أكل إفخارستي** وفيها تُؤكل الكلمة، أي المسيح، كجسد محسوس فيدخل كياننا و يتحد بنا سراً.

والمصدر الذي يعتمد عليه الآباء في هذا الشرح هو إنجيل يوحنا حيث قول الرب: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء... جسدي مأكلٌ حقٌ ودمي مشربٌ حقٌ» (يو٦: ٤١، ٥٥).

٢ ــ الإفخارستيا كخبز وخمر متحولين هما المن السماوي الجديد، فكما كان المن هو الطعام السماوي اليومي الوحيد الذي كان يقتات عليه شعب إسرائيل حتى دخلوا كنعان، كذلك الإفخارستيا فهي المن الجديد، الخبز الحي النازل من السماء الذي نقتات عليه روحياً كل أيام غربتنا على الأرض حتى ندخل كنعان السماو ية.

٣ ــ الإفخارستيا هي السر القائم في تقدمة ملكي صادق قديماً (تك١٤: ١٨) فملكي صادق هو ملك وكاهن لله العلي، وهو مشبَّه بإبن الله يسوع المسيح الملك والكاهن. وتقدمة ملكي صادق كانت رمزاً لمادتي السر في إفخارستيا المسيح: الخبز والخمر.

٤ ــ جنب المسيح المجروح على الصليب وخروج الدم والماء منه إشارة سر ية صريحة وهامة إلى سر الإفخارستيا بصفته سر الحياة الأبدية الكائن بدم المسيح الذي نبع لنا من على الصليب أي بموت الرب.

٥ ــ الإفخارستيا وخبز الوجوه (خروج٢٥: ٣٠):

وكلمة «الوجوه» أي الحضرة الإلهية، فاسمه الصحيح «خبز الحضرة الإلهية» أو «طعام الوجود في الحضرة الإلهية». وفي هذا يقول القديس كيرلس الأورشليمي بوضوح:

[إن الناموس القديم كان يوصي بتقديم خبز الوجوه ودم الخروف وهو إشارة إلى جسد ودم المسيح].

٦ ــ بركة يعقوب ليهوذا وسر الإفخارستيا (تك٤٩: ١١، ١٢):

و يرى القديس كبريانوس في بركة يعقوب ليهوذا «بغسل ثيابه بالخمر» إشارة إلى التطهير المزمع أن يكون بواسطة دم المسيح، كما أوضحه يوحنا الرسول في سفر الرؤيا: «بيضوا ثيابهم في دم الخروف» (رؤيا ٧: ١٤).

٧ ــ المزامير وسر الإفخارستيا:

وكان الآباء يرون في سفر المزامير ركائز قوية للتعبير عن سر الإفخارستيا و بالأخص المواضع الآتية:

- «الخمر تفرّح قلب الإنسان» (مز١٠٤: ١٥):
  إشارة إلى فرح الحياة الأبدية الذي نحصل عليه بدم المسيح.
- «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز٣٤: ٨):
  إشارة إلى الإحساس بنعمة الله المتدفقة علينا أثناء التناول.
- «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء... هيأت مائدة تجاه مضايقيَّ. مسحت بالزيت رأسي. كأسك روتني كالثلج...» (مز٢٣).
  وهو مزمور الإفخارستيا بكامله.

ثانياً: تعاليم الآباء بخصوص المعاني العميقة لطقس الإفخارستيا:

١ ــ يرى الآباء في غسل يدي الكاهن قبل البدء في قداس الإفخارستيا ختماً وتعهداً وشهادة بطهارة قلبه و يديه اللازمة لتقديم الذبيحة.

٢ ــ و يرون في القبلة برهان المصالحة والسلام والغفران الكامل كشرط أساسي مسبق لتقديم القربان على المذبح حسب أمر الرب.

٣ ــ الكاهن في صلوات الإفخارستيا يتكلم بصيغة الجمع لأنه يتكلم بلسان الكنيسة وليس بلسان نفسه، والكنيسة جماعة لها روح واحد ولسان واحد!!

٤ ــ الكاهن عندما ينادي بالثلاثة تقديسات فهو يعلن سراً عن سر الثالوث. و يُعتبر هذا النداء في رأي القديس كيرلس الأورشليمي أرهب مقاطع القداس قاطبة الذي يعطي للقداس كله روح الرهبة وجو الخشوع والقداسة.

٥ ــ حينما يستدعي الكاهن الروح القدس، يطلبه ليحل على كافة الشعب أولاً ثم على الذبيحة. [لأن الروح القدس الذي ولدهم جديداً في المعمودية يحل عليهم الآن ليجعلهم أهلاً للإشتراك في جسد المخلِّص لتكميل وحدتهم ونموهم في السلام وتقديس الحق].

٦ ــ حينما ينادي الكاهن ليقول الشعب كله «أبانا الذي...» بفم واحد قبل التناول مباشرة، فهو يدعو دعوة أخيرة لتنبيه الشعب أن يكون في تمام الصفح بعضهم لبعض، وفي حالة إتحاد في بنوية واحدة صادقة لله ليكونوا أهلاً بذلك أن يشتركوا معاً في الأسرار المقدسة. والآباء يهتمون جميعاً ــ و بالأخص أغسطينوس ــ بأن تكون صلاة «أبانا الذي...» بصوت واحد من كل الشعب و بإحساس صادق بالصفح و وحدانية القلب.

٧ ــ حينما ينادي الكاهن «القدسات للقديسين»، يصرخ الشعب كله بقداسة الآب وقداسة الإبن وقداسة الروح القدس كإعتراف أنه لا يوجد قدوس إلا الثالوث. ولكن الترجمة العربية جاءت غير دقيقة و ينبغي أن تصحح فبدل أن تكون:
«واحد هو الآب القدوس واحد هو الإبن القدوس واحد هو الروح القدس»، حيث التركيز هنا على الوحدانية وليس على القداسة فتكون كالآتي:
«واحد كلي القداسة هو الآب. واحد كلي القداسة هو الإبن. واحد كلي القداسة هو الروح القدس آمين».

وعلى هذا الإعتراف الجميل يعلّق الآباء قائلين: [ولو أننا ننفي عن أنفسنا القداسة كأنها من طبيعتنا، إلا أن اعترافنا يكون بقداسة الذبيحة فنصير بذلك قديسين].

ثالثاً: استحقاق التناول في تعاليم الآباء:

الذي يجعلنا مستحقين للإشتراك في جسد الرب ودمه يحدده الآباء بالآتى:

١ ــ الخضوع لله.

٢ ــ الهروب من الشر.

٣ ــ الرحمة نحو جميع الناس.

٤ ــ أن ينظر الإنسان إلى كل شيء **نظرة سماوية.**

(يونيو ١٩٧٢)



موت على موت
أو سرّ القيامة الحقيقية

(من مذكرات في حياة التوبة)

منظر المسيح خارجاً من أورشليم حاملاً الصليب وحوله بعض من أقربائه وتلاميذه يشيِّعونه حيث تعيَّن أن يُصلب، منظر كله عار وفضيحة، ولكن المسيح احتمله من أجل السرور الموضوع أمامه (عب١٢: ٢). هذه كانت أحرج ساعة في حياة المسيح، ساعة الخروج من أورشليم وعلى أن لا يعود إليها. هذه الساعة الحرجة كانت معروفة مسبقاً لدى السماء كلها وكانت موضوع حديث بين أرواح القديسين المنتظرين فداء العالم وخلاصه: «وإذا رجلان يتكلمان معه هما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد وتكلما عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمِّله في أورشليم» (لو٩: ٣٠، ٣١).

كان خروجه من أورشليم بمثابة خروج من العالم المنظور، وكان الصليب آلة العبور من العالم إلى خارج العالم، فالخروج من العالم لا يتم طبيعياً بالنسبة للذين أبغضوا العالم وجحدوه، فلابد أن ينتقم العالم من الذين يحتقرونه و يستهزئون به «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذي قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده، إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم» (يو١٥: ١٨ــ ٢٠).

هذا الكلام قاله يسوع قبل الصليب وقبل المحاكمة وقبل انكشاف خطة القبض عليه وتلفيق التهم واستحضار شهود الزور، وقبل ظهور بوادر الخيانة التي اضطلع بها تلميذه، كصورة للعالم، حينما يُسخِّر أقرب المقربين لتعذيب نفوس القديسين... فالمسيح كان يعلم تماماً ماذا أعد له العالم من بغضة وحقد وخطة محكمة لتعذيبه والتنكيل به

قبل التخلص منه «وأخذ الإثنى عشر وقال لهم ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن إبن الإنسان لأنه يُسلَّم إلى الأمم و يُستهزأ به و يُشتم و يُتفل عليه ويجلدونه و يقتلونه...» (لو١٨: ٣١—٣٣) «وخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه» (يو١٨: ٤).

فالذي يهمنا أن نعلمه تماماً هو أن المسيح لم يكن يستغرب سلوك العالم ضده، بل هو نفسه أعلم تلاميذه أنه لابد أن يصطدم العالم بكل من يخرج عليه، ولابد أن يحتقر العالم كل من يحتقره و يستهزىء بكل من يستهزىء به، هذا هو عار الخروج الحتمي.

هذا العار حمله المسيح وهو راضٍ عنه كل الرضى، لأنه قد وضع في نفسه منذ البدء أن يقف ضد العالم و يبغض أعماله الشريرة، وقد علم ماذا ينبغي أن يدفع ثمناً لهذا السلوك!

فالعار الذي كان يرمز إليه الصليب الذي حمله المسيح وهو خارج من العالم كان ثمناً حتمياً لخروجه عن العالم، وهكذا صار العار الذي في الصلب أي الموت العلني مع التعرية الكاملة من كل كرامة، مع الإضافات الجانبية إن أمكن لتكميل الهُزء والتشفي من جلد و بصاق ولطم الوجه والضرب على الرأس، هو ما يمكن أن ينتظره الإنسان الخارج على العالم... الذي نوى أن يطلب المسيح فقط وعزم أن يتبعه!!...

وهذه الحقيقة قد جعلها المسيح قاعدة عامة ينبغي أن توضع في الإعتبار الأول عند كل من ينوي أن يخرج من العالم ليأتي إليه «ومن لا يحمل صليبه و يأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو١٤: ٢٧)، «اتبعني حاملاً الصليب» (مر١٠: ٢١)، «من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه و يتبعني» (مر٨: ٣٤)، «**وقال للجميع** إن أراد **أحد** أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم و يتبعني» (لو٩: ٢٣).

هذا هو ما يعنيه الرسول بولس بقوله: «فلنخرج إذاً إليه... حاملين عاره» (عب١٣: ١٣)، عار المسيح كان نموذجاً مستوفياً لكل أنواع المهانة والمذلة، غير أن

لكل إنسان صليباً معيناً. أي أن لكل إنسان عاره الذي يتفنن العالم كيف يصيغه له من كل صنوف الهوان التي يكرهها.

والذين يريدون أن يتبعوا الرب، لا يستعفون من صليبهم، بل يزيدون عليه و يزينونه بأنواع أخرى من الحرمان والتقشفات و بالصوم لإذلال النفس الإرادي «وأما أنا فأذللت بالصوم نفسي» (مز٣٥: ١٣). لأنه معروف من قول الرسول ومن حياة القديسين ومن الإختبار، أنه بقدر ما يذلل الإنسان ويموت بغير إرادته و بإرادته معاً، بقدر ما يحس بالحياة الأبدية تنبعث في أعماقه و يعيشها يوماً فيوماً.

+ + +

أتبعك يارب، فقط عرّفني إلى أين أنت ذاهب؟
«قال له توما: ياسيد لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق» (يو١٤: ٥).

لم يكن توما يعلم أنه مدعو للصليب والموت... كان يظن أنه مدعو للملكوت مباشرة، طالما هو يتبع المسيا... ولكن الحقيقة التي كان ينبغي أن يعرفها توما والتي يتحتم أن يقبلها كل من يتبع المسيح أن الصليب أولاً ثم الملكوت. الموت الإختياري مع المسيح أولاً ثم الحياة معه...

«وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم و يتبعني» (لو٩: ٢٣).

المسير وراء المسيح لا يُقتحم اقتحاماً، ولا يُنال بحياة الليونة والترف، ولا بمجرد الصلاة وممارسات العبادة الطقسية، ولكنه يستلزم أولاً إنكاراً للنفس، أي تجريداً للذات من كل عوامل الظهور والمجد الباطل وحرمانها من تمتعاتها التي تزيدها التصاقاً بالدنيا و باللحم والدم وتراب الأرض.

هذه بمثابة الموت الداخلي الذي هو الموت الإرادي، ثم اللاإرادي ثم بعد ذلك يتفرغ

ليحمل الصليب كل يوم، أي يباشر احتمال إهانات العالم المحيط ومظالم البيئة والظروف وعتو الأشرار وخيانة الأقرباء والأصدقاء والتلاميذ والأمراض المؤلمة واضمحلال الجسد والمحن، التي يتفنن فيها الشيطان و يسوقها على الإنسان في أحرج ظروفه، جاهداً لعله يطرحه في الشك وجحود الإيمان، هذه كلها بمثابة الموت الخارجي الذي هو الموت غير الإرادي.

ولكن بدون الموت الداخلي، أي الموت الإرادي، أي إنكار النفس، يستحيل على الإنسان أن يقوى على حمل صليبه كل يوم و يتبع الرب، أي يستحيل عليه أن يحتمل الموت الخارجي الذي هو الموت اللاإرادي... لذلك فإن الرب، بحكمة، قدّم في وصيته **إنكار الذات على حمل الصليب.**

فلكي يتبع الإنسان الرب، عليه أولاً أن يباشر الموت الإرادي أي إنكار النفس، حتى يستطيع أن يحمل الصليب الإضطراري.

الموت الداخلي شاق، أشق من الموت الخارجي. إنكار الذات وجحدها وإماتتها أصعب من احتمال الإهانات والمظالم والمحن. ولهذا فالذي يستطيع أن ينكر نفسه ويجحد ذاته يستطيع أن يحتمل أصعب الإهانات، بل و يفرح بالمظالم والمحن!... أما الذي يحب نفسه و يدلل ذاته فربما يحتمل الإهانة مرة ومرتين ولكنه لا يحتمل الإهانة كل يوم!!

الذي يجوز الموت الداخلي و ينجح، يسهل عليه أن يحمل الصليب كل يوم مهما ثقل، و يتبع الرب ليس إلى المحاكمة كيوحنا بل إلى الجلجثة ثم إلى الملكوت، ليكون حيث يكون المسيح... ممارسة الموت الداخلي للنفس هي بالحقيقة ممارسة حياة إنسان ميت!!

لأن المطلوب أن يمارس الإنسان كل فكر وكل عمل وكل شيء في الحياة كميت بالنسبة لنفسه و بالنسبة للناس، وكحي فقط بالنسبة للمسيح «كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢ كو٥: ١٥).

أما ممارسة الموت الخارجي اللاإرادي إنما يأتي تأكيداً للموت الداخلي واكتشافاً لصحته، هل قد مات الإنسان فعلاً عن ذاته وعن جسده وعن العالم؟ فإن تطابق الموت اللاإرادي على الموت الإرادي كان هذا أعظم برهان للإنسان أنه يعيش مع المسيح!!!

ما أعظم ما يحتاج الإنسان في قبول الموت اللاإرادي، إنه جوهر الحياة المسيحية، إنه القيامة... «اتبعني»!!

«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً... أخلى نفسه آخذاً صورة عبد (الموت الداخلي)... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (قبول الموت الأخير الخارجي)» (في ٢: ٥ـــ٨).

(أبريل ١٩٧١)



الآلام معبـــرنا إلى المجـــد (*)

طوبى للحزانى لأنهم... يتعزون،
طوبى للمصلوبين لأنهم... يتجلون،
طوبى للمنسحقين لأنهم... يملكون،
طوبى للجياع لأنهم... يُشبعون.

حيث تُنسى هناك كل أوجاعهم وتُمسح دموعهم، و ينمو موضعها نور يشير إلى الأهوال التي اجتازوها وإلى سر المجد الحاصل منها، و يشرح عظم صبر الإنسان وقوة مراحم الله، حيث تبدو النسبة بين مقدار الألم ومقدار المجد الحاصل منه نسبة غير معقولة ومضحكة... فيرى الإنسان عياناً و يكتشف أن الآلام كانت فخاً مقدساً نصبه الله ليصطاد به الإنسان إلى مجده... فاحتمال الألم أقوى من العبادة...

و يقول أحد القديسين أنه رأى في رؤ ياه جماعة الشهداء بمناظر مذهلة في مجد يفوق مجد الملائكة الذين ظهروا معهم في نفس الرؤ يا، ورأى حول أعناق الذين ماتوا منهم ذبحاً بالسيف زهوراً حمراء كعقد، موضع الذبح، تضيء وتتلألأ بمنظر يخطف الأبصار أشد لمعاناً من كل نور آخر ظهر في الرؤ يا.

إن سر الصليب بالنسبة للمسيح هو سر مجده!... فالألم الساحق الذي عاناه الرب تحت وطأة التمزيق النفسي بسبب الظلم والإلتواء الذي شاهده أثناء المحاكمة، مع خيانة التلاميذ وتسليم يهوذا وإحساسه أن حياته ثمَّنها رؤساء الكهنة باتفاق مع أحد التلاميذ بثلاثين فضة!! هذه كلها كانت معبراً من عالم التفاهة المتناهية، إلى مجد

(*) من رسالة كتبها الأب متى المسكين جواباً على سائل، وقد نشرت عام ١٩٦٨ في مجلة النور اللبنانية.

الآب... وعلى هذا المعبر عينه يلزم أن تمر أقدام الإنسان في كل زمان ومكان... الصليب بآلامه الرهيبة لا يمكن أن يساوي المجد الذي حصل منه! الصيب لم يصادف الرب في طريق حياته، ولكنه وُلد له: «لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يو١٢ : ٢٧). الإنسان يولد للألم، والألم مولود للإنسان... ولكن في نفس الوقت، الصليب لم يكن إلزاماً حتمياً على الرب، كما نشعر من كلامه وكما نتأكد من جهة قداسته ولاهوته، ولكنه هو نفسه جعله إلزاماً حتمياً على نفسه «الكأس التي أعطاني الآب، ألا أشربها؟» (يو١٨ : ١١)، ذلك لكي يشاركنا في حتمية الألم. فبدا الله في شخص المسيح إبنه أنه يتألم اضطراراً حتى يجعل اضطرار الألم مساوياً لإختياره، حتى لا يُحرم أي إنسان في الوجود من رحمة الله، ولكي يمتد الصليب ليشمل كل من تألم ظلماً.

إن الألم بحد ذاته عثرة كبرى لعقل الإنسان، فالعقل لا يجيز الألم كواسطة لأي خير، لأنه يظن أن في المعرفة خلوصاً من الألم، وهو يجاهد في ميدان الطب مثلاً وفي الميادين الأخرى أن يلغي الألم و يريح الإنسان...

ولو دققنا التأمل نجد أن محاولة التربية والتعليم بكل صنوفها من أول ما يحاول الإنسان تعلم الألف باء إلى الصاروخ هو محاولة أساسية لتجنب الإنسان الألم والتعب والعوز...

لذلك، فحتمية الألم لدى العقل أمر عسير وشاق جداً بل ومحال قبولها، لأن الرضى بالألم هو بعينه إلغاء العقل وكل نشاطه... فالصليب جهالة وعثرة فعلاً لدى اليونانيين — كما يقول بولس الرسول (١ كو١ : ٢٢) — أي هو عثرة الفلسفة لأن الفلسفة تحاول جاهدة الوصول إلى الله عن طريق التأمل الأفلاطوني الحر الخالي من التضحية — أي الألم المؤدي إلى الموت. وهذا اللون من الإجتراء العقلي في محاولته البلوغ إلى الله، دخل المسيحية عن طريق التصوف الوثني ولوّنها، فأوريجانس يقول بإمكانية الإتحاد بالله عن طريق التأمل جاعلاً الله في الوضع الإستاتيكي والعقل في الوضع الديناميكي، أي أنه ثبَّت الله في نقطة وجعل العقل هو الذي يسعى إليه، هذا اجتراء وثني ناتج عن عدم شعور الإنسان بأبوة الله ونزول المسيح وتودد الروح القدس ودخوله قلب الإنسان،

والحقيقة عكسية، فالإنسان دائماً أبداً في الوضع الإستاتيكي والله هو الذي يتحرك نحوه (ليأتِ ملكوتك). منتهى تحرك الإنسان هو أن يكون يقظاً لتحرك الله مستعداً لمجيئه «مستعد قلبي ياالله. مستعد قلبي» (مز٥٧: ٧).

فلو أدركنا أن الصليب هو أعظم مظاهر تحرك الله على الصعيد العياني المنظور الذي فيه تجلى الله للإنسان (أكثر من تجليه على طور تابور)، وأن الصليب هو الألم في صورته العظمى التعسفية الظالمة، حينئذ علينا أن نحس أن الصليب هو الدابة التي ركبها الله القدير وانحدر عليها من مكان سكناه هناك، من موطن احتجابه الأزلي، وجاء إلينا وصافحنا يداً بيد... الصليب هو قوة ديناميكية الله الفائقة التي أحدرت الله إلينا واستعلنته واضحاً. أي أن الألم هو، بصورته المادية، جحود وانحصار وتوقف، وبجوهره الروحي تحرك وأي تحرك!

الإنسان يظل متوقفاً روحياً وعاطلاً عن المسير راجعاً مع المسيح إلى الله إلى أن يحمل صليبه. الألم يُدخل الإنسان في سر الصليب سر التحرك الإلهي، فلا يتوقف كميت بل يسير مشدوداً إلى المسيح منقاداً ومنجذباً من ألم إلى ألم، إلى أن يبلغ الآب محمولاً على صليبه تابعاً المسيح...

الإنسان يستحيل أن يتحرك نحو الله عقلياً، فالعقل مهما بلغ بالتأمل، إنما يكتشف الله وحسب، و يكتشف نوره وحبه و يسعد و يرتد... التحرك الحقيقي كائن بالمسيح فهو إبن الله الآتي إلينا على الصليب، وعلى الصليب نتبعه إلى الآب...

هو يقول: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو١٥: ٥)، ليس هذا احتكاراً تعسفياً لإرادتنا ولا هو بسبب قصورنا في المعرفة ــ لأنه عرَّفنا بكل شيء ــ ولكن لأنه الوحيد ــ كإبن ــ يحمل قوة التحرك نحو الله الآب. والمسيح يحمل قوة حركتين:
حركة من الله الآب نحونا وحركة منا نحو الآب:
الأولى: طبيعية وهي جوهرية كائنة في سر الحب نحو خليقته، والثانية:

مكتسبة(١) بالصليب ــ أي بالألم الفدائي الذي أهّل أن يحمل الإنسان الميت و يصعد به!...

والمسيح سكب فينا سر هاتين القوتين: قوة الحب وقوة الصليب (الألم). و بقبولنا هاتين القوتين يعمل المسيح فينا سراً لنتحرك به ومعه إلى أن نصل إلى الآب، و يتم بهما وفيه السر الأعظم، سر الإتحاد بالله.

ختاماً ــ أستودعك لتدبير عناية الله الفائقة التي تسخّر السنين والأزمنة والأوقات والحوادث وكل ما يصيب الإنسان وما يصيبه الإنسان لتكميل خطة الفداء العامة لخلاص الإنسان.

كُنْ مُعافى،،

(١٩٦٨)



---

(١) المسيح هو الوحيد الذي له قوة التحرك نحو الآب، لأنه إبن الله الوحيد الذي من جوهر الآب، فهو دائماً في حضن الآب ومتجه نحو الآب (وكلمة πρός اليونانية المستعملة في الآية الأولى من إنجيل يوحنا والتي تترجم عادة بلفظ «عند» «الكلمة كان عند الله» تعطي معنى «نحو» أي «الكلمة كان نحو الله» (يو١: ١).

هذه القوة هي طبيعية في المسيح قبل التجسد والصلب، ولكن لكي يدخل بالإنسان الميت ويحمله إلى الآب كان لابد بعد أن تجسد وصار إنساناً أن يجتاز الألم الفدائي حتى يمكن أن يحملنا و يدخل بنا إلى الآب فيكون المسيح بذلك قد اكتسب بالصليب قوة لنا ومن أجلنا ــ أي قوة التحرك بالبشرية الخاطئة نحو الآب «لأنه لاق بذاك الذي من أجله الكل و به الكل وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمّل رئيس خلاصهم بالآلام» (عب٢: ١٠).

الصليبُ مَصدر فرحٍ ومجدٍ

في هـذا الـعـنـوان مـضادة صارخة، كيف يكون الصليب وهو رمز الظلم والعذاب والـعـار مـصـدر مجـد وفـرح؟ ألـيس هذا أمراً غير معقول... وأليس كل ما هو غير معقول جهالة؟

نـعـم... ولـذلـك يـلـزمـنـا أن نصير جهلاء لنتذوق فرح الصليب ويحل علينا مجده... ولـكن جهلاء فيما يخص الظلم والعذاب والعار، أي نتجاهلها إلى حين ليحل علينا فرح الصليب ومجده، وكيف نتجاهل الظلم والعذاب والعار؟

كثيرون يفرحون بالصليب... صليب المسيح... لأن عليه تألم المسيح ومات و بآلامه ومـوتـه نـلـنـا الفداء، وفي الفداء أعظم فرح لأنه عتق من موت أبدي. لقد فدانا المسيح مـن الآلام ومـن الموت في معناهما الروحي والأبدي، لأن المسيح روح أبدي فصار فرح الفداء روحياً وأبدياً أيضاً...

ولـكـن مجـرد فـرحـي بآلام غـيري وبموت غيري افتئات وجود وسلبية مطلقة... فرح مـثـل هـذا ليس هو تجاهل الظلم والعذاب بل تجاهل المسيح... **إن سر المسيح الأعظم هـو أن المسـيـح لا يمثل «آخر» بالنسبة لي، بل يمثلني أنا نفسي بلحمي وعظامي وروحي وكل ما فيَّ وعليَّ...**

الله ظـل بـالنسبة للإنسان «آخر» تماماً، هو من طبيعة وأنا من طبيعة أخرى. هو لا يمثلني أبداً وأنا لا أمثله أبداً... **إلى أن تجسد المسيح ابن الله في طبيعتي فصار يمثلني تـمـامـاً لـدى الآب، وصـرت عـنـدما يحل روحه في داخلي أمثله تماماً لدى كل الـذيـن لم يعرفوه بعد...** صار هو أمام الآب كخاطىء يطلب بر الله لسببي، وصرت أنا بـروحـه الأزلي أتـراءى لـدى الآب كـأني هـو... كأني بار، كأني إبن «وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد» (عب ٢: ١٠).

إذن فهل يمكن أن يصبح صليب المسيح أي تصبح آلامه وموته مصدر فرح لي ومجد دون أن تكون هي آلامي وموتى وأكون شريكاً؟ هذا أمر محال لأن كل ما للمسيح صار لي، صليبه ومجده وفرحه وألمه معاً... إذن فكيف أتألم معه لأفرح معه وأتمجد معه؟...

من على المنبر يمكن أن نصل بالسامعين إلى شركة آلام المسيح، وشركة مجد المسيح، وشركة كل شيء بغاية السهولة بالكلام والعواطف، بل حتى يمكننا أن نقنع السامعين أنهم صاروا أطهاراً ومبرَّرين، بالكلام أيضاً، بل وندعوهم للفرح والمجد وكأن الفرح فكرة... مجرد فكرة، والمجد بالإقناع مجرد الإقناع. و يكفي أن يقول الواعظ بعد ذلك هلليلو يا! ليرقص السامعون و يفرحوا بصليب المسيح!!! ولكن حينما يدخل الصليب حياتنا بالفعل يبطل الرقص و يتوقف الهتاف و ينسد الفم عن هلليلو يا، و يقف الإنسان يطلب بإلحاح أن يُرفع عنه الصليب. ثم إذ يتباطأ الله يبتدىء التذمر وتبدأ المحاجاة مع الله والعتاب ثم الخصام ثم الجفاء، وأخيراً يُسدل الستار عن قصة غرام مع الله قصيرة انتهت بمأساة وقطيعة...

هذا مدخل للفرح الروحي وهمي وخاطىء جد الخطأ، وتعرُّف على الصليب من خلال الألفاظ والمعاني وليس على أساس الواقع والحق...

فما هو المدخل الصادق للفرح الصادق وما هو الصليب الواقعي؟
حينما يقع علينا ظلم مكشوف وفاضح،
فهذا هو المسيح يتعرى استعداداً للصليب!
حينما يدق الحزن والألم باب حياتنا،
فهذا هو المسيح يُرفع على الصليب!
حينما تقع الخسارة وتدخل التجربة أعماقنا،
فهذا هو المسيح تُدق يداه ورجلاه على الصليب!
حينما يُطوَّح بكرامتنا إلى الطين ونفقد كل شيء،
فهذا هو المسيح ينكس الرأس و يسلم الروح!

إذاً فليست هناك حدود تفصل صليبي عن صليب المسيح، إن تجربتي مُعادة، تمت أولاً على صليب المسيح بنجاح واليوم يُراد تجديدها لحسابي...

□ □ □

ثلاث مراحل يجوزها صليبي ليتحول إلى فرح المسيح...

المرحلة الأولى: الرضى:

إن كنت حقاً أؤمن بالله وأؤمن بأن الله قادر على كل شيء، وهو ضابط الكل، فعليَّ أن أسلِّم له حياتي، عالماً بمن آمنت واثقاً بالأذرع الأبدية القادرة أن تحفظ وديعتي وتقيمني من الموت.

بهذا الإيمان وبهذه الثقة يسهل عليَّ الرضى بصليبي أياً كان هذا الصليب: مرض عضال! شوكة في جسدي أو جسد من أحبته نفسي! خيانة أخ وصديق، كان حبيب نفسي وأليف حياتي! خسارة وفقر مُذِل! ظلم واضطهاد وطغيان! مذمة واغتياب ومخاصمة الألسن! سيان سيان هو صليب على كل حال...

فإن كانت عيني قد تثبتت على مسيح حياتي، ورسمت صليبه وآلامه في قلبي وفي جسدي فسأرضى، نعم سأرضى بصليبي لأنه سيكون في نظري تجربة معادة...

ولكن بمجرد أن أرضى بصليبي فإن الله يحاول أن يستوثق من رضائي أو بالحري يجعلني أستوثق أنا بنفسي من رضائي فيثقل يده عليَّ قليلاً، و يطيل زمن التجربة قليلاً، حتى أستوثق أنا من رضى نفسي و بالتالي يستوثق هو أيضاً من نفسي... وهنا، نعم هنا... يتم سر الصليب الأول عندما يتحول الرضى إلى شكر بفعل النعمة، و يصير الشكر هبة ثمينة شبه معجزة، لأن الشكر إنما يكون عادة قرين الخير فقط. إذن فهنا يكون الشر قد تحول إلى خير لي بفعل الصليب و بقوة الرضى.

المرحلة الثانية: تجربة الشكر:

بعد غمرة الإنذهال من نوال القدرة على الشكر في وسط الألم وعمق التجربة، يستيقظ الإنسان فجأة متعجباً من نفسه: «كيف أشكر وأنا مهان»؟ «ولماذا أشكر

والله قادر أن يرفع التجربة، وهو لم يرفعها؟... هنا تدخل النفس في عراك مع الموهبة و يصطرع الشكر مع غصة الألم. ولكن عندما يكرم الإنسان الموهبة و يشكر، ثم يشكر متحدياً الألم والتجربة على مدى الأيام والليالي، تحدث المعجزة الثانية و يتم سر الصليب الثاني، عندما يتحول الشكر إلى فرح!! كهبة عظمى من الله!...

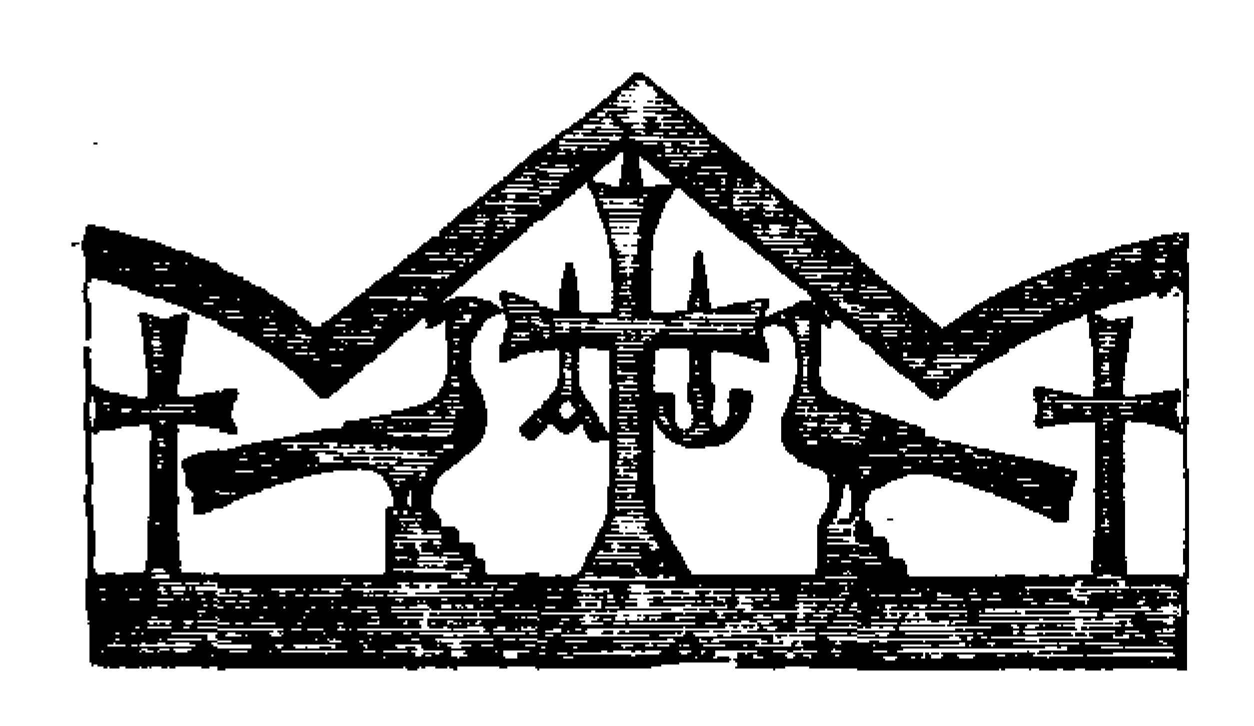
المرحلة الثالثة: معنى الفرح:

ماذا حدث؟ كيف أفرح بالحرمان والظلم؟ كيف أفرح وأنا في أتون التجربة وسعير الألم؟ إن الفرح هو البرهان الأكيد على خروج النفس من مجال الحزن وتوقُّف التفكير في هموم الواقع المؤلم توقفاً كاملاً وأكيداً. فكيف حدث هذا الخروج الفعلي من مجال التجربة، بل كيف تم تجاهل الألم والظلم والعار وأنا في صميم التجربة مرفوعاً على صليبي؟؟

هنا سر الصليب الثالث، هنا سر الإتحاد! الإتحاد بماذا؟ الإتحاد بمشيئة الله ومسرته!! لقد كان صليبي هو هو مشيئة الله بالنسبة لي، فلما رضيت به رضيت بمشيئة الله، ولما شكرت عليه شكرت مشيئته، ففاضت عليَّ. ولكن لما فرحت بصليبي تقابلت مشيئتي مع مشيئة الله تماماً فحلَّ عليَّ مجد الصليب وفرحه الذي هو منتهى مسرة الله: «كما اشتركتم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين» (١ بط ٤: ١٣).

ياإخوة افرحوا بصليبكم لتحل عليكم مسرة الله!

(سبتمبر ١٩٦٩)



يــــوم الصليـــــب

يوم القضــاء، ويوم البــراءة

هذا اليوم يا أحبائي يوم عظيم.
هو أعظم أيام البشرية قاطبة. هو يوم الصليب.
والصليب هو يوم القضاء العظيم الذي دخلته البشرية، فخرجت مبررة ومبرّأة.

فالرسالة اليوم رسالة حية. ياليت الرب يعطينا أن نحس بما أحسه بولس، الرسول العظيم، وندرك مثله ونؤمن ثم نقول: «مع المسيح صُلبت» (غل ٢: ٢٠). من أين استلم بولس هذا المبدأ العظيم؟ إن بولس الرسول ولو أنه لم يستلم بالكلمة عمل الصليب، ولكنه استلمه حينما انفتح قلبه وانفتحت بصيرته. لذلك فنحن نستلهم اليوم قول بولس بل وروحه. لكي نُعطى هذه العطية الثمينة والعظمى جداً، أن ننفتح على صليب ربنا يسوع المسيح، لنشعر في النهاية أننا مع المسيح صُلبنا حتى نحيا فيما بعد لا لأنفسنا بل للذي مات من أجلنا وقام (٢ كو ٥: ١٥).

* * *

حديثي عن الصليب سأقتصره على آية واحدة صغيرة هي الكلمة التي قالها الرب على الصليب وقت أن حلّت الظلمة على الأرض، يوم الصليب.

الرب تكلم سبع مرات على الصليب. ثلاثة منها قبل أن تظلم الأرض، ومرة واحدة أثناء الظلمة، والمرات الثلاث الأخيرة بعد انقشاع الظلمة.

الكلمات الثلاث الأولى التي فاه بها الرب قبل أن تحل الظلمة:
ــ «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو٢٣: ٣٤).
ــ «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو٢٣: ٤٣).

ـــ «يا إمرأة هوذا إبنك، وليوحنا (هوذا أمك)» (يو١٩: ٢٦، ٢٧).

أما في أثناء الظلمة، أي من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، وهي ظلمة عظيمة غطت الأرض كلها، وهذا هو موضوع حديثنا الآن، فقد قال هذه الكلمة الخطيرة (وأنا انتخبتها بالذات لأنها فعلاً خطيرة وعميقة والأسئلة فيها لا تنتهي والإرتباك في التفسير لا ينتهي، ولكني اخترتها ليس بسبب عمقها فقط بل بسبب شمولها وأهميتها بالنسبة لحياتنا الخاصة). هذه الكلمة هي:

ـــ **«إلهي إلهي لماذا تركتني»**. (مت٢٧: ٤٦).

وبعد ذلك عبرت ثلاث ساعات من السادسة إلى التاسعة وهو صامت لم يتكلم.

ثم انقشعت الظلمة، وابتدأت الشمس تشرق من جديد، فنطق وقال:

ـــ «أنا عطشان» (يو١٩: ٢٨).

فلما مدوا له قصبة، فيها بعض الأعشاب المبتلة في الخل، ذاق ولم يرد أن يشرب بل قال:

ـــ «قد أكمل». (يو١٩: ٣٠).

وهذه هي الكلمة الثانية بعد انقشاع الظلمة.

أما الكلمة الثالثة:

ـــ «يا أبتاه في يديك أستودع روحي». (لو٢٣: ٤٦).

* * *

١ ـــ حرية المسيح في التقدم للصليب

المسيح تقدم إلى الصليب بمنتهى حرية إرادته، لم يكن في لحظة واحداً متردداً، ولا متراجعاً.

بمنتهى حريته وإرادته تقدَّم إلى الصليب، ذلك لأنه لم يكن يتقدم بنفسه، بل ممثلاً عن البشرية كلها.

تقدم المسيح إلى الصليب ممثَّلاً للبشرية، ليدخل في قضاء إلهي، وهو يعلم تماماً ما هو الحكم الذي سيصير.

تقدم هكذا إلى قضاء الله الصارم كمحام عن البشرية، ولكن من داخل قفص الإتهام.

تقدم كمحام ليس بالكلام يطلب البراءة للبشرية، بل بأن دخل في هدوء وسكينة إلى داخل قفص الإتهام، وأغلق على نفسه، ووقف لكي يستقبل عقاب السماء.

لأول مرة يُسمع في البشرية كلها أن محامياً يحامي دون أن ينطق بكلمة واحدة، فاستطاع واستطاع أن يبرىء البشرية كلها، حامى بدون كلمة، فهو الكلمة، الذي استطاع في صمته أن يتقبل العقوبة ويخرج مبرَّءاً ومعه البشرية كلها مبرأة.

لقد قال الرب قبل دخوله أورشليم في الأسبوع الأخير:

ـــ «ها نحن صاعدون إلى أورشليم. وابن الإنسان يُسلَّم إلى الأمم و يُستهزأ به و يُشتم و يُتفل عليه ويجلدونه و يقتلونه» (لو١٨: ٣١ـــ٣٣).

من الذي يتكلم هنا؟

إنه المسيح نفسه، ولكن كأنه يتكلم عن آخر. ياللهدوء و ياللسكينة و ياللرزانة التي يتقدم بها إلى الموت. هذه بينة على أنه قادم نحو الصليب بحريته، بإرادته وسلطانه وحده.

ثم نلتفت إلى قوله: «**ابن الإنسان يُسلَّم...**»، وقيمة قوله «ابن الإنسان». فيسوع هو مندوب عن البشرية كلها، نائب عن البشرية كلها، ومحاميها، والمتلقي العقوبة عنها.

هنا الصفة العمومية للمسيح التي أحبها دائماً: «ابن الإنسان»، ومفهومها الوحيد القوي أنه مندوب البشرية كلها جاء من السماء ليجتاز قضاءً، ويجوز عقوبة، ثم يُبرَّأ تبرئة...

«**يُسلَّم**»، هنا الفعل في صيغة المبني للمجهول. مَنْ الذي سيسلم ابن الإنسان؟

الأمة اليهودية ممثلة في رئيس كهنتها، وكهنتها، ومجلس قضائها الأعلى، الذي هو مجلس السنهدريم، وهو يشمل جميع المعلمين الكبار في إسرائيل وحكمائها، و يشمل أيضاً شيوخ الشعب المسئولين رسمياً.

ثم قال أيضاً: «**يسلّم لأيدي الأمم**». والأمم هنا أيضاً إشارة واضحة إلى بيلاطس وسلطانه القضائي.

هنا قضاءان: **قضاء ناموسي**، وهو يمثل قضاء الله. **وقضاء عالمي**، وهو لم يمثل للأسف أي قضاء بالمرة، وهذه وصمة للقانون الروماني وقضائه. فقد تحول من هيئة تشريع وقضاء إلى هيئة تنفيذ فقط.

ولكن هذين القضاءين لهما موضعهما الروحي. كما سيتضح فيما بعد.

عقوبات القضاء:

فبعد أن تنبأ الرب عن تسليمه لأيدي الأمم، يقول: «و يُستهزأ به، و يُشتم، و يُتفل عليه». هذه العقوبات الثلاث تمثل الجانب الأول من القضاء.

ثم «يُجلد»، وهذا هو الجانب الثاني.

ثم «يُقتل»، وهذا هو الجانب الثالث.

«**يُستهزأ به، و يُشتم، و يُتفل عليه**»، هذا هو عقاب الناموس على مستوى العار والفضيحة.

ثم «**يُجلد**»، وهذا عقاب على مستوى التأديب.

ثم «**يُقتل**»، وهذا حكم على مستوى القضاء، قضاء الخطية الذي هو «النفس التي تخطىء هي تموت» (حز١٨: ٢٠).

والآن وعلى ضوء تأكيدنا على حرية المسيح المطلقة في مسيرته نحو الصليب كمن يمشي بفرح، ليس فقط بتصميم، بل برجاء وتوسل بأن يكمل قضاء الصليب فيه، تضيء أمامنا كلمات المسيح في بستان جثسيماني التي وجهها إلى الآب «ياأبتاه إن شئت أن تجيزعني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك». فالكلام ههنا

واضح و بسيط رغم تعقيد الشراح، فالمسيح دخل، ليس بنفسه، بل بالطبيعة البشرية العاجزة الضعيفة. وإذ كان يعرف مسبقاً مقدار العقوبة تماماً، مقدار طولها وعرضها وعمقها المريع المخيف، فبالرغم من تقدمه إلى الصليب بأقدام واثقة مطمئنة إلا أنه «بصراخ شديد ودموع» (عب٥: ٧) وقف أمام الآب يصلي و يشفع. ولكنه بالرغم من ذلك كله قال في النهاية: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧).

أما البينة الثالثة التي تُظهِر حريته في التحرك نحو الصليب فهي حين قال: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها» (يو١٨: ١١). قال ذلك لما أرادوا أن يشككوه في الصليب.

أما التصريح الرابع الذي يُظهر أيضاً حريته في التحرك نحو الصليب: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً (أو أرفعها)» (يو١٠: ١٨). هو يتكلم هنا عن نفسه وقت الموت.

من هذه الإتجاهات أو الزوايا الأربع تستطيعون أن تحسوا كلكم بمقدار الحرية والإرادة والعزمة التي كان الرب يتحرك بها نحو الصليب.

* * *

٢ ــ مضمون الصليب

وهكذا سأتحسس موضعي وموضعكم أيضاً في الصليب.

إن يوم الصليب وإن كان هو يوم قضاء البشرية العظيم، إلا أنه عظيم ومفرح للغاية، بالرغم من الكآبة والسواد اللذين تتجلل الكنيسة بهما في هذا اليوم، و بالرغم مما ابتدأ به اليوم بهذا الحزن وبهذه الألحان التي تكسر النفس في أعماقها، فهذا أمر حتمي لا مفر منه. فاليوم هو يوم قضاء عظيم. هذا اليوم تكلم عنه الأنبياء أنه يوم الرب العظيم. ومن يستطيع أن يقف في هذا اليوم؟ فهو يوم قضاء مخيف.

والآن، أين القاضي هنا؟

القاضي في محكمة الصليب كان هو الناموس، ناموس العهد القديم الذي استلمه

موسى مكتوباً بأصبع الله أو منطوقاً بفم الله. فالناموس كان هو الصورة المنطوقة بالكلمات التي تصور مشيئة الله، أو هو الله في كلمات ووصايا لها تحذيرات وعقوبات.

ورؤساء الشعب ماذا كان موقفهم؟ كانوا بلغة القضاء اليوم يمثلون «المدعي العام».

لم يزيِّفوا القضية. لقد وقف رئيس الكهنة مع شيوخ الشعب (وقبل أن تقدَّم القضية إلى مصدر السلطان وحده أي القضاء الروماني) وقف ونطق، وكان الحق معه، كمدَّعي عام، حامي حمى الناموس، والقيِّم أو القوَّام على ناموس موسى. لذلك وضع أقصى العقوبة لمثل هذا الإنسان الذي اتهمه بأنه ضد الناموس.

فهو **أولاً:** مجدف على الله.

ثانياً: حطم السبت وكرامة السبت.

ثالثاً: خالف ناموس موسى «فاعل إثم». «لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك» (يو١٨ : ٣٠). أي أن له ماضياً تجاه الناموس كله نقط سوداء.

إذن فأصبح لرئيس الكهنة بموجب هذه الإتهامات الثلاثة الحق منتهى الحق ـــ وفي حدود سلطانه تماماً ـــ أن يصوِّر للقاضي ماذا ينبغي أن يُحكم به على إنسان مثل هذا. فقال له: «اصلبه. اصلبه. لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله» (يو١٩ : ٦، ٧).

وهكذا فالحكم هنا هو تطبيق سليم للناموس.

وماذا كان رأي المسيح ياترى في هذا الحكم؟

بلا شك أنه حكم سليم: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢ : ٢٧)، من أجل هذا القضاء الذي كان المسيح يعلم أنه قضاء حقيقي.

ولكن...

إن الصراخ الذي صرخه رئيس الكهنة ووضعه في أفواه الشعب، بالرغم من أنه

صراخ حقيقي، لكنه هو الحكم الذي كان ينبغي أن يُحكم به على الإنسان — كل إنسان — وأولهم هذا الإنسان نفسه أول من نطق بالحكم، أي رئيس الكهنة. فالحكم صحيح، لقد نطق به رئيس الكهنة وهو لا يدري أنه صادر ضده هو وصادر ضد كل هيئة الكهنوت وهيئة القوّامين على الناموس أولاً وفي البداية، ثم ضد الشعب كل الشعب: الفاهم والدارس منهم أولاً، ثم غير الفاهم والجاهل أخيراً.

كل هذا كان يدركه واحد وحيد فقط، هو المسيح نفسه. ولذلك تقدم إلى هذا القضاء ليس عن رضا وبمسرة فقط، بل و بأمنية أن لا يتعرقل سير القضية، بل أن تبلغ إلى النهاية، أي أن يتقبل الحكم كاملاً غير منقوص.

وهكذا تقدم المسيح وهو يحمل البشرية كلها في جسده.

يا أحبائي — **هذا هو مفهوم التجسد**. ينبغي أن تصححوا الوضع اللاهوتي في قلوبكم. المسيح أخذ جسد الإنسان، ودعي ابن الإنسان، أخذ جسدي وجسدك، أخذ جسد الخطاة فقط، لا يستطيع المسيح أن يأخذ جسد «البار»، لأنه كان يعلم أنه من أجل هذه الساعة قد أتى، لأجل قضاء واقع على الخطاة... كل الخطاة. لذلك فكل من أحس في نفسه البراءة أو أنه بار، خرج من دائرة الصليب وخرج من دائرة التجسد. من أجل الخطاة فقط أنا أتيت «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩: ١٣).

وإلى الآن يا أحبائي، هذه هي رسالة المسيح، وهذه هي إرساليته. وهذا هو الصليب، وهذا هو عمقه. لا يجمع الصليب أبداً إلا الخطاة. أما كل من يشعر في نفسه أنه طاهر أو بريء، فليس له في الصليب نصيب، وليس له في هذا اليوم العظيم مكان، هو خارج عن هذا المشهد، هو متفرج، يستطيع فقط أن يقول: «خلّص آخرين وأما نفسي فلم يقدر أن يخلّصها».

المسيح لا يزال آخذاً جسدي وجسدك وجسد كل إنسان خاطىء على الأرض، من يوم أن جُبل آدم إلى آخر إنسان على وجه الأرض يكون.

هذا هو التجسد، وبهذا التجسد تقدم المسيح إلى الصليب.

وماذا كان يحمل؟

كان يحمل كل خطية الإنسان. يحمل كل خطية اقترفها الإنسان في وضعها الرجعي الماضي منذ آدم، بل آدم أولاً و بالضرورة، وكل خطية تناسلت من آدم في نسله منذ البداية وإلى آخر الدهور.

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن:-

كيف أخذ المسيح الخطية في جسده، ونحن نعلم أنه بلا خطية، وولد من جسد طاهر بلا خطية، وعاش بلا خطية؟

ياأحبائي، تأملوا معي قليلاً. حينما افتُري على المسيح بأنه خاطىء ولم يدافع عن نفسه، في هذه اللحظة تقبل الخطية ورضي بأن يصير مندوباً عن الخطاة، هذا في المظهر. أما في الجوهر، فقد استلم الخطية فعلاً، إذ صار في الحال حامل كل إثم كونه صمم على عدم المدافعة عن نفسه إزاء كل إفتراء عليه بأنه فاعل إثم.

حينما قيل عنه أنه مجدف واقتبل التهمة دون أن يدافع عن نفسه، قبل أن يصير مجدفاً بالفعل.

حينما قيل عنه أنه كسر السبت، مع أنه أفهمهم كثيراً أنه رب السبت فلم يريدوا أن يفهموا، ثم لما لم يدافع عن نفسه تقبل في الحال خطية كسر السبت.

وأنتم تعلمون ياأحبائي ـــ أو ينبغي أن تعلموا ـــ أن كل من خالف ناموس موسى فـ: «على شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة» (تث١٧: ٦، عب١٠: ٢٨).

أظن أنه قد ابتدأت الآن تتضح خطوط الخطية وخطوط العقوبة.

رضي المسيح أن يصير مخالفاً للناموس.

رضي المسيح أن يصير كاسراً السبت.

رضي المسيح أن يصير المجدف على الله.

رضي المسيح أن يصير فاعل الإثم.

* * *

بهذا ياأحبائي، وُضع على المسيح كل أنواع الخطايا والتعديات، ورضيها جداً. وفرح فرحاً عظيماً لأنهم استطاعوا أن يلموا شمل جميع أنواع التعديات و يصبوها على جسده وعلى رأسه صباً. فرح جداً أنهم لم ينسوا خطية واحدة، جميع الخطايا: صغيرها أولاً وضعوها عليه، ثم متوسطها، ثم كبيرها.

نعلم أن الخطايا الصغرى كانت تعالَج **بالجلد أربعين جلدة** حسب الناموس (تث٢٥: ٢، ٣). وتعلمون أن كل من يخالف الرؤساء وذوي السلطان في إسرائيل كان **يُخرج خارج المجمع** كمخالف للناموس (خر٢٢: ٢٨)، حتى ولو لم يكن بالسلوك مخالفاً للناموس (أي أنه إذا عصى الشعب رؤساء الكهنة ــ حتى ولو كان الشعب على شيء من الحق أو على بعض الشيء من الحق ــ فكانت العقوبة تجوز عليهم، لأن قول السوء على «رئيس في شعبك» هو خطية)، لذلك استدرك بولس الرسول في حواره مع رئيس الكهنة بالرغم من أنه كان على حق (أع٢٣: ٥).

وحينما تكلمت مريم على موسى، أتى موسى يتشفع فيها أمام الله ليشفيها. فقال الله لموسى: «**ولو بصق أبوها بصقاً في وجهها** أما كانت تخجل سبعة أيام. تُحجز سبعة أيام خارج المحلة. و بعد ذلك ترجع» (عدد١٢: ١٤). هذه إشارة عجيبة جداً، فهنا بصقوا في وجه المسيح ولطموه على رأسه ونتفوا شعره (ولو أن نتف الشعر ذُكر في النبوات عن المسيح ــ إش ٥٠: ٦ ــ ولم يُذكر في الأناجيل بل في التقليد الليتورجي).

هذه هي العقوبات والتأديبات التي حملها المسيح عن الخطايا الصغرى: الجلد، وإخراجه خارج المجمع، والبصاق، ونتف الشعر.

و بعد ذلك تقدم المسيح إلى الصليب من أجل الخطايا المميتة، بحسب الناموس القديم، ومن بينها خطية كسر السبت، فكان كل من يكسر السبت يُرجم.

فالآن، بعد أن استوفى المسيح كل عقوبة الخطايا الصغيرة تقدم ليستقبل عقوبة

الخطايا المميتة كلها معاً.

ما أعظم ما صنعتَ من أجلنا يارب، ونحن لاهون عما صنعت من أجلنا ياابن الله.

* * *

ياأحبائي، أتوسل إليكم، تحسَّسوا موضعكم من ضربات الظهر، تحسَّسوا موضعكم من بصاق الوجه، تحسَّسوا موضعكم من القصبة وهي تهوي على رأس المخلص، إنها على رأسك أنت ياحبيبي. اليوم يوم قضائك، وإن شئت وإن قبلت فهو يوم براءتك. فاليوم تدخله برعدة حقيقية مع المسيح، معرى الظهر، مفضوحاً، متفلاً على وجهك، منتوف الخدين، مضروباً بالقصبة على رأسك، ثم تتقدم بحرية إرادتك وتفرد ذراعيك بمشيئة إرادتك أيضاً وبسلطانك وحدك، ثم ترتفع معه سراً قليلاً قليلاً، تتشجع معه من ضعف لتقف هذه الوقفة الشنيعة مفضوحاً معرى مسمر اليدين والرجلين على الجسد العتيق الذي حمل كل خطية لكيما ترتفع مع ذلك الجسد الطاهر، وتأخذ معه نصيب عقوبة. حينئذ تخرج معه بنصيب براءة...

نعم، اليوم هو يوم قضائك. لا تخف تعال. عرِّ ظهرك مع الذي تعرى ظهره ولم يخجل. تعال اكشف وجهك وعرِّضه ولا تلتفت إلى الوراء كما قال إشعياء: «لم يرتد أبداً» (إش ٥٠: ٦).

لا تخف، امش معه خطوة خطوة. وهذا هو ثمن خطاياك الصغيرة، ثمن كسر وصايا الله الصغرى... تعالَ. تعالَ معي، اشترك في هذه العقوبة التي تستطيع أن تغسلك بل تغسل لحمك ودمك وعظمك، بل تجعلك تولد من جديد بلحم طفل جديد.

اليوم قضاء البشرية على الخطايا الصغيرة. تعالوا، تعالوا ياخطاة، يامثقلي الضمير، ياذوي الحساسية الشديدة في الضمير، تعالوا فاليوم هو يومكم. تعالوا لكي تُشبعوا حساسية ضمائركم، لكي تعيشوا فيما بعد لا بضمير مثقل بالخطايا، ولا بضمير عليه خطية ما، بل بضمائر مطهرة مغسولة نقية بيضاء أكثر من الثلج (مز٥١).

لقد ألبسوه ثوباً قرمزياً يوم الصليب، وهذا هو تحقيق النبوة عن «الآتي من أدوم بثياب حُمر» (إش٥٣: ١)، أو بثياب حمراء ملطخة بالدم. فهذا الثوب الأحمر تقابله آية رائعة: «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف» (إش١: ١٨). هنا الصوف هو ثوب الحمل وهو على الصليب. عروه وألبسوه ثوباً أحمر ورفعوه، فوضح الثوب الآخر، لبس المسيح ثوب المجد، ثوب الطهارة الأبدية.

هذه هي المحاججة التي يدخل فيها الله معنا اليوم. نحن كلنا لباس ثوب أحمر ملطخ بخطايا شنيعة، بعضها لطع صغيرة و بعضهالطع كبيرة.

اليوم ياأحبائي ثوبنا ملطخ بالدم، من بعيد يُرى وكأنه لطعة واحدة، كأنه صبغة واحدة. ولكن إذا دققتم النظر لوجدتموه صلباناً بلا عدد، بالملايين، هي خطاياي وخطاياك، بعضها صغير دقيق، هي الخطايا التي ثمنها تعرية الظهر وضرب السياط التي نالها المسيح، فنضحت علينا بياضاً يفوق الوصف، بياضاً يضاهي بياض صوف الحمل الوديع، حمل الذبيحة الإلهية التي رفعت خطايا العالم.

و بعضها صلبان كبيرة لا يمكن أن تشير إلا إلى خطية الموت التي تجلب الموت والتي دخل إليها المسيح كشجاع، وخرج مبرءاً مغسولاً لنا وعنا.

فياأحبائي، إن كانوا قد ألبسوا المسيح ثوباً أحمر واستاقوه به من محكمة رؤساء الكهنة، فهذا هو ثوب الخاطىء الملطخ بالدم، هذا الثوب الذي سبق ورآه وتحدث عنه النبي من قبل، استاقوه إلى مكان الحكم الصوري ــ أي محكمة الرومان ــ فما كان من الرومان إلا أن صدقوا، في ذلة مخزية، على حكم المدعي العام رئيس الكهنة.

وحاول بيلاطس في شيء من التخاذل، محاولة بشرية يائسة يكاد بها أن يعيد للقانون الروماني كرامته و يرجع ماء وجهه الذي أراقه هؤلاء الكهنة والمتمكنون من حياكة الدسائس. قال لهم:
ــ «أؤدبه وأطلقه» (لو٢٣: ١٦) (عقوبة الخطايا الصغيرة).

فقالوا له :

ـــ لا بل اصلبه . اصلبه .

ـــ أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان ؟

ـــ لولم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك .

ما أقسى جبروت هذا المدعي العام...

وهنا ارتجف قلب المسيح . لأنه إذا تم مسعى بيلاطس لضاع الصليب ، إن كان الأمر سيؤول إلى مجرد تأديبات فقط على خطايا صغيرة فحسب .

وهنا نلتفت مرة أخرى إلى حرية إرادته ، فهو لم ينثنِ لحظة واحدة ، بل كان يدعو في قلبه ألا يلين هذا الوالي ، بل أن يصدر أقصى الحكم في القضية كاملاً تاماً ، كما أرادوا أو كما صدر من فوق .

ـــ أما تجيب بشيء؟ (حامِ عن نفسك)...

ولم يكن بيلاطس يدرك أن محاماة المسيح الوحيدة عن البشرية سوف تكون هي دمه المسفوك !

فصمت الرب لئلا يتعطل الصليب بسبب حكمة بشرية لا تدرك معنى الصليب .

ـــ أما تكلمني ؟ ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أُطلقك ؟ (ياللتذلل) .

ـــ لم يكن لك عليَّ سلطان البتة **لولم تكن قد أُعطيت من فوق .**

ليس أبلغ من هذه الإشارة ، أن القضية قد صدر بها أمر إلهي ، قبل أن ينطق بالحكم بيلاطس كسلطة تنفيذية . وذلك لأننا أمام قضية ليس فيها أدلة مادية واضحة ، فهكذا اعترف هذا القاضي الروماني قائلاً : «لست أجد فيه علة واحدة تستوجب الموت» .

وتحت إلحاحات هذا المدعي العام المجنون العاقل (لأن هذا كان أمر الناموس) ،

وتحت إلحاحات هذا الشعب الساخط، لم يكن بد من أن ترفع القضية إلى السماء، إلى الملك لكي يصادق على الحكم، وإلا فلا يمكن التنفيذ.

بحسب القانون الروماني، القضية مشوهة أشنع تشو يه، فقال لهم:
ـــ خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم.
ـــ لا يجوز لنا أن نقتل أحداً!

هنا المسيح بجلاله وبهيبته العظمى، أعاد للقانون الروماني هدوءه، وأعاد لرئيس الكهنة هدوءه النسبي إذ حول صراخهم بصلب المسيح إلى السماء لكي يتم التصديق عليها، ترضية لضمائرهم التي سوف تثور عليهم ولن تتركهم في هدوء. فصادق الله لحظة أن أعلن المسيح هذه الشهادة:

ـــ لم يكن لك عليَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق.
هنا آخر مصدر للقضاء، وآخر مصدر للتنفيذ والحكم. صدر من كل الهيئات:
ـــ هيئة الكهنة التي تمثل القضاء الناموسي.
ـــ هيئة بيلاطس التي تمثل الهيئة التنفيذية.
والسماء صادقت أيضاً.

كل هذا ياأحبائي، لكي أهدىء نفوسكم أنتم أيضاً، فالمسيح لم يتقدم إلى الصليب وهو يحس أنه مظلوم، أو كأنه غير مستحق الموت بموجب الناموس. لا بل صار المسيح ـــ بحريته وسلطانه وحده ـــ مستحقاً الموت بموجب مخالفة الناموس التي وقعت فيها البشرية كلها، والتي حملها المسيح راضياً مسروراً ليتقدم بها إلى قضاء السماء لينتزع براءة من لدن السماء، براءة لم ولن يحدث مثيلها قط.

هذا هو القضاء العظيم الذي تبرأت به البشرية في هذا اليوم، براءة لا يمكن قياسها ولا إدراكها. إنه يمكن فقط الحصول على صورة مسجلة رسمية من هذا القضاء المبرىء لكل إنسان يتقدم إلى المحكمة العليا السماوية بلا ذهب ولا فضة.

* * *

تعالوا، تعالوا، إلى خلاص قد أعد، وتبرئة سماوية ليس فيها إطلاقاً أي نقاش. إذ لا يمكن أن يعاد نظر قضية سبق تقديمها والحكم فيها، وصدرت فيها براءة رسمية.

كل من له مثل هذه القضية، فليتقدم ليأخذ براءته اليوم، يأخذ «حكماً مماثلاً» بلغة القضاء اليوم، ومن هيئة رسمية سماوية و بختم الله.

ياخطاة الأرض كلها، أيها الخاطىء ـ أي خاطىء ـ تعالَ بما في قلبك وفكرك وجسدك وضميرك، من خطايا صغيرة كانت أم كبيرة، مزدحمة حتى شقت قلبك بالحزن. تعالَ اليوم، وخذ صورة رسمية من البراءة تستطيع بها أن تقف لا أمام كهنة أرضيين بل أمام السموات وأمام يسوع المسيح الذي هو محاميك وقاضيك ورافع البراءة عنك في حضرة الله.

خذ براءتك من السماء نفسها، براءة لا يمكن النقاش فيها.

اليوم ياأحبائي دخل المسيح حاملاً شكل المجرم، كل مجرم، حاملاً كل خطية يمكن أن تطرأ على ذهن إنسان ثقلت مهما ثقلت، ولها حكم الموت المطلق بلا نقاش أو جدل، دخل المسيح بها في محكمة الأرض والسماء، وتقدم وجاز كل عقوباتها في نفسه منذ أن رفعوا الثياب من على ظهره وضربوه عند الجلجثة، والدم منسكب من يديه ومن قدميه ومن جروح الأشواك المغروسة في جبينه، بل أستطيع أن أقول أن كل جزء في جسده تخضّب بالدم.

الذبيحة قُدِّمت عن خطايا البشرية كلها، والدم صار على الجسد ثوباً جديداً مطهراً لكل خطايا البشرية. وبهذا الجسد عينه ـ الذي هو جسدك وجسدي ـ قام المسيح في اليوم الثالث ممجداً، وارتفع وجلس عن يمين العظمة في الأعالي ليصنع باستمرار شفاعة وكفارة ولينال لنا غفراناً عن كل خطية.

فاليوم ياأحبائي يوم قضائكم، و يوم تبرئتكم أيضاً.

* * *

٣ ــ إلهي إلهي لماذا تركتني

بعد هذه المقدمة الكبيرة، أستطيع أن ألمس معكم الآن هذه الآية المباركة، لنعرف عمن قال المسيح هذه الكلمات: «إلهي إلهي لماذا تركتني».

الظلمة مخيمة على الأرض كلها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، لقد صلبوا الكلمة نور العالم، فاختفى النور عن العالم بالحقيقة. هدموا (فكوا ــ حلوا) الهيكل، أي فكوا الجسد، فابتدأ الموت يسري في الأوصال. فلما هدموا الهيكل الجديد، نُقض في الحال الهيكل القديم. لقد قال لهم وهو في الهيكل: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» (يو٢: ١٩)، ففي غباء منتهى الغباء، تقدموا إلى هذا الهيكل السماوي غير المرئي بعيونهم الخاطئة، وقدموا عريضة تستوجب نقضه أو «فكه».

وفعلاً وفي اللحظة التي بدأ فيها الموت يسري بيقين في الجسد، إنشق حجاب الهيكل من أعلى إلى أسفل تعبيراً عن خروج الله منه إلى الأبد «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (لو١٣: ٣٥).

كيف يُرى النور على الأرض و«أنا هو نور العالم» (يو٨: ١٢) قد قُطع من أرض الأحياء؟ (أش٥٣: ٨)!

هنا الظلمة الخارجية حقيقة لابد منها، لأن النور الحقيقي حاولوا أن يخفوه عن العالم، واستطاعوا: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو٢٢: ٥٣)، خيَّمت الظلمة على الأرض بسبب هذا الظُلم، لا بسبب أن المسيح قد ارتضى أن يُصلب، أو لأن الآب ووجه الآب قد انحجب.

هذه الظلمة الخارجية من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، كانت صورة طبق الأصل لما كان يجوزه المسيح على الصليب.

وصمت المسيح أول ما حلت الظلمة على الأرض، أحس بالموت يسري في جسده، صمت في الحال، وانتهت الكلمات كلها.

ولكن ما هذه الظلمة؟ لقد أرادت البشرية أن تعرف كنهها. ولماذا هي؟ إنها صورة طبق الأصل لما كان يجوزه المسيح في الداخل «إلهي إلهي لماذا تركتني؟». لا يمكن أن يقف مجرم أمام الله وعدله بوجه مكشوف! ولا يمكن أن يُرى الله بوجه مكشوف. **لقد انحجب وجه الله عن ذلك الذي صار مجرماً**، ذلك المرفوع على الصليب بسبب الخطية «لأنك حجبت وجهك عنا وأذبتنا بسبب آثامنا» (أش ٦٤: ٧).

لقد حمل المسيح كل خطايا البشرية على الصليب، فانحجب وجه الآب عن الإبن المتجسد، دون أن ينفصل لاهوته عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

وجازت الظلمة أعماق الجسد، بل النفس، بل الروح، ولكن اللاهوت قائم كما هو، لا يمكن أن ينفصل عن الناسوت إطلاقاً.

هذه الظلمة هي التخلية والإخلاء: تخلية من الآب، وإخلاء من الإبن لذاته «أخلى نفسه» (في ٢: ٧) عن كل مجد الألوهة ونورها، **وارتضى شاكراً راضياً أن يدخل الظلمة بنفسه، وهو النور الحقيقي الذي لا تدركه الظلمة.**

لا يوجد موقف أعمق وأعظم من هذا الإخلاء، في مفهوم التجسد «إلهي إلهي لماذا تركتني». لا يمكن أن نفهم إخلاء التجسد «أخلى ذاته آخذاً صورة عبد» إلا إذا رجعنا إلى هذه الآية واستلهمنا منها مفهوم الإخلاء على مستوى مرئي.

لهذا فالمسيح قال بفمنا وبفم كل خاطىء «إلهي إلهي لماذا تركتني». لأنه لا يمكن أن يخطىء إنسان ثم يستطيع أن يقف أمام الآب بوجه غير مخزي. لابد أن يعبر هذه الظلمة عينها، نعم لابد أن يجوز مع المسيح من الساعة السادسة إلى التاسعة، لكي يدخل مرة أخرى إلى حضرة الآب برجاء وقدوم وثقة، بإيمان المسيح، بلا لوم في المحبة ليعيش إلى الأبد كقديس مطهَّر، كإنسان بار في دم المسيح، اغتسل وقام في ثياب مبيَّضة، ليعيش مع المخلَّصين إلى الأبد.

وهكذا فإن النور الذي لا يمكن أن تدركه ظلمة، ارتضى أن يدخل الظلمة بإرادته، **ولكن الظلمة لم تستطع أن تحتويه. فالمسيح وهو في القبر شق ظلمة الموت وخرج في فجر الأحد بنور يملأ السماء والأرض وينير المسكونة إلى دهر الدهور.**

إذاً، فهو رضى بالظلمة، ولكن رضى بها إلى حين، رضى بها إلى زمان. هنا مفهوم الإخلاء، هو مفهوم زمني وليس مفهوماً جوهرياً. الإخلاء لا يمكن أن يُفهم على مستوى الجوهر والطبيعة واللاهوت إطلاقاً. الإخلاء يُفهم فقط على مستوى زمني. المسيح تخلى عن مجده زمناً، وتخلى عن نوره زمناً، **رضي في ثلاث ساعات أن يعيش في ظلمة قاتمة كإنسان خاطيء، وهو الإله، حاملاً خطية العالم كله على الصليب، في جسده. فانحجب عنه نور الآب، بل وحجب هو عن ذاته نوره الحقيقي**، إذ هو النور الحقيقي، وعاش هو والأرض كلها في هذه الظلمة ثلاث ساعات متوالية، عبر عنها بـ«إلهي إلهي لماذا تركتني».

* * *

هذه الصرخة ياأحبائي، هي صراخ الخاطيء حينما يحس أن الخطية حجبت نور الآب ونور الإبن عنه.

هذه هي ظلمتنا التي نعيش فيها بين الحين والحين، حينما تستعلن الخطية وحينما نحسها بالضمير الشفاف وبنور الإنجيل والآية، وعلى ضوء الكلمة والعظة، وعلى ضوء التأمل والتعمق بالقلب.

نواجه هذه الظلمة عينها، لا مفر، ظلمة مرعبة للغاية هي.

ولكن، شكراً للنور الحقيقي الذي لا يمكن أن تدركه الظلمة، ولا يمكن أن يحتويه قبر الخطية، فقد استطاع أن يجوزها عني، ماسكاً بيدي أنا الإنسان الخاطيء الذي قد صارت فيَّ الخطية وصار لي الظلام رفيق حياة، وما صار لي النور تماماً بعد.

فلا نخف أبداً... نعم... فمن ظلمة إلى نور... حيث يملك النور ولا يمكن أن تملك الظلمة علينا من بعد.

نجوز بالحقيقة في نور الضمير وجع الخطية وظلمتها، حزنها وكآبتها، **وكأننا ننزل القبر بأقدامنا، ولكن سرعان ما يشع علينا نور الرجاء، نور المسيح، نور الصليب، نور القبر الفارغ ونقوم،** بتعزية الكاهن وبتعزية الكنيسة وبسر التوبة وبرجاء الإفخارستيا. نقوم من جديد في نور يكاد يشملنا، نتسربل به.

حقاً هو لا يدوم معنا، لأننا لا زلنا نعيش بجسد الخطية، ولكن... سوف نقوم بهذا الجسد عينه غير الفاسد الذي تنق وتجدد واستنار بنور المسيح والقيامة منذ الآن. وإذ يقوم، فلن يسود عليه الموت بعد.

بل ومنذ الآن، **وكل من أشرقت عليه قيامة المسيح، فلن يرى الموت حتى ولو مات (يو١١: ٢٥). ولن تحتويه ظلمة القبر، حتى ولو أحكموا عليه مغاليق الحديد ومتاريس النحاس والأقفال.** سوف ينطلق من العالم، من شمسها الضعيفة ومن نورها الضعيف، **إلى شمس البر، النور الأبدي. نعم، سوف يدخل مجال النور، ولن تحتويه ظلمة قط.**

* * *

يا أحبائي — اليوم أيضاً يوم ظلمتنا، ينبغي أن نجوزها مع المسيح من الساعة السادسة وحتى التاسعة، من وراء حجاب الخطية الذي ينبغي أن ينشق ونعيش أبداً خلفه. ثم وبعد التاسعة يشرق علينا نور الرجاء، النور الذي أتى ودخل العالم ولن يتركه، نور المسيح الذي قام من بين الأموات لكي نعيش في نوره إلى الأبد.

* * *

هذا هو الصليب.

هذا هو يوم القضاء العظيم، يوم البراءة التي نالتها البشرية، من الحكم الذي صدر على المسيح وتقبله كمستحق الموت، رفعه عنا ومزقه على الصليب، وقام في نصرة القيامة ببشرية مجددة، بخليقة لا يمكن أن يملك عليها الموت، ولا يمكن أن تسود عليها الخطية. بل بر في بر إلى الأبد.

* * *

نعم يارب. نعم يايسوعنا المصلوب.

نعم يايسوع ساعات الظلام من السادسة إلى التاسعة.

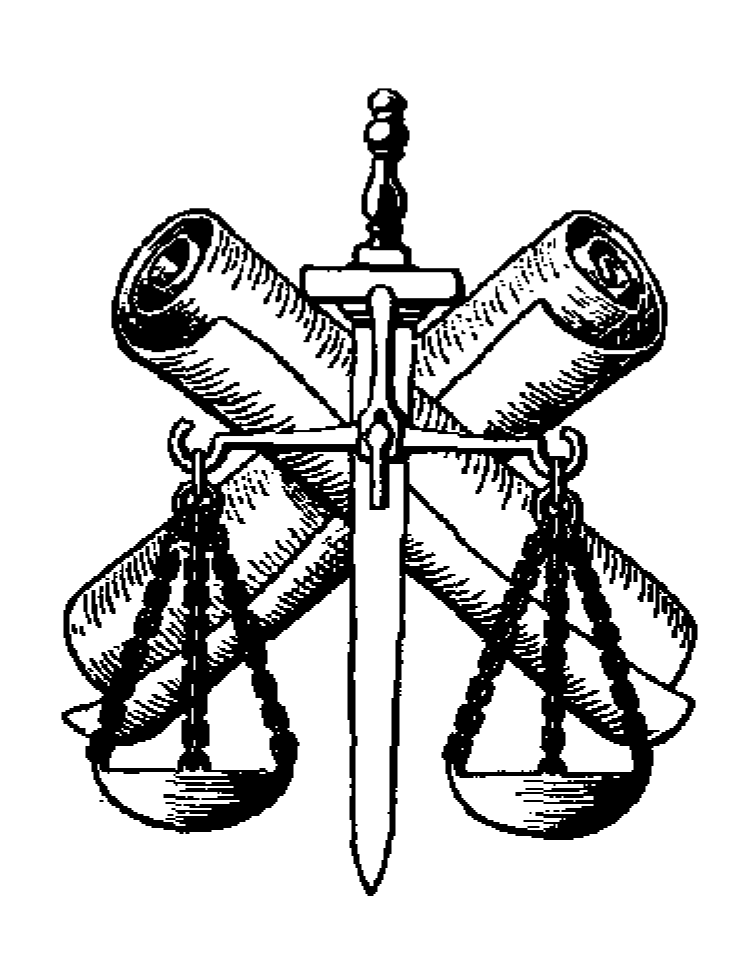
يامن جزت هذا كله عني، نعم يارب، أذكرني، أذكرني أنت الآن وأنت في ملكوتك. واذكر شعبك لكي لا يستثقلوا الظلمة إذا غشيتهم ثلاث ساعات. ولكي لا يدخلوا اليأس أبداً طالما أنت هتكت ستار الظلمة بقيامتك، إذ قمت أيها النور الحقيقي، وفيك أدخلتَ البشرية في نور أبدي.

ادخِلْنا اليوم ياإبن الله في هذا الصليب، صليب الحبيب، لندخل معك القضاء ونخرج مغفوري الخطايا والزلات.

آمين. برِّئنا ياإبن الله واقبلنا، هذا اليوم، لنكون شركاء حبك العظيم الذي دفعك إلى هذا الصليب.

آمين. ليتمجد إسمك في كنيستك من الآن وإلى الأبد آمين...

(١٩٧٣)



إنجيـــل آلام وأمجـــاد قيـــامة

« بموتك يارب نبشر و بقيامتك
المقدسة وصعودك إلى السموات
نعترف ... »

القداس الإلهي

إنجيـــل آلام:

بدأت أحزان المخلص مبكرة جداً، وامتزجت بحياته اليومية صور متعددة من الآلام الضاغطة، يتحسسها الذين مالوا إلى عشرته فيجدوا فيها ملجأ فريداً في الأحزان، وكتاباً صاغته حياته في أبواب مستوفاة كل نواحي الألم...

وقد زادت قصته روعة، تلك الأيدي التي كتبته في سلاسل وقيود، وراجعته عيون أنهكتها الدموع ــ بقصد أن تقرأه تلك الجماعات المبعثرة في زوايا المدن التي أحدقت بها نيران التجارب من كل ناحية... حتى صار إنجيلنا بشكله وموضوعه، بذرة زُرعت في هوان، ورو يت بالدموع، ونمت في وسط لهيب نار الإضطهاد في أنحاء الأرض المتفرقة، تجمعها نفس الظروف الواحدة... ولكنها انتصرت وقامت واستقامت كباذرها. وأتت بثمار، نحن لون من ألوانها.

* * *

وإنه وإن كانت هناك أنواع أحزان كثيرة نعرفها، إلا أنه ليس فيها كلها ما يماثل أحزان الذي صُلب بالشوك.

ومع ذلك فكثير من أحزانه لازلنا نجهلها...

إنه وإن وُجد مجرَّبون كثيرون بتجارب مرة ــ ولكن ليس كمن جُرِّب في أهله

وأحبائه وتلاميذه ورؤسائه وحكامه، وفي مبادئه وتعاليمه وأقواله وآيات رحمته، وفي جسده وفي طريقة موته.

وإنه وإن كانت طبيعة الألم تزداد بمقدار نبل الإنسان وحساسيته ــ فهل يمكن أن يتصور أحد مقدار الآلام التي أصابت نفس المسيح، وعمقها...

لذلك فهو بلا شك رئيس الآلام ومكملها.

لذلك استطاع أيضاً أن يأتي بأولاد كثيرين إلى المجد، مكمّلاً خلاصهم بالآلام (عب ٢ : ١٠).

وسار قائد خلاصنا عبر وادي الآلام والدموع، «وإذ قد تألم مجرَّباً فهو قادر أن يعين المجرَّبين» (عب ٢ : ١٨)، و يسكب عليهم من أحشاء رحمته عطفاً وحنواً وغفراناً.

من أجل ذلك كم كان لائقاً لنا جداً، ونافعاً ومفيداً، أن يتألم المسيح أولاً، ثم يدخل إلى راحته...

* * *

ولكن القارىء يلاحظ وهو يتصفح قصة خلاصنا، أن الآلام تتجمع في سرعة غير عادية، خلال الصفحات الأخيرة، كختام سيمفونية حزينة، تتوارد فيها تعبيرات الحزن شديدة مسرعة، تنبىء السامع بقرب انتهاء المأساة، فيها يسكب الموسيقي كل مشاعره على أوتاره المتجاوبة معه، فتمتزج فيها السرعة والشدة والألم معاً...

هذه جثسيماني، بؤرة صغيرة تركزت فيها أكثر آلام عرفتها الأرض، وأقواها...

وعلى رمية حجر من أقرب أحبائه، ارتأى أن يحزن وأن يكتئب وحيداً... لا بمستوى أحزانه الكثيرة التي مرت عليه، ولكنه حزن حتى الموت.

يقول عنه القديس بولس الرسول إنه كان بصراخ ودموع (عب ٥ : ٧).

و يقول عنه القديس لوقا الإنجيلي إنه كان مصحوباً بجهاد جسدي عنيف،

استنزف قطرات العرق من جبينه كنقط الدم ــ مع أن الليل كان بارداً (لو٢٢: ٤٤).

ولكن، ما هذا الحزن الشديد...
أكان فزعاً من الآلام القادمة...؟
ولكن الآلام التي لم تُفزع الشهداء، كيف تفزعه؟!
والصليب الذي قبله بطرس منكساً بشجاعة... أيجزع هو منه...؟!

لم يكن قطعاً حزن الرهبة من الآلام، ولا جزعاً من الصليب مهما كانت عذاباته، فهو لم يخشَ الموت قط، لأنه جاء ليتممه، بل ولد له. نحن نخشى الموت، لأننا نجهله. أما هو، فكان يعلم كل شيء، و يعرف أين سيمضي، بل و يرى المجد الذي ينتظره.

كانت أحزاناً حقيقية ثقيلة، واكتئاباً شديداً، ومرارة مميتة ــ لم يكن مصدرها رهبة من الموت، أو جزعاً من ألم ــ فهو رئيس الإيمان ومكمله بالآلام (عب١٢: ٢)...

اسمع إذن لماذا حزن واكتأب:
لقد كان أبرع جمالاً من بني البشر (مز٤٥: ٢) ــ ولكن لما وضع عليه الرب إثم جميعنا[١]، صار منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل[٢]...
ولما حمل الخطية صار محتقراً أكثر من بني البشر[٣].

كان حلقه مملوءاً حلاوة[٤]، ولما تحمل أوجاعنا امتلأ صراخاً وتنهُّداً للقادر أن يخلِّصه[٥]. ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلولاً[٦]!!

هي الخطية أم الأحزان والأوجاع والمذلة...
هي الرذيلة والنجاسة والإثم، كئيبة مفسدة لكل من اقترب منها...
ولما حملها رئيس سلامنا أثقلته جداً فوق الطاقة حتى ستر الناس وجوههم عنه

(١) إش٥٣: ٦.　(٢) إش٥٢: ١٤.　(٣) إش٥٣: ٣.
(٤) نش٥: ١٦.　(٥) عب٥: ٧.　(٦) إش٥٣: ٤.

ونغضوا الرءوس[7].

وفي اختبار آلامه خذلوه واحتقروه ولم يعتد به أحد[8]، وقالوا «فليخلّص نفسه». مع أنه سُئل عما لم يفعله[9]، وضُرب عن ذنب شعبه[10]، وخلّص آخرين[11]، أما نفسه فلم يشأ أن يخلّصها، لأنه هو الذي وضعها[12].

فأوفى بأحزانه ديون الخطية، وأكمل باكتئابه وصراخه ودموعه وعرقه كل مطاليبها.

ولولا الخطية التي أحزنته لجاز الجلجثة مبتسماً!

ولولا عار البشرية الذي ضغطه لصار الصليب عنده ضحكاً.

ولكن لو لم يرتعب، ولو لم يحزن و يكتئب، ولو لم يصرخ بدموع ـ لكنا اندهشنا جداً: كيف يتحمل خطية الناس ولا تؤثر فيه وهو إبن الإنسان.

وكيف يتحمل أوجاع البشرية ولا يتوجع كبشر.

ولكن الذي لم يعرف خطية، صار خطية[13] واحتمل حزنها[14] بالحق.

والذي لم يعرف لعنة، صار لعنة[15] وجاز مرّها حتى الغاية.

الخاطىء يحزن عندما يشعر بخطيته، فكم يكون حزن الذي لم يخطىء حينما يحمل نيرها.

وإذا لُعن المستوجب اللعنة تتمرر نفسه جداً، و ينسحق بحزن مميت ـ فكم يكون انسحاق البار ومرارة نفسه حينما يُلعن.

هذا كان كأسه، طلب لو أمكن أن يرفع عنه[16] لأنه لا يستحقه، ولكن الذي تعلم الطاعة مما تألم به[17] كيف لا يشربه وقد أعطاه له أبوه...

---

(7) مز22: 7.
(8) إش53: 3.
(9) مز35: 11، يو18: 35.
(10) إش53: 7.
(11) مر15: 31.
(12) في2: 8.
(13) 2كو5: 21، إش53: 3، 10.
(14) إش53: 8.
(15) غل3: 13.
(16) مت26: 29.
(17) عب5: 8.

كانت ساعة الخطية وسلطان الظلمة[18] ـــ طلب أن تجوز عنه، ولكن من أجل هذه الساعة جاء[19]. فكيف لا يقبلها...

لقد انعكس ظل هذه الساعة على كل حياته السابقة، فكان يتطلع إليها و يئن، و بكى لما تذكرها على قبر لعازر[20].

لكنه ثبت وجهه نحوها[21]...

* * *

دخل الموت ليصرعه بحياته، ونزل القبر ليقوم و يتركه فارغاً ـــ شهادة أبدية.

وانحدر إلى الهاو ية ليصعد وفي موكب نصرته ربوات من شهود قيامته.

كان لابد أن يموت، ليبطل الموت بقيامته. وكان لابد أن يظل ميتاً ثلاثة أيام ليخلص الذين في الجحيم، و يصعد أعظم من منتصر.

كجبار حطّم أسوار الجحيم، وصعد وفي يديه المصاريع ومفاتيح الهاو ية والموت.

وفي عظمة نصرته نادى: «أنا ... الحي وكنت ميتاً، وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين» (رؤ١: ١٧، ١٨).

«إني أنا هو. جسُّوني وانظروا» (لو٢٤: ٣٩)...

كان لا يمكن أن يموت إن لم يكن قد أخذ جسد خطيتنا...

وكان لا يمكن أن يقوم إذا لم يكن قد غلب الخطية بالجسد...

من أجل ذلك تشارك مع الأولاد في اللحم والدم[22]، لكي بالموت الذي يذوقه يبيد من له سلطان الموت، أي إبليس، و يعتق بقيامته الذين بسبب الخوف كانوا كل حياتهم تحت عبودية الموت[23].

---

(١٨) لو٢٢: ٥٣. (١٩) يو١٢: ٢٧. (٢٠) يو١١: ٣٥.

(٢١) لو٩: ٢١. (٢٢) عب٢: ١٤. (٢٣) عب٢: ١٥.

وعلى الصليب جرد الرئاسات المظلمة وفضحهم جهاراً وظفر بهم[٢٤]. أسقط قاهر الأمم وهوى كما رآه سابقاً كالبرق المنحدر من السماء[٢٥]...

وما أرعبها معركة دارت رحاها وراء حجب العالم المنظور، تلك التي طُرح فيها رئيس هذا العالم خارجاً[٢٦]، فاقداً سلطانه الأول.

ودُفع للغالب الذي خرج غالباً ولكي يغلب[٢٧] كلّ سلطان مما في السماء وعلى الأرض[٢٨].

* * *

داس المعصرة وحده[٢٩]، واعتصر من دمه كأس خلاص للناس، وحياة أبدية لكل من يتناول منه.

هو الكرمة ومن عصيره لا زالت تقدم الكنيسة دمه جديداً مهراقاً كل يوم على مذابحها ــ علامة دهرية لعهده الجديد لغفران الخطايا، الدم الذي أهرقه بإرادته إيفاءً لكل خطية.

«والدم هو الحياة» (لا١٧ : ٢).

قدّمه على الصليب مرة واحدة، ولكنه لا يزال **كما هو ــ حي إلى أبد الآبدين يعمل في الأرض كلها... وكل من يؤمن بالصليب ويحمل آلامه وعاره يأخذ قوة الدم المسفوك عليه...**

دمه يتكلم و يغسل و يطهر و يصالح و يفدي و يشتري و يثبت ويحيي إلى أبد الآبدين...

* * *

---

(٢٤) كو٢: ١٥.　(٢٥) لو١٠: ١٨.　(٢٦) يو١٢: ٣١.

(٢٧) رؤ٦: ٢.　(٢٨) مت٢٨: ١٨.　(٢٩) إش٦٣: ٣.

أمجاد قيامة :

وإن قيل أن المسيح كان ينبغي أن يتألم ويموت، فكم تحتم الضرورة أن يقوم؟

لأنه تألم من جراء خطايا كثيرة ليست له، حملها لطاعته، وتحملها لمحبته، فإنه وإن كان قد صُلب ومات، فما ذلك إلا لتكميل عقاب آخرين. أما هو، فكيف يُمسَك في الموت وهو لم يخطىء قط...

فإن تألم وصلب ومات من أجل ثوب الخطية الذي لبسه، فلابد أن يقوم من أجل الحق والقداسة والبر التي هي أصل طبيعته الحية غير المائتة.

+ فبموت المسيح رفع الحجاب الذي كان يفصلنا عن الله أي الخطية مسمراً إياها على الصليب بجسده الذي وضع عليه إثم جميعنا.

ولما مات قتل العداوة أي الخطية بموت جسده الحامل لها. فانشق حجاب الهيكل الذي كان رمزاً للعداوة التي كانت تفصل قداسة الله عن نجاسة الإنسان.

وعوض الحجاب الفاصل صار لنا بجسد المسيح الطاهر **حجاب مصالحة — إذ جعل جسده طريقاً كرسه لنا حديثاً، حياً(٣٠)، للدخول بثقة إلى أقداس الله...**

وبقيامة المسيح، استُعلنت للإنسان القوة الجديدة التي أكملها المسيح، تلك القوة التي يغلب بها الإنسان طبيعته القديمة، و ينتصر بها على الموت وعلى سلطانه ليستطيع أن يحيا فيما لله.

+ قام المسيح بقدرة فائقة، بإمكانيات جديدة **يستطيع بها أن يهب ذاته لنا بأن يدخل فينا و يتحد بنا بسر عجيب**، على شبه دخوله العلّية التي كان التلاميذ مجتمعين فيها والأبواب مغلقة.

هذا يشرح لنا في غموض **إمكانية دخول المسيح هياكلنا البشرية والحواس**

---

(٣٠) عب ١٠: ١٩، ٢٠.

مغلقة... **لا نحس به في دخوله ولا نشعر به إلا وهو يقول: «سلام لكم»** (لو٢٤: ٣٦)...

وبدخول المسيح فينا واتحاده بنا بالإيمان والمعمودية وأخذ جسده ودمه الإلهي في سر الشركة، تصير حياة المسيح عاملة فينا، لأنه هو يكون حياً فينا. وبذلك نأخذ قوة وثمرة عمله الذي أكمله كله من جهة قداسته وطهارته وعدم غشه ونصرته على الخطية وتحمُّله الآلام وصلبه وموته وقيامته.

وبذلك تتجدد طبيعتنا إلى ما فوق مستوياتها ــ وهذه الإمكانيات جميعها ليست منا، **وإنما هبة عمل حياته المقامة فينا.** وهذا ما عبر عنه بولس الرسول بالإنسان الجديد. **وما الإنسان الجديد إلا يسوع المسيح فينا،** الذي ننسب ذواتنا إليه ونقول بسببه إننا مسيحيون.

وقبول المسيح فينا هو ما عبر عنه بالميلاد الجديد، أي يولد فينا إنسان آخر غير الترابي الآدمي «وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي» (١كو١٥: ٤٩).

والذي وُلد الميلاد الجديد وصار المسيح عاملاً فيه يستطيع أن يقول مع بولس الرسول: «مع المسيح تألمت. ومع المسيح صلبت. ومع المسيح قمت. بل ومع المسيح جلست في السماويات... لأننا صرنا من عظمه ولحمه وأحياء فيه ومعه».

هذه هي هبة القيامة الفائقة الوصف التي كان يحيا فيها بولس الرسول، وعلى محورها تدور جميع إلهاماته ومبادئه. وهذه هي الشركة العجيبة التي كان يحسها إحساساً قوياً في نفسه، فكان لا يرى أي شيء أو أية هبة أو نعمة أو قدرة ــ إلا في المسيح. فكان يؤمن في المسيح، ويتبارك في المسيح، وهو مختار في المسيح، ومفدي في المسيح، ويرجو في المسيح، ومخلوق في المسيح، وشريك في الميراث في المسيح، ويستطيع كل شيء في المسيح. وبالإختصار لم يكن يحيا هو بل المسيح كان يحيا فيه.

ذلك **لأن الإتحاد بالمسيح يجعل لنا كل ما للمسيح،** وهذا هو سر قوتنا الجديدة. وسر عمل الروح القدس فينا هو سر حقيقي نلناه بالقيامة العجيبة بقوة فائقة يعبر عنها

بولس الرسول بقوله: «جعل الإثنين واحداً» (أف ٢: ١٤).

إذ قد سبق وأكمل هذا السر في نفسه ــ باتحاد اللاهوت والناسوت ــ في شخصه.

ولما أكمل مطالب الغفران والفداء بذبيحة جسده، قام ليعطينا ثمرة هذا السر الرهيب، وهبته، بحلوله فينا، وإعطائه جسده ودمه الإلهي لنا، جاعلاً **كل من يأخذه بإيمان، واحداً فيه. وإذ هو لا يتجزأ صار المؤمنون واحداً بواسطته، كأعضاء كثيرة في جسد واحد.**

فكل من قبل قيامة الرب ينال سر الشركة فيه، و يصير عضواً في جسده الحي.

وكل من لا يقبل قيامته لا ينال شيئاً قط من أعمال المسيح، سواء من جهة آلامه أو موته ــ **إذ يكون حجاب العداوة لا زال قائماً لعدم قبول وسيط المصالحة،** والشفيع الذي صار بين الله والناس.

* * *

إذن كم يعوزنا أن نتذوق روح القيامة ونمجدها في ذواتنا، فاحصين بصلاة وطلبة كثيرة عن معرفة أسرار المسيح المقام،... متأيدين بالقوة بالروح في الإنسان الباطن ــ ليحل المسيح بالإيمان في قلوبنا ــ حتى لا نكون بعد تحت دينونة، بل سالكين حسب ناموس روح الحياة في المسيح يسوع.

أما في الدهر الآتى، فإننا وإن كنا لا نعلم ماذا سنكون... ولكن نحن واثقون أننا سنكون مثله.

لأننا متنا عن إنسان آدميتنا، وحياتنا مستترة مع المسيح في الله، ومتى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ سنُظهر نحن أيضاً معه في المجد.

سلام للصليب طريق القبر

سلام للقبر الفارغ موضوع القيامة

سلام للقيامة مفتاح الخلود!

(١٩٥٨)

الصليب ... !(*)

في هذا اليوم تعيِّد الكنيسة لتذكار ظهور خشبة الصليب التي صلب عليها رب المجد، وذلك على يدي الملكة البارة هيلانة أم الملك قسطنطين.

وقد لقبت الكنيسة الصليب بلقب «المحيي»، لأن صليب ربنا «قوة حقيقية للخلاص». فبولس الرسول يسلمنا هذا الإيمان الحي بقوله: «إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله» (١ كو١ : ١٨).

ولكن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية تجعل دائماً من الحدث الزمني فرصة لإضرام قلوبنا بالإيمان بالحقيقة الحية التي نعيشها.

في هذا اليوم اكتشفت هذه الملكة البارة خشبة الصليب مدفوناً تحت التراب، فأرادت الكنيسة أن تستحث بهذا الحدث الزمني إيماننا بالحقيقة الحية التي نعيشها. فنحن نعيش في صليب ربنا يسوع كل يوم ليس مدفوناً، بل مرفوعاً وظاهراً في القلوب والأفكار والأعمال. عيد الكنيسة للصليب المحيي لا يبتدىء من ظهور الخشبة التي كانت مدفونة تحت التراب، بل ابتدأ حقاً وإيماناً وحباً منذ أن رُفع عليه رب المجد!...

إذن، يلزم أن نرسِّخ في ذهن القارىء والسامع أن الكنيسة القبطية لا تعيش على حوادث زمنية، وإن كانت تذكرها بالحب والتسبيح، وتعيِّد لها بالفكر والقلب والتهليل، بل هي تعيش بالروح على حقيقة قائمة حية تملأ الأرض والسماء.

فصليب ربنا وإن كانت له أعياد زمنية ومكانية، فهو فوق كل شيء وقبل كل

(*) كلمة أُلقيت بمناسبة عيد الصليب المقدس ١٩ مارس ١٩٧٥ الموافق ١٠ برمهات ١٦٩١ بكنيسة القديس العظيم أنبا مقار بديره العامر ببرية شيهيت.

شيء حقيقة إلهية سماوية. لذلك نستطيع أن نقول في جرأة الإيمان أن الأعياد التاريخية في كنيستنا تستمد مجدها وبهاءها من واقع حياتنا وإيماننا أكثر من أنها تعطي لحياتنا شيئاً من الواقع أو شيئاً من الإيمان.

فنحن اليوم وفي تذكار اكتشاف الصليب المدفون نترنم بلحن الصليب المحيي، نضفي على هذا اليوم من بهجة إيماننا وحرارة حبنا وواقع صليبنا الذي نعيشه كثيراً من الصدق، فنجعل الذكرى واقعاً حياً ماثلاً أمام أعيننا.

فصليب ربنا في مضمونه الكلي يلزم أن لا يكون في بالنا حقيقة من حقائق الماضي بأي حال من الأحوال، لا لشيء إلا لأن تأثيره الفعال ممتد بالحقيقة في الحاضر والمستقبل، طالما يوجد إنسان يعيش على الأرض. لأن الصليب مرتبط أساساً بالمصلوب، والمصلوب حي في السماء يحمل سمات صليبه و يسكبها علينا كل يوم بل كل لحظة غفراناً وتطهيراً، بل قداسة و براً وفداءً. فنحن نختبر بأنفسنا بل ونمارس بأجسادنا وأرواحنا صليب ربنا كل يوم.

وحينما نقول الصليب «المحيي» فإنما نقول ذلك وعيننا على «الدم» الإلهي الذي انفجر لنا من على خشبة الصليب نهر حياة!!

لا يمكن ياأحبائي أن نذكر الصليب ذكراً حسناً أو ننشد نشيده بالروح والحق إلا والإحساس بالدم يملأ أعماق كياننا الإنساني، فالدم هو الصلة الحية المحيية بين الصليب وقلوبنا، بين المصلوب و بين ضمائرنا، بين المسيح في السماء والكنيسة على الأرض!

وحينما نقول «دم المسيح» لا نقصد أن ننحصر في صورة الدم بواقعيته المادية المحسوسة و بخواصه وكميته الطبيعية المعروفة لدى الإنسان الطبيعي وحسب، هذا الذي سُفك قديماً على خشبة الصليب، ولكن نرتفع سريعاً لنحتضن بأرواحنا المسيح المذبوح وحوله ألوف وربوات ربوات القديسين والشهداء تربطهم شركة «الدم الإلهي» في واقعيته الإلهية الفائقة غير المحدودة. أما نحن الذين نشرب كل يوم من

كأس البركة التي نباركها فندخل هذه الشركة عينها، شركة دم المسيح، وكأنما دم المسيح يملأ السماء والأرض ويجمع كل ما في السماء وما على الأرض في واحد!

وما يُقال على الدم يُقال على الصليب بدون تحفظ، فصليب ربنا ليس بعد خشبة يمكن أن تُدفن ويمكن أن يُكشف عنها، بل هو نفس «شركة الدم» إنما في مفهوم شركة أخرى أكثر تجذراً وأصالة: أي «شركة آلام»!! وهي نفسها «شركة مجد» بآن واحد!!

ولكن لا ينبغي أن يغيب عن بالنا قط أن شركة الدم أو شركة الألم أو شركة المجد، هذه الأنواع المتعددة التي للشركة الواحدة ـ أي شركة الصليب ـ إنما تأخذ قوتها من المسيح «الحي» أي من القيامة. فالصليب قوة حياة أو قوة محيية، لأن المسيح الذي صُلب هو الآن حي! فبدون المسيح الحي يصبح الصليب عثرة وجهالة. ولكن إيماننا بالمسيح الحي القائم من بين الأموات أو بالحري شركتنا الآن في المسيح الحي تجعل لنا من الصليب قوة وحياة. فقيامة المسيح المصلوب جعلت خشبة العار سبب مجد وافتخار.

وإن كان التحول الذي تم على الصليب من عار إلى افتخار يظهر أمامنا هائلاً وغير معقول، فإنما ذلك من أجلنا نحن، وقد استدعى عملاً من الله الآب فائقاً أيضاً وهائلاً أكثر مما يتصوره العقل، يقول عنه بولس الرسول: «لتعلموا... ما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين بعمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات» (أف ١: ١٩). فهذه القدرة المتعاظمة والفائقة عن حدود العقل والتصور التي أجراها الله الآب في المسيح من أجلنا، هذه العظمة وهذه القدرة الفائقة وهذه الشدة المتناهية التي استخدمها الآب ليحول لنا عار الصليب إلى افتخار في المجد الأسنى بقيامة المسيح، هذا كله و بكامله مذخر في الصليب!!

فبقدر ما احتوى الصليب كل العار البشري، كذلك وبمقدار أعظم احتوى شدة قوة الله للمجد الأبدي!!

ونستطيع أيضاً في جرأة الإيمان أن نقول أنه ليس من بين أعمال الله كلها عمل بلغ في قوته، بل في شموله، بل في مجده، بل في سلطانه، بل في غايته، مثلما بلغ الصليب! لأنه رفع الخليقة كلها من دائرة العصيان إلى الصفح الكلي والمصالحة، من الرفض إلى القبول والإختيار، من العبودية إلى البنوة والميراث مع المسيح في الله!!

نعم ياأحبائي، هذا هو الصليب الذي من أجله نُعيَّرونُهان، وكأننا به نهين الله مع أنه مذخر فيه كل مجد الله بل وكل مجد الإنسان. فمن أدرك سر المسيح المصلوب وآمن بالإله المهان، انكشف له السر وانقلب تجديفه إلى دموع وهتاف وعثرته إلى إيمان وشهادة، وتجلى له الصليب كمصدر وحيد للحق والخلاص...

آلاف من المعجزات عملها الله في القديم وعملها المسيح في الإنجيل وكلها معجزات للإنسان، أما الصليب فهو معجزة الله!... «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرَّته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك» (أف ١ : ٩).

بل أعمال حكيمة هذا عددها عمل الله قديماً وجديداً للإنسان ليعرفها فيعرف الله، ولكن ليس من بينها جميعاً عمل كالصليب، كما يقول بولس الرسول: «نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة، وأما للمدعوين... فبالمسيح قوة الله وحكمة الله» (١ كو١ : ٢٣، ٢٤)، عملاً جمع فيه الله حكمته لا كمعرفة بل كفعل أجراه في نفسه مرة واحدة، فتجلت حكمة الله إلى أقصى ما يمكن أن يقبله الإنسان، لا كمعرفة، بل حياة، بل حب، بل تأله وشركة في روح الله!!

والصليب في حياة المسيح ليس حادثة عرضية بل غاية، جاء وتجسد من أجلها، ونهجاً شمل حياته كلها جاعلاً من الصليب كأسه المفضل وطاعته العظمى للآب، وبرهان حبه الأبدي للإنسان كل الإنسان، نقض به ناموس الخطيئة وبرَّر به الخطاة، وظفر به على قوات الظلمة، وقتل به العداوة، وجمع تحت لوائه شمل الإنسان، كل البعيدين والقريبين، كرعية مع القديسين وأهل بيت الله.

لقد حول المسيح صورة الصليب الذي عرفناه يوم الجمعة صليب الخشب الثقيل الذي لم يقوَ هو على حمله فسقط تحت ثقله، الصليب الذي بَدَا أمام أحبائه كريهاً مشئوماً، والذي تراءى لأعدائه ذلاً وشماتة، وكان بالنسبة للناموس لعنة وعاراً، هذا صار لنا من أجل يسوع وفي يسوع شركة سعادة أبدية ومصدر راحة وسرور وافتخار، وكلما ازدادت الآلام من أجل شهادة يسوع ازدادت رؤ ية الصليب نوراً وازدادت الحياة قوة وعزاءً، وارتفع الصليب من التار يخ لينغرس في عمق أعماق الضمير.

السلام لصليب المسيح!!



لمـــاذا الصليب؟
وكيف نتصالح معه؟

اليـوم يـاأحبائي تُعيِّد الكنيسة لعيد ظهور الصليب. صحيح أنه خشبة لا تز يد عن كونهـا شـجـرة، ولكن الكنيسة لا تتمالك نفسها إزاء سر هذه الخشبة فوصفتها عن حق و يقين أنهـا الخشبـة المحيية!! و بوقار شديد بل وهتاف القلب بالإيمان تنشد: السلام لصليب ربنا يسوع المسيح، السلام للخشبة المحيية!!

ولكن ما سر هذا التمجيد الأرثوذكسي للخشبة؟

+ صـحـيـح أنهـا الخـشبـة التي مـات عـليهـا الرب موته المحيي ثم قام، فانعكست بـالضرورة كل أمجاد القيامة وأفراحها وبهائها على موت الرب، و بالتالي على القبر وعلى الصليب!!

إذن فـتـكـريم الـصـليب نابع من كرامة القيامة، لأن الموت الذي باشره الرب على الخشبة أثمر قيامة و بالتالي مجداً. فيكون الصليب باختصار هو سبب المجد!!

وفي هـذا يـصـف الـقـديـس يـوحـنا ــ في إنجيله ــ الصليب بالمجد قائلاً في موضوع انسـكـاب الـروح: «لأن يـسـوع لم يكن قد **مُجِّد بعد**» (يو٧: ٣٩) مشيراً بذلك إلى الـصـلـيـب!! والمسيح نفسه سمَّى الصليب ارتفاعاً: «**وأنا إن ارتفعت أجذب إليَّ الجميع**. قال هذا **مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت!!**» (يو١٢: ٣٢، ٣٣).

إذن فـحـقَّ لـنـا هـنـا أن نهـتـف بملء أفواهنا: السلام للصليب مصدر كل ارتفاع

(*) كـلـمـة أُلـقـيـت على الرهبان يوم عيد ظهور الصليب المقدس ٢٨ سبتمبر ١٩٧٦ بدير القديس أنبا مقار بشيهيت.

ومجد!! فإن كان الصَليب هو أقصى صورة للإتضاع والمذلة، فهو قد صار أعظم واسطة للإرتفاع والمجد.

ولعل قول الرب: «من يضع نفسه يرتفع» (مت٢٣: ١١) يشير إلى أن الإتضاع هو في الحقيقة حالة صليب و بالتالي فهو ارتفاع مؤكد.

+ ولكن هناك أيضاً عمقاً آخر تستمد منه الكنيسة تمجيدها الشديد وتوقيرها المتفاني لخشبة الصليب. وهنا يلزمنا أن نفرق بين الموت الذي ماته الرب و بين الصليب بحد ذاته. لأن كون الرب يموت بأية طريقة مهما بلغت أقصى التعذيب شيء، وأن يموت الرب بواسطة الصليب فهذا شيء آخر!!

فالرب لم يأتِ ليموت فقط، بل جاء «ليُصلب»، حيث الموت على الصليب بالذات كان عملاً أساسياً معلوماً مسبقاً منذ الدهور، كشف عنه الأنبياء: «ثقبوا يدي ورجلي» (مز٢٢: ١٦)، «فينظرون إليَّ الذي طعنوه و ينوحون عليه كنائح على وحيد له» (زكريا ١٢: ١٠)؛ بل إن المسيح نفسه سبق وأعلن عن سر الصليب الذي سيجوزه هكذا: «وإبن الإنسان يسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت و يسلِّمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه و **يصلبوه** وفي اليوم الثالث يقوم» (مت٢٠: ١٨، ١٩).

إذن فالله صمَّم ونفَّذ أن يكون موت إبنه صليبياً.
أي أن «**الصليب**» كأداة للموت كان كائناً في ترتيب الله منذ الأزل. وهذا يُضفي على «**الصليب**» رهبة وقوة وأصالة إلهية فائقة.

ولكن لماذا تحدد أن يكون الصليب خشبة؟
هنا نصير في مواجهة أمام أعمق مفهوم لاهوتي للصليب!!

فالرب قصد أن يتحمل لا «**الموت**» فقط بل «**الموت في حالة لعنة**» تكميلاً للقصاص المنصوص عليه في الناموس لكل من يتعدى ناموس الله!! والذي جاء فيه

ذكر الموت تعليقاً، أي صلباً، **على خشبة**.

نقرأ في سفر التثنية ٢١: ٢٢و٢٣:

«وإذا كان **على** إنسان **خطية حقها الموت** فقتل وعلّقته **، على خشبة**،، فلا تَبِتْ جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، **لأن المعلَّق ملعون من الله!**».

ومن هذا نرى أن المسيح قصد أن يتحمل لا الموت فقط ثمناً للتعدي البسيط، بل الموت واللعنة، أي الغضب الكلي والحرمان من الله، وذلك نيابة عن الإنسان، كل إنسان، كمتعدٍّ عمداً على ناموس الله!!

وفي هذا يقول القديس بولس الرسول: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا» (عندما عُلِّق على الخشبة) **لأنه مكتوب ملعون كل من عُلِّق على خشبة»** (غل٣: ١٣). ولقد ذاق المسيح المر (مت٢٧: ٣٤) على الصليب تعبيراً عميقاً عن مرارة اللعنة.

وهنا يلزمنا أن نفرق بين الموت، و بين الموت في حالة لعن.

فالموت كان قصاص خطيئة، ولكن الموت واللعن هو قصاص تعدٍّ متعمَّد لناموس الله: «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون **كل من لا يثبت** في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به» (غل٣: ١٠). هنا كلمة: «كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب» تفيد التحرر الإرادي من الوصايا والتعدي المتعمَّد على ناموس الله.

لذلك فسر موت المسيح الإرادي **معلقاً على خشبة** هو لتكميل قصاص كل تعدٍّ إرادي أو متعمَّد على ناموس الله بأية صورة و بأية كمية وفي أي زمان ومكان ولأي إنسان!!

كذلك فهنا **«التعليق»** كفعل موت، وعلى **«الخشبة»** بالذات، يدخل في صميم الفعل الكفاري لرفع اللعنة عن كل إنسان بالمسيح و يتمسك بالصليب.

هـذا الأمـر أدركـه بطرس الرسول بوضوح عند قوله: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده **على الخشبة** لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١بط ٢: ٢٤).

وبهـذا المفـهوم الواضح يكشف بطرس الرسول بمنتهى الإختصار والكثافة اللاهوتية عـن سر غـفران خطايانا على **خشبة الصليب**. فقبول المسيح اللعنة بارتفاعه على خشبة الصـليب كان بمثابة حمل جميع خطايا البشرية في جسده وجميع اللعنة المستحقة بسبب التعديات على ناموس الله.

وبـذلـك، «**بخشبة الصليب**» نكون قد متنا بالفعل ووفَّينا في جسد المسيح كل لعـنـة التـعـدي على نـاموس الله، ونكون قد قبلنا «**الحياة**» المبرَّرة. ولهذا يحق لنا أن نحمل **خشبة الصليب** ونصرخ بإيمان راسخ:

[السلام للخشبة «**المحيية**»] !!

[السلام للصليب] !!

إذن، خـشبة الصليب التي كانت عاراً ولعنة، صارت هي نفسها افتخارنا، وليس افـتـخـارنـا نحـن فـقـط بـل افتخار المسيح!! لأن المسيح لما قبل اللعنة **عنا** محاها **لنا** إلى الأبـد. إذن فـصليـب المسيح في حقيقته هو صليبنا وخشبة اللعنة هي خشبتنا، عليها نموت كل يوم عندما نجوز توبتنا عن خطايانا، ونتبرر عندما نستقبل دم المسيح.

انتبهوا ياأحبائي إلى المسيح المصلوب على الخشبة.

انـتبهـوا جـداً لأنه في الحقيقة هو أنا وأنت وكل من تعدَّى على ناموس الله. فاللعنة أصـلاً لـعـنـتـنـا والموت في الحـقـيـقة هو قصاصنا. ولكنه جاز هذا كله عنا لأنه أحبنا ومـات... مات من أجلنا، ثم سلمنا الصليب «**خشبة اللعنة**» كقوة نموت بها معه كل يوم عن خطايانا. **وإذ نشرب دمه** نتبرَّأ من اللعنة، فنحيا!!

كـذلـك فـالخطـيـة لم تـعـد إزاء خـشبة الصليب قادرة بعد على أن تحدر إلى الجحيم كـالأول، فقد دانها المسيح في جسده على الخشبة، وأبطل سلطانها بموته، كما قال بولس الـرسـول: «دان الخـطـيئة في الجسد» (رو ٨: ٣). ولكن ليس جسدنا نحن بل جسده

هو، لذلك **نأكل جسده** فننجو من الدينونة.

السلام للصليب الذي عليه دفع المسيح ثمن كل خطايانا...
السلام للخشبة المحيية التي بها زالت اللعنة وقبلنا الحياة الأبدية.

المصالحة مع الصليب:

إذن، جيد لنا جداً أن نمجد الصليب وإشارة الصليب، فهو محور كل طقس و بداية ونهاية كل تقديس، سر القوة المندفقة في كل سر، والنعمة الحالّة على كل نفس...

ولكن الأرثوذكسي لا يُعوزه عظة عن تمجيد الصليب، فهو يعيش هذا التمجيد منذ أن يدخل جرن المعمودية حتى تستودعه الكنيسة إلى مقره الأخير. فإشارة الصليب ترافقنا من المهد إلى اللحد، وفي كل قداس ينضح النور على وجهنا من كثرة رشم الصليب.

الذي يعوزنا حقاً بالنسبة للصليب هو أن نتصالح معه، فبالرغم من فرحنا الشديد به إذا قُدِّم لنا كهدية على هيئة ذهب أو فضة أو خشب منقوش أو سن فيل جميل، إلا أنه لا يوجد إلا القليل جداً من يحتمل الصليب أو يرضى إذا قُدِّم إليه كصليب حقيقي من الآلام!! كما رضي به المسيح واحتمله بسرور!!...

لا يمكن أن نتصالح مع الصليب إلا إذا كان لنا **«فكر المسيح»**: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٥ــ٨). «وضع نفسه»... «وأطاع حتى الموت موت الصليب»...

فإن كان لنا فكر المسيح هكذا نكون فعلاً في مصالحة مع الصليب: **«وضع نفسه فأطاع حتى الصليب»**.

حينما نحاول أن نعيش حسب وصايا المسيح ، قبل أن يكون لنا **«فكر المسيح»** (١ كو٢: ١٦) من جهة المصالحة مع الصليب وطاعة المسير في الدرب المؤدي إليه ، نخفق بشدة، و يتزيّف لنا التعليم المسيحي كله ، فنصير معلمين كذبة ومتعلمين لأكاذيب.

لأن معرفة الإنجيل ووصايا يسوع لإنسان ليس له **«فكر المسيح» من جهة الصليب،** تصبح كلها معرفة للإفتخار والمجد والدينونة.

أما الذي له **«فكر المسيح»**، **وقد وضع ذاته** فعلاً وأطاع مصمماً على المسير في درب الصليب حتى إلى الموت ، فلمثل هذا تصير معرفة الإنجيل لا لدينونة آخرين ، ولا لتمجيد الذات أو الإفتخار بالمعرفة ، ولكن لقيادة الآخرين إلى «فكر المسيح» عينه وللمصالحة مع الصليب.



الصليب في حياتنا (*)

«فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله»
(١ كو١: ١٨)

نحن نعيِّد لعيد الصليب المقدس، وجميل أن نعيِّد للصليب ونحن صائمون، لأن الصوم يعطينا الإحساس والإنطباع الذي يتمشى مع معنى الصليب.

واليوم نتأمل معاً في الصليب، كحقيقة لا نعيِّد لها لذاتها بل نعيشها لأنفسنا، فأن نعيِّد لظهور خشبة الصليب شيء وأن نعيش الصليب نفسه شيء آخر، والكنيسة تجعل دائماً من حوادث الكتاب المقدس معايير خاصة للحياة التي نحياها، لأن حياة المسيح هى التي تكوِّن الكنيسة.

والصليب هو أقوى حدث في حياة المسيح بالرغم من أنه أضعف موقف من مواقف الرب على الأرض ــ فهو الذي يقول عنه الرسول بولس «صُلب من ضعف» (٢كو١٣: ٤) ــ تلك هى لحظة الإخلاء العظمى التي بلغ فيها المسيح أقصى حدود الهوان عندما عُلِّق على خشبة الصليب. لأنه معروف أن كل من يُعلَّق على خشبة هو ملعون بحسب الناموس القديم (تث٢١: ٢٣). لذلك فالقديس بولس الرسول يقول إن المسيح ــ بسبب الصليب ــ صار لعنة لأجلنا وخطية لكي نتبرر به (غل٣: ٣).

لذلك إذا تأملنا الصليب اليوم، فنحن نتأمله **كقوة محوِّلة، حوَّلت الموت إلى حياة «بالموت داس الموت» ــ حوّلت اللعنة** الزمانية إلى بركة أبدية، حوَّلت **الخطية إلى بر، حوَّلت العداوة إلى محبة، والظلام إلى نور** أشرق في قلوب الجالسين في الظلمة وظلال الموت إشراقاً لا ينطفىء! فكل نور يُرى بالعين أيها الأحباء يمكن أن ينطفىء،

(*) عن كلمة أُلقيت في عيد الصليب المقدس ١٩ مارس ١٩٧٧.

أما نور الله إذا أشرق في القلوب فلا توجد قوة في العالم يمكن أن تطفئه: «الذي قال أن يشرق نورٌ من ظلمةٍ هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤: ٦).

نرى بوضوح إذن أن الصليب قوة جديدة دخلت العالم وأقوى من كل ما في العالم. حوّلت السلبيات التى كان يرزح تحتها الإنسان إلى إيجابيات ينعم بها.
فإن كان الصليب من الخارج هواناً ولعنة، فهو في الداخل مجد و بركة. وهذا في الواقع يعبّر عن مضمون حياتنا التى نحياها في المسيح والتي يطالبنا بها الإنجيل كل يوم: «من لا يحمل صليبه و يأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو١٤: ٢٧).

الصليب هنا ــ بالمفهوم الإنجيلي ــ المطلوب منا أن نحمله كل يوم على أكتافنا كثير ثقيل، هو في حقيقته قوة حاملة للإنسان وليس ثقلاً عليه، يحوّل الموت الذي تملّك الجسد بسبب الخطية إلى قيامة وحياة أبدية بسبب دم الغفران المنسكب عليه. الصليب نُواجه به ظلمة هذا العالم التي تسيطر على قلوبنا بسبب الخطيئة التي تقتحم حياتنا كل ساعة، لأنه معروف أن بقوة الصليب تموت النفس عن شهواتها، فيتحول الحزن والكآبة والندم إلى برٍّ وابتهاج مع فرح أبدي.

و بقدر ما يكون الصليب محنة حقيقية للنفس تجوز فيها غُصَّة الموت، بقدر ما يتجلّى الصليب عن سلام يفوق العقل.

وهكذا يا أحبائي حينما نعيِّد للصليب فنحن لا نُقيم ذكرى حادثة مبهجة، بل هى أخطر خبرة مؤلمة في حياة المسيح وكل إنسان يتبع المسيح. نحن ننظر إلى الصليب اليوم معاً كممارسة وحياة، ونقول إن كل من لم يعِشْ صليب ربنا يسوع المسيح، فهو لم ينتقل أو يتحرك داخلياً ليذوق معنى العبور من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح، الصليب آلة الفصح والقوة الخفية التي تحمل الإنسان من الموت إلى الحياة.

الصليب حركة داخلية وقوة محوِّلة ، والذي لم يدخل اختبار الصليب لا يمكن أن يفهم قول القديس بطرس الرسول «لأُخبر بفضل الذي دعانى من الظلمة إلى نوره

العجيب» (١بط ٢: ٩). وهو لا يعرف كيف يحوّل عداوة الناس المقدّمة له مجاناً إلى محبة، والحزن الذي يضغط به العالم على قلبه إلى فرح.

أما من ارتضى أن يدخل في اختبار صليب المسيح، كنير يعيشه كل يوم بكل خسائره، عن مسرة، هذا يعرف كيف تتحول الظلمة إلى نور، والحزن إلى فرح، والعداوة إلى حب، والضيق إلى مسرة وسلام.

ما وجدت يا أحبائي في حياتي فرحاً بالعمق والثبوت والإمتداد كالفرح الذي ينشأ من اجتياز محنة الصليب، حينما يُوضَع على كتفي بيد المسيح الحانية بصورة ظلم فادح أو اضطهاد أو ضيق أو افتراء أو مهانة في أي شيء و بيد أي من كان، صديق أو عدو، أو زميل أو رئيس أو من الشيطان نفسه... لا يوجد في العالم كله ما يعادل فرح الصليب!! «ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا بإسم يسوع ثم أطلقوهم، وأما هم **فذهبوا فرحين** من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن **يهانوا من أجل إسمه**» (أع ٥: ٤٠، ٤١).

أنواع كثيرة من الفرح ذقتها في حياتي... إن فرح التأمل شيء شهي جداً، فرح الرهبنة، فرح الإنجيل، فرح التناول، فرح الرؤيا العقلية، فرح الحب الإلهي حينما ينسكب في قلب الإنسان من الله بالروح بلا سبب، شيء لا يمكن وصفه أن ينخطف الإنسان و يعيش لحظات في اللاوعي، فرح حب الإخوة كقول القديس بطرس الرسول «الحب العديم الغش من قلب طاهر بشدة» (١بط ١: ٢٢)، هذه كلها أفراح لا يمكن التعبير عنها حيث ينخطف القلب والعقل معاً، ولكن فرح الصليب شيء آخر لا يُقاس بها جميعاً، لأنه الفرح الذي يستطيع أن يرفع الإنسان ليرتفع فوق نفسه. أنواع الفرح التي سردتها الآن جامدة غير متحركة تأتي وتذهب، أما الفرح المتولد من عبور الألم الذي يكون على مستوى الصليب فهو يكون فرحاً متحركاً يغيِّر ويجدِّد القلب والفكر والنفس. إذ حينما تنقشع المحنة بكل خسائرها يلتفت الإنسان فإذا به قد عبر مرحلة ما قبل الصليب ليدخل مرحلة ما بعد الصليب، والفارق بينهما كالفارق بين الموت والقيامة: ينسلخ الإنسان من الأشياء المحسوسة لتتجلى أمامه وفي أعماقه الأشياء

غير المحسوسة، و ينتقل وهو في ملء الوعي لينفك من أمور الدهر الفاني.

هذا هو عجب الصليب، فالصليب هو معجزة الإنسان المسيحي التي يحياها كل يوم، هو سر المسيح. وكل من لم يدخل بعد في خبرة الصليب فهو لم يذُقْ بعد حلاوة المسيح ولا استمتع بعمق المسيحية.

وإذا انتبهنا نجد أن الصليب هو القالب الذي ينصبُّ فيه الإنجيل كله. فحينما يقول المسيح «أحبوا أعداءكم» (مت٥: ٤٤)، يقولها على أساس أنك تحمل صليبه وتتقبل في نفسك موت الصليب بالإرادة، فإمكانية أن تفتح يديك للصالبين ليطعنوا كرامتك، أو إسمك، و يسلخوا كل إمكانياتك، وقدراتك، وكل ما لك، هي كلها وصايا يسوع القائمة على أساس حمل الصليب بمهارة كل يوم للمسير وراء المسيح.

الصليب بحسب الواقع النظري جمود وخسران وعدم؛ أما بحسب الواقع الروحي فهو تحرك داخلي إلى أعلى، وانتقال من حال إلى حال أسمى، وتغيير جوهري من مستوى جسدي إلى مستوى روحي، واستبدال طبائع من مستوى بشري إلى مستوى إلهي، و بشارة عجيبة ومفرحة من موت إلى قيامة!!

لذلك نستطيع أن نقول إن الصليب كان الواسطة الأولى التي استُعلن المسيح بها أنه إبن الله، لأنه لم يكن ممكناً بدون الصليب أن تتم القيامة من الأموات بكل أمجادها، ثم أعطانا في صميم طبيعتنا هذا السر العجيب أن نصير مثله (١يو٣: ٢) ـــ وأيضاً بواسطة الصليب ـــ لننال قيامة تعطينا استعلان بنو يتنا لله!!

صليب ←ـــ قيامة، هذا هو القانون الذي وضعه إبن الله في نفسه وفي جسده بموته على الصليب وقيامته، لذلك أصبح من غير الممكن أبداً أن يدخل الإنسان في خبرة الصليب مع المسيح بإيمان كامل إلا ويحوز على قيامة داخلية وتغيير وحياة.

الحكم بالصلب ـــ كما قلنا سابقاً ـــ هو أكثر أنواع الموت لعنةً وعاراً. هذا هو مظهره، ولكن المسيح استطاع أن يحوِّل هذا الحكم المهين والمزري إلى أعلى وأسمى

حقيقة يمكن أن تُستعلن على الأرض لمنطق أو لعقل بشري، وهي القيامة بمجد إلهي!... هذا هو جوهر رسالة المسيح بالنسبة للإنسان.

فصليب العار جعله المسيح، لَمّا قبله على نفسه، قوة محوِّلة قادرة أن تحوِّل ذل الإنسان وعاره وضعفه إلى شركة في أمجاد قيامة المسيح مع هبة التبني لله.

هذا هو الصليب الذي لا يزال يُنظَر إليه عند كثيرٍ من الناس أنه جهالة، ولكنه وإن كان جهالة فإن «جهالة الله أحكم من الناس» (١كو١: ٢٥). هذه هي جهالة الصليب التي استُعلن بها المسيح حكمة الله وقوة الله (١كو١: ٢٤)، أي خطة الخلاص العظمى التي فدى بها الإنسان وأقامه من الموت لحياة أبدية.

والصليب يظل محصوراً في فكر الإنسان كحقيقة لاهوتية أو مبدأ عقيدي، إلى أن يرتفع إلى المستوى العملي للصليب في حياتنا وذلك حينما نقبل حكم الموت في أنفسنا اضطهاداً أو ظلماً واعتسافاً بيد الطغاة أو نسلِّم أنفسنا بإرادة حسنة للموت الإختياري، كما يقول القديسون، أي ندخل في أعماق الإماتة لنموت عن أنفسنا وشهواتنا. حينئذ تبدأ حقيقة الصليب تتجلى في حياتنا كخبرة مضيئة وقوة رافعة.

فالإنسان الذي يرفض أن يموت بإرادته عن العالم، ويجزع من أن يَصْلِب أهواءه وشهواته وأعضاءه ــ من أجل المسيح ــ هذا الإنسان يظل غريباً عن حقيقة الصليب. ربما يكون دارساً مدققاً لمعاني الصليب اللاهوتية متقِناً لمفهوم العقيدة نظرياً وفلسفياً، ولكن الصليب كحركة داخلية وقوة ترفع الإنسان من مستوى عجز الإنسان إلى مستوى تقديس الله، هذا يبقى شيئاً مخفياً عن عين الإنسان وعقله.

لهذا فالصليب لا يمكن أن تُكتشف قوته الإلهية إلا عند قبول الموت أو الإماتة. وهكذا يظل الصليب جهالة ورعبة وموتاً جاهلاً لا يستطيع الإنسان أن يقترب منه، إلى اللحظة التي فيها يكشف الروح للإنسان عن سر مجد الشركة في صليب ربنا يسوع المسيح، حينئذ تدفع النعمة الإنسان في طريق الصليب ليذوق ــ في شجاعة ــ معنى الموت المحيي مع المسيح. وحينئذ يتجلى الصليب كحكمة الله وقوة الله للخلاص.

لذلك فالصليب لا يُحسب أنه صليب طالما نحن نعيش في اكتفاء وراحة مهما بذلنا وسط المحبين، لأنه إن كنا نحب ونبذل من أجل الذي يحبنا فهذا ليس هو حمل الصليب، كقول الإنجيل «فأي أجر لكم» (مت ٥ : ٤٦)، إنما هذا يُحسب محاولة للدخول في حياة إنجيلية وحسب، ولكن عندما ننجح في تقديم البذل مع الرافضين وغير الشاكرين بل والناكرين لعمل البذل والمحبة، ومع الذين يردون على الخير بالشر؛ فهذا هو الصليب حقاً. لأنه معروف أن أصدق علامة لحمل الصليب هي أن يكون البذل والإماتة والخسارة عن رضى وحب وسرور، بمعنى أن أفقد بالفعل ذاتي وأنكرها، ذاتي التي تطلب الشكر والمديح ورد الجميل. هنا تبدأ فعلاً صورة الصليب، حيث لا يكون عائد كرامة أو شكر أو ربح من أي نوع، بل على النقيض نكران وهجران وعداء واعتداء.

يلاحظ هنا أن مواصفات الصليب مأخوذة من مشهد الجلجثة ومحاكمة المسيح بعد حياة كلها بذل وحب. فالمسيح لما ابتدأ على أساس المحبة والبذل يعمل و يعلِّم، احتج رؤساء اليهود وتعالت أصوات رؤساء الكهنة بالإستنكار لعمله وتعليمه، والبذل والمحبة رُفضا، لكن المسيح استمر في عمله وتعليمه ينزل إلى الأسواق يشفي الأعمى والأعرج والكسيح والأبرص وكل مرض وعلة في الشعب، و يؤدي واجبات جليلة لخراف بيت إسرائيل الضالة التي جاء ليصنع لها خيراً... واستمروا هم أيضاً في رفضهم بشدة وصادروه وقاوموه في كل مكان!! و بالرغم من ذلك، ظلّ يصنع خيراً عن فرح ورضى داخلي حتى إلى الصليب.

وهكذا يكون المسيح قد أعطانا المواصفات الإيجابية للصليب وما هو قبل الصليب، أي نعمل عن مسرة حتى ولو كان عملنا مكروهاً و بذلنا مرفوضاً.

أما الخطوة الحتمية التي تلي ذلك، فهي أن المسيح بدأ يفقد كل المواقف، و يُهاجَم بشدة ــ خاصة في الأيام الأخيرة ــ و يُحاصر من جميع فئات رجال الدين، وتُلفَّق له التهم وشهادات الزور عن حقد مريع، وهكذا بدأت تتشكل الصورة الدموية للصليب.

أما السر الأخير للصليب فهو الموت على الصليب. لذلك فالمسيح لما أكمل الموت على الصليب أعطانا سرّ الصليب وقوة موته كاملة، بل وكل ما هو قبل الصليب من صبر واحتمال على الموت، أعطاه لنا كخبرة حية ممكن أن نمارسها كل يوم. وهذا يعتبر من أهم معجزات ومواهب الحياة المسيحية. فبالإيمان بالمسيح نأخذ أشياءً لم نعملها، كأن نصير شركاء الصليب ووارثين لبركاته دون أن نُصلب فعلاً، وهكذا نأخذ حقوقاً لا نستحقها، ونأخذ مواهب لا ندفع ثمنها.

وقوة الصليب هي من أهم هذه الحقوق والمواهب: «**مع المسيح صُلبت**» (غل ٢: ٢٠)، أي أن المسيح حينما صُلب عن العالم أعطانا أن نحصل على هذه الموهبة عينها بالإيمان، فصارت في متناول حياتنا. ليس فقط أن نبذل من أجل أحبائنا أو نفقد إزاء مضطهدينا وأعدائنا، بل أن نموت أيضاً بإرادتنا عن العالم كحقيقة نستطيع أن نمارسها بقوة صليب المسيح.

فالصليب يُحسب لنا صليباً، إذا استطعنا أن نمتد من البذل من أجل أحبائنا إلى البذل من أجل أعدائنا، ثم إلى الخسارة بإصرار وبرضى، **وباستعداد الموت من أجل أحبائنا وأعدائنا معاً.**

إذا استطعنا أن نضع هذا الحق نصب أعيننا كمسيحيين فنحن نكرم عيد الصليب وذكرى الصليب وخشبة الصليب، لأننا بذلك نأخذ من المسيح سرّ الصليب كحقيقة نمارسها بالحب. إن كان لنا هذا الإستعداد: أن نبذل من أجل أحبائنا وأعدائنا ونخسر كل شيء في حياتنا باستعداد الموت، فنحن نستطيع أن نتجاوز مرارة الصليب إلى مسرة القيامة.

ولكن الصليب بالكلام سهلٌ، أما الحقيقة فرّةٌ...

فالصليب ليس ضحكاً أو مسرة، الصليب غُصّة ومرارة قاتلة. حينما قدموا للمسيح خلاً بمرارة (مت ٢٧: ٣٤)، هذا كان لكي يُذكّرنا دائماً بالإحساس الداخلي الذي كان يَعبُره وهو على الصليب: مرارة الموت.

الكلام عن الصليب لاهوتياً ووعظياً لذيذ وسهل ومنطقي، ولكن كتجربة، حينما ندخل فيها نجدها علقماً ياأحبائي.

حينما نجوز الآلام ـــ من أي نوع ـــ ولا يبدو لها نهاية، حينئذ تبدأ المرارة ورعبة الموت. ولكن كل ضيقة نجوزها، وكل ظلم أو مرض نجوزه ونرتضيه حتى إلى حدود الموت فإنه يُحسب لنا في الحال صليباً وشركة حقيقية في صليب المسيح.

وأعود مرة أخرى لأقول أن البذل من أجل الإخوة أو الأحباء أو الأصدقاء، هذا بذل محبة، ليس له ثمن، لأن ثمنه مردود لك في حينه فهو محبة وليس صليباً، لأنه ينشىء فرحاً ومسرة للنفس فثمنه فيه. أن تحب أخاك أو تسلِّم عليه فأي فضل لك؟! ولكن المحبة تبدأ تُحتسب أنها تسير على درب الصليب على نمط الجلجثة، حينما يبدأ البذل أن يكون مرفوضاً والمحبة تُردّ إليك عداوة وخسارة، والبساطة والتودد يُقابل بالحقد والإنتقام.

ولكن لا غنى لنا عن خبرة الصليب والسعي وراء حمله حسب وصية الرب، لأنه إن لم يَصِر الصليب ـــ أي الموت عن العالم ـــ في حياتنا حقيقة مقبولة وطريقاً مُشتهى، فسنبقى بعيدين كل البعد عن سر القيامة والحياة الأبدية. فالحياة المسيحية كلها هي حركة مستمرة للإنتقال من الحياة حسب الجسد إلى الحياة حسب الروح، وذلك لا يتم إلا من خلال الصليب.

على أن الصليب وإن كان خارجه أو بدايته رعبة ومرارة، فعاقبته نصرة حتمية وسلام وفرح لا يوصف. فعندما ندخل في ضيق ـــ أيّ ضيق من أي نوع ـــ ونتذكر الصليب الذي صُلب عليه ربنا يسوع المسيح، ونضعه أمامنا هدفاً لنا، تتحول الضيقة المرة إلى بركة وسلام فيه، وتتحول الخطية إلى إحساس بالتبرير فيه، والعداوة تزول ويحل محلها مصالحة وصفح أمام المسيح والآب فيه.

إذن، فلننتبه جداً حينما يداهمنا الضيق، لأننا عندما نجوزه برضى ونتقبّله كما تقبّله المسيح على الصليب كإرادة الآب عن رضى وسرور داخلي؛ ننال قوة من الصليب

ونبدأ ندخل في التحول، ونذوق كل مجد ما بعد الصليب، ونذوق النور والحق والحياة من خلال الحزن والألم والضيق.

الصليب، خشبة الحياة، هو بحسب فعله السري في كيان الإنسان والجسد محيي حقاً، فإذا استطعت أن تحتوي الصليب في قلبك كهدية حياة من السماء، فلا الباطل الذي في العالم يستطيع أن يغشاك ولا ظلمة العالم تستطيع أن تطفىء نور الحياة داخلك، ولا أي ضيقة في العالم أو خطية تستطيع أن تحصرك أو تربطك. هذا لو قبلت الصليب كقوة غلبة وخلاص في شخص المسيح المصلوب. وهذه هي حقيقة الإنجيل كله: **«قوة الله للخلاص»، و«قوة الله»، و«حكمة الله»، و«مجد الله»**.

وهذه الحقيقة هي التي انكشفت لجميع الشهداء والقديسين، فأقبلوا حاملين الصليب بفرح من أجل ما وراءه من سرور ونصرة. لهذا فإن كل من أدرك سر الصليب فإنه لا يعود يتهرب من الضيق أو يخشى الظلم أو يخور تحت الإضطهاد.

فسرُّ الصليب قوة وُهبت لنا لتسكن داخل قلبنا وأجسادنا لتحوِّل كل ما فينا وكل ما هو خارجنا لحساب مجد الله. وهي كهدية، تظل بلا قيمة إلى أن ندخل الضيقة، أو إلى أن تتضافر ضدنا قوى الظلام، حيث يبدأ الصليب يعمل عمله ليتمجد الله في موتنا وحياتنا.

فلو أنت تصورت معي موقف إنسان مظلوم بشبه ظلم المسيح أمام حنَّان وقيافا أو أمام بيلاطس وعساكره، وابتدأ هذا الإنسان المظلوم يرفض الظلم و يثور مطالباً بحقه ومهدداً باستخدام القوة والقانون، فإن الصليب المرسوم على يده أو المعلَّق على صدره يفقد في الحال معناه بل يفقد وجوده وكرامته وقوته، و يصبح الصليب كجبار فاقد قوته لا يستطيع أن يخلِّص. صحيح أنه ممكن ومن حقك أن ترفع قضية تطالب فيها بحقك، أو بذراعك تضرب وتنتقم لنفسك، أو بلسانك تنتهر وتدافع وترد الصاع صاعين، أو بقلمك تكتب وتطعن وتحارب لكي تنفي الظلم أو الضيق الواقع عليك، ولكنك إن صنعت هذا فليس لك أن تطالب الله أن يعلن لك سرّ صليبه القادر أن يحوِّل الظلم إلى

مجد والإضطهاد إلى شركة في أفراح المسيح والقديسين.

إذا كان لأحد حق وأراد أن يأخذه بالقانون والمحاكم، فهذا ليس خطية ولا عيباً، ولكن لن يكون للمسيح المصلوب مكان في هذه المحكمة، بل سيقف بعيداً و يترك الحق يطالب به المحامي الشاطر وعلى قدر فلوسك، والقضية تسير وفقاً لرأي القاضي والقانون وعدل الإنسان. أما إذا تُرك الحق الضائع للمسيح فهويستطيع أن يردَّه و يز يده دون أن ينجرح الصليب.

إذا رضينا بالنكران والخسارة حباً في صليب المسيح، فلن يرضاها لنا القائم من الأموات، بل سيعطي عوض النكران كرامة وعوض الخسارة بركة، و يظل الصليب هو المحكمة الإلهية العليا التي تنصف المظلومين والمنسحقين تحت حد السيف أو المنشار.
خبرة الصليب هذه، أعتقد أنه لا يوجد أحد منا لم يذُقها، فكلنا ظُلمنا، وكلنا قبلنا المرض والتعب والإهانة والمهانة وإنكار حقوقنا وكرامتنا. ولكن قليلٌ منا من سار في درب الصليب حتى النهاية، لم يشتكِ أو لم يتظلَّم أو لم يئن. هذه هي قوة الصليب الفعالة في جسم الكنيسة الحاملة عار المسيح والمرشحة للمجد الأسنى.

□

وقوة الصليب ومفاعيله متعددة وكثيرة، نأخذ منها كنموذج:

كيف ينقلنا الصليب من البغضة إلى المحبة:

إنسان مظلوم يحقد و يبغض ويهدد، هذا في الحقيقة انحصر عنه نور الصليب لأن روح العالم استطاع أن يحتو يه. والإنسان الذي ينفتح كيانه لحركة العداوة والحقد يلبسه روح العالم في الحال، لأن العداوة تتغلغل النفس والجسد والعقل والأعصاب و يصير وكأن سحابة مظلمة تخيِّم عليه. وكما يقول القديس يوحنا الرسول: «في الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي» (١يو٢: ١١).

أكبر حاجز يحجز نور الحب الإلهي عن الإنسان هو العداوة والبغضة حينما تكون

دفينة في القلب. الصليب وحده هو القوة الإلهية التي هدمت العداوة والتي جاء المسيح لكي يرفعها في جميع صورها، سواء بين الإنسان والله أو بين الإنسان والإنسان.

«هكذا **أحب الله** العالم حتى **بذل إبنه** الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦). هنا حب الله للعالم لم يكمله إلا صليب المسيح، فالحب لا يملك القلوب إلا بالصليب. في الحقيقة إن الحب والصليب لا يمكن أن يفصلهما عن بعض إلا العداوة. والعداوة والبغضة تلغيان قوة الحب وقوة الصليب معاً، لذلك حينما تدخل البغضة تفصل الإنسان نهائياً عن الصليب، و بالتالي عن كل ما يختص بالفداء والخلاص.

الله حينما أراد أن يصالح الإنسان بنفسه، صالحه بالصليب!! لا يمكن أن ترتفع البغضة من قلب الإنسان إلا إذا قَبِلَ أن يموت عن مبغضيه — أي قَبِلَ الصليب. لابد أن يكون الإنسان في استعداد هذا الموت دائماً وكاملاً عن العالم وكل ما في العالم، لينفتح أمامه باب الحياة.

فإنسان يترك قلبه للبغضة معناه أنه لم يمت عن العالم بعد، لم يذُقْ هِبة محبة الآب للعالم أي الصليب!! هبة الآب للعالم هي بذل إبنه الوحيد على الصليب. فالصليب بحقٍّ هو قوة حوّلت حالة العالم كله من تحت الغضب الإلهي إلى محبة أبو ية فائقة. الله الآب استطاع بالصليب أن يصالح كل العالم لنفسه بالمسيح على الصليب متغاضياً عن جهالة الإنسان (٢كو٥: ١٩).

لكن حينما يتجاهل الإنسان ذبيحة المسيح على الصليب التي أكمل بها المصالحة وأسّس بها الحب ثم يعود و يُملِّك العداوة والبغضة في قلبه، فإن هذا يكون بمثابة إعطاء تصر يح رسمي للشيطان ليعود بنا مرة أخرى إلى حالة الغضب الإلهي.

إذن، فغياب المحبة معناه غياب الصليب و بالتالي غياب محبة الله وسلامه.

لقد عبَّر القديس بولس الرسول عن قوة المصالحة الكامنة في الصليب هكذا: «يصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به» (أف٢: ١٦).

فالصليب هو قوة مصالحة عظمى. لذلك إذا سألتني لماذا أصبحت المحبة ضعيفة بين الكارزين، أو لماذا صارت الكنيسة غير قادرة على جمع المتفرقين إلى واحد، وغير قادرة أن تظهر كقوة جامعة وكحياة أبدية نابضة باعتبارها ملكوت الله على الأرض؟ أجيبك: هو عدم قدرة رجالها على حمل الصليب، ليس صليب الذهب المرصَّع بل صليب الهوان والإضطهاد وإنكار الذات ومحبة الأعداء.

كمسيحي يمكنك أن لا ترشم الصليب على يدك، ولكن غير ممكن أن ترفض المسمار المراد دقه في كفك. كمسيحي يمكن أن لا تحمل الصليب على صدرك ولكن غير ممكن أن ترفض الطرد والتعيير والشتيمة والإهانة على إسم المسيح والصليب. وإلا كيف تقول: «مع المسيح صُلبت»؟

فضعف الكنيسة كلها في العالم ناتج عن غياب القناعة بحمل صليب المسيح ليس في اليد، ولكن في القلب باستعداد الموت. ونصرة الوحش في الأيام الأخيرة على قديسي الله وقدرته أن يصنع معهم حرباً و يغلبهم، هو نتيجة مباشرة لضياع قوة المحبة: «ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين» (مت ٢٤: ١٢).

هذه هي الخطية الكبرى التي سيُهزم بسببها العالم. أكبر خطية ستحطم العالم هي أن يُنزع من الكنيسة استعدادها لتحمل الصليب كل يوم، لأن سر الصليب دخل العالم لكي ينزع به الإنسان الخطية، فإذا انتُزع الصليب (سر الموت) عاشت الخطية!! ولا ينزع الصليب من قلب الإنسان إلا العداوة أو غياب المحبة أو عجرفة الإنسان!!

فإن كنت اليوم أتيتكم منذراً لكي نستطيع أن نعيِّد معاً عيداً صادقاً للصليب، فهو أن نؤسِّس أو بالحري نجدد عهد المحبة بالصليب، أي باستعداد الموت بعضنا عن بعض، لا من أجل الأحباء فقط، بل من أجل الأعداء أيضاً والعالم كله.

فإن كنا نريد أن نعيِّد للصليب، ليس اليوم فقط بل كل أيام حياتنا، عيداً صادقاً يُرضي قلب المسيح المطعون و يُنعش حياتنا؛ فعلينا أن نؤسِّس اليوم وفي هذه الليلة عهد محبة أخوية لا تُطفئها عداوة لأي سبب كان، ولا تشوها حركة بغضة واحدة لأي

إنسان، حتى ولو كان شاهراً الموت في وجوهنا.

لو استطعنا أن نؤسس في القلب عهد حب على هذا المستوى، فهذا يكون عيداً للصليب في الأرض وفي السماء.

وكما لمَّا أراد الله أن يحب العالم، بذل إبنه على الصليب، هكذا إن أردت أن تُحِب، فلابد أن يكون حبك على أساس البذل لتحيا نفسك والعالم حولك.

من أجل هذا كان همُّ القديس بولس الرسول الأول من جهة ثبوت الكنائس في إيمان المسيح أن يكون الصليب حقيقة حيَّة وقوة محرِّكة: «لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح **وإياه مصلوباً**» (١كو٢: ٢)، ليس يسوع المسيح فقط وإنما يسوع المسيح مصلوباً.

ممكن أن تكون مسيحياً ولا تحتمل الظلم والإضطهاد والإهانة فتكون حينئذ غير مدرك لمعنى الإيمان بالمسيح المصلوب ــ «لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا **يسوع المسيح وإياه مصلوباً**» معناها أني أريد أن يكون إيمانكم قائماً على أساس المسيح الذي مات من أجلكم وأن يكون ثمر هذا الإيمان فيكم استعدادكم أيضاً للموت حباً له وللآخرين.

إقبلني ياسيدي في هذا اليوم وفي هذا المساء كإنسان يعبدك مصلوباً عني لأنك أحببتني ومُتَّ من أجلي. واعطني هذا الإستعداد عينه أن أحمل صليبك لأموت عليه كل يوم باستعداد حبي لك ولكل العالم.

إن كان إنسان ما قد استطاع أن يُظهِر ولو قليلاً جداً من رائحة المسيح الزكية، فهذا يكون بسبب وجود المحبة الباذلة.

لو ارتفع معيار هذه المحبة للمستوى الذي صُلب به المسيح الذي وهبه لنا في سر الكنيسة سواء في سر المعمودية أو التناول أو بقية الأسرار، لاستطعنا أن نقدم المسيح للعالم كله دون أن نتحرك من مكاننا!!

لأن كل من حاز على سر الصليب في قلبه وحياته، صار هو بدوره قوة في العالم لا

تنتهي لتحويل البغضة إلى المحبة. لأن الذي يصنع سلاماً و يصالح إثنين، إبن السلام يُدعى. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يصالح إثنين متخاصمين إلا من كان على استعداد أن يبذل حياته عنهما؟

العالم اليوم محتاج لإنسان المصالحة، إنسان الصليب، الذي يستطيع أن يكرز بالحب والصلح والسلام والحياة.

إني أتكلم ياإخوة بروح الإنجيل؛ هذا هو صوت القديس يوحنا الرسول: ياأحبائي من هو الإنسان الذي انتقل من الموت إلى الحياة؟ **أليس هو الذي أحب الإخوة؟!!** (راجع ١يو٣: ١٤).

أليس هذا عجباً، وأليس هذا هو ما تحتاجه الكنيسة والعالم اليوم؟ عندما نُحب الإخوة ننتقل من الموت إلى الحياة. نعم، ومن يستطيع أن يحب الإخوة إلا الذي هو على استعداد أن يموت كل يوم على صليب ربنا يسوع المسيح، الذي أخذ في نفسه قوة أن يغلب الشر بالخير وقدرة أن يقتل العداوة بالحب؟ هذا هو الذي انتقل من الموت إلى الحياة، واستطاع بالتالي أن يحوِّل الموت في الآخرين إلى حياة.

هل رأيتم كم نحن في إحتياج لنعيش في سرّ الصليب وقوته الذي نعيِّد له في هذا المساء؟

اليوم ياأحبائي ليست الحاجة كما قيل في القديم: «لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء بل لاستماع كلمات الرب» (عا٨: ١١). هذا كان قديماً، وأما اليوم فما أكثر الوعاظ المقتدرين الذين يقفون على المنابر ليتكلموا بكلمة الله ويحفظونها بإتقان وعن ظهر قلب.

ولكن ليست الحاجة اليوم تبدو كما كانت قديماً إلى كلمة الله، وإنما الحاجة ماسة جداً إلى الصليب ـــ ضياع الصليب هو السمة الشاهدة على ضعف الكنيسة في كل مكان، إذ لا يوجد قبول عملي للصليب. كل إنسان يتململ من تجربته، كل إنسان يشتكي من ضيقته، كل إنسان يصرخ من الظلم الواقع عليه، والكل يلوم الله.

هذه السِّمة هي سمة الجيل كله. ورئيس هذا العالم بدوره ينتهز هذه الفرصة النادرة فيبدأ بتخطيط ماهر للغاية لكي يذيق كل أولاد الله أنواعاً متعددة من الإضطهادات والمظالم والأمراض والأوبئة والجوع، لكي يرتفع صراخ الكنيسة وشكواها وتذمرها بالأكثر حتى عنان السماء.

وهكذا يتقلص معنى الصليب وتتبدد قوته من داخل القلوب ومن الأرض كلها، و ينشغل المؤمنون بالمطالبة بالحقوق الضائعة!!

ولكن متى كان العالم أو بالحري رئيس هذا العالم مستعداً أن يرد حقوقاً هو هو الذي ضيَّعها؟، أو متى كان الله نفسه مستعداً أن يوسع طريق الخلاص و يفرشه بالراحات و بالخيرات الزمنية؟

لقد كاد يتلاشى من حياتنا معنى الصليب وضرورته، الإحتمال، الصبر، طول الأناة مع الشكر والحب رغم الظلم والإضطهاد والضيق، حتى يتجلى المسيح وتأتي المعجزات.

نحن كلنا يعوزنا اليوم أن نعيِّد لصليب المسيح بالروح والحق.

(١٩٧٨)



سر الصليب

١ ــ التجسد والصليب :

إذا أردنا أن نتعمق الأصول الأولى التي نبع منها الصليب و بلغت الآلام غايتها العظمى بالفداء، علينا ياأحبائي أن نعود مباشرة إلى «**التجسد**» لنربط «الكلمة صار **جسداً**» **(يو١ : ١٤) والجسد** المكسور النازف على الصليب!

فلولا التجسد، أي لولا أن إبن الله صار إنساناً ذا جسد ونفس وروح مثلنا تماماً، لما استطاع أن يتألم بآلام تنتهي بالموت الفدائي.

أنظروا ياأحبائي، حتى لا يغيب عن أعين أذهانكم قط الصلة الحية الجوهرية بين «التجسد» والصليب!! فالكلمة صار جسداً، ليستطيع عمل الفداء و يكمله بجسده بدم صليبه!!

ولكي نخطو خطوة أعمق نحو سر الفداء، الذي نرى أنفسنا فيه كمفديين ومخلّصين بدم المسيح، يلزم أن نعرف قبلاً ما هو موقعنا من سرّ التجسد، لأنه هو السرّ المؤدي للفداء.

معروف أن التجسد هو إتحاد كامل بين الله والإنسان في شخص المسيح، لذلك صار قبولنا للفداء واتحادنا بشخص المسيح (بتناولنا دمه) معناه أننا دخلنا في سر الإتحاد بين الله والإنسان ــ أي سر المسيح!! هذا هو عودة الإنسان إلى الله!! عودة حياة الشركة المقطوعة والمكسورة بآدم التي كانت بين الإنسان والله!!

أما كيف ندخل إلى سر الإتحاد بين الله والإنسان، لنستعيد الصلة مع الله، فهذا أكمله لنا المسيح بدم صليبه بآلام الموت، بالفداء، الذي هو تقديم نفس عوضاً عن نفس، ليربطنا في الله بآلامه وموته.

فالآن، كل من يؤمن بصليب المسيح ــ أي يدخل سر الفداء ــ و يشرب دم المسيح الذي للخلاص، يتحد بالمسيح، فيدخل في سر التجسد، سر العلاقة أو سر الإتحاد بين الله والإنسان. وهذا هو واقع المصالحة التي أكملها المسيح للإنسان مع الله بدم صليبه (كو١: ٢٠)!!

وهكذا، باختصار، يكون التجسد قد أنشأ الفداء. والفداء عاد فأنشأ الإتحاد بالله (الذي كان مقطوعاً). والإتحاد هو المصالحة وهو الخلاص. وبهذا يرتبط الصليب بالتجسد ارتباطاً جوهرياً من جهة خلاصنا. فإبن الله تجسد ليخلصنا بآلامه وموته بالجسد، أو بكلمات القديس إيرينيئوس: «إبن الله صار إبن الإنسان (بالتجسد) لكي يصير الإنسان إبن الله (بالموت على الصليب)».

هذا هو السر المخفي منذ الدهور، والآن قد أعلنه الله للعالم كله بموت المسيح وقيامته: أن الله أضمر منذ البدء أن يرفع الخليقة البشرية الخاطئة والساقطة إلى حالة التبني ليتحد بها بواسطة تجسد كلمته، الذي به أكمل فداءها من الخطية والموت بموته على الصليب.

وهكذا تمت مشورة الله على مرحلتين:

١ ــ الله استُعلن للبشرية أولاً بالتجسد، فأصبح التجسد تاج الخليقة وكمالها الإلهي في شخص يسوع المسيح: «عظيم هو سر التقوى **الله ظهر في الجسد**» (١تى٣: ١٦).

٢ ــ ثم بعد ذلك، **الحياة الأبدية** التي كانت عند الآب محجوزة عنا، استُعلنت ووُهبت للإنسان بموت المسيح على الصليب، عندما قام ناقضاً سلطان الموت (لأن المسيح بقيامته صار باكورة الراقدين ــ ١كو١٥: ٢٠).

والنتيجة الحتمية للقيامة هي أن الروح القدس روح الحياة في المسيح يسوع انسكب على البشرية، وهكذا انتقلت الحياة الأبدية للإنسان عَبْر التجسد والصليب ثم الموت والقيامة.

وهكذا يظهر التجسد كدرجة أساسية في تكميل الخليقة البشرية ورفعها إلى مستوى صورتها الأولى الأساسية المكرَّمة في الله، في شخص المسيح نفسه.

ثم يظهر الفداء بموت المسيح على الصليب كدرجة حتمية لتكميل **غاية التجسد (الإتحاد)**، حتمية من وجهة نظر الله، حتمية الحب الذي أحب به الله العالم، ليرفع الخليقة البشرية كلها من الهلاك إلى حياة أبدية في حالة التبني.

وهكذا يتضح أمامنا أن التجسد والفداء عملان متلازمان أساسيان، بل **وحتميان:**

التجسد: الإتحاد كنموذج فعال؛

الفداء: إعطاء هذا الإتحاد كهبة.

هذا هو التدبير الإلهي لتكميل الخليقة البشرية ورفعها من العداوة إلى حالة التبني، ومن الإنفصال إلى الإتحاد بالله بواسطة يسوع المسيح.

من هذا يتضح لنا أن الفداء الذي أكمله المسيح على الصليب ليعيد لنا شركتنا واتحادنا المفقود مع الله، إنما يقوم على أساس لاهوتي بالنسبة للتجسد باعتبار أن التجسد هو المسئول عن عطية الفداء، أي إعادة اتحاد الإنسان بالله.

أنواع الآلام التي قبلها المسيح:

يوجد نوعان أساسيان للآلام التي قبلها المسيح:

النوع الأول: هي الآلام التي دخلت إليه من واقع قبوله للطبيعة البشرية بكل أعوازها وضعفها. فآلام الجوع والعطش والتعب وحزن النفس من جراء الإتهامات والمطاردات والمصادمات والخيانات والشتيمة والإهانة، كل هذه قبلها المسيح كما يقبلها أي إنسان، فقد صار مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها: «**بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية**» (عب ٤: ١٥).

هذا النوع من الآلام قبلها اضطراراً من جهة الحب والحق والإتضاع، والتزاماً من

جهة المشورة الإلهية التي حتمت بالتجسد. ولكن لم يكن مضطراً لقبولها، ولا تحتّم عليه الإلتزام بها من جهة خبث الناس وشرهم أو جور الطبيعة واختلال موازينها، فهو كان قادراً على أن يمنعها و يردّ عليها و يلغي سطوتها وكل آثارها، فالذي سار على الماء كان في قدرته أن لا يتعب من السفر على الأرض، والذي قال للسامرية أنه قادر أن يعطي ماءً حياً وكل من يشرب منه لا يعطش أبداً بل ينبع فيه إلى حياة أبدية كان قادراً أن لا يطلب منها ليشرب و يستقي بفمه من دلوها النحاسي، والذي أطعم آلاف الجموع من خمس خبزات كان قادراً أن لا يجوع أو على الأقل أن لا يطلب طعاماً ليرد به جوعه، والذي أقام لعازر من الموت كان قادراً أن يميت أو يُخرس فم الأشرار من الكتبة والفريسيين والرؤساء الذين تربّصوا به وأهانوه وأخرجوا عليه كلاماً سفيهاً شريراً.

وهكذا يتضح أنه قَبِلَ هذه الآلام في جسده ونفسه قبولاً طبيعياً بالتزام الحب، و بدافع الإتضاع والمشاركة لنا في آلامنا التي بحسب هذا الدهر، «مجرَّب في كل شيء مثلنا»، ولكن ليس بحتمية الإلتزام أو الخضوع لشر الأشرار وجور الفجار أو ضعف الطبيعة أو تسلط المقادير.

إذن، فهي آلام لمجرد الشركة في طبيعتنا، دخلت إليه دخولاً طبيعياً، فقبلها هو حباً لنا وتكريماً لضعفنا ومذلتنا.

أما النوع الثاني: فهي آلام الفداء! آلام الصليب والموت!

هذه لم تدخل عليه دخولاً طبيعياً، بل دخل هو إليها دخولاً متعمداً مقصوداً، وحتّمها هو على نفسه تحتيماً «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧)، وقَبِل حتميتها من يد أبيه بحسب مشورة ما قبل الدهور كلها: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها» (يو١٨: ١١).

فالصليب محسوب حسابه قبل الزمن «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلّدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، **معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة** من أجلكم» (١بط١: ١٨، ١٩، ٢٠).

بل وإن صلب المسيح مذبوحاً على الخشبة، هذا أيضاً كان مرسوماً ومكمّلاً في التدبير الإلهي كفعلٍ كامل تمَّ في المشورة العلوية، ولا ينتظر إلا استعلانه بحسب الواقع البشري: «... الذين ليست أسماؤهم مكتوبة في سفر حياة الخروف **الذي ذُبح منذ تأسيس العالم**» (رؤ١٣: ٨ حسب الأصل اليوناني الدقيق).

وهكذا فإن آلام الصليب الفدائية لها في الحقيقة وجهان:

وجه بشع أرضي، يمثله حقد اليهود وشرُّهم المريع وعداوتهم وكذبهم ونميمتهم، مع ظلم وعنف القضاء الأممي.

ووجه آخر للصليب سمائي، ينضح بالحب والمسرة والبذل الإلهي الفائق الوصف من نحو العالم: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد» (يو٣: ١٦)، وإنصافاً للحق وتكميلاً للبر الأبدي وخلاصاً عميقاً متسعاً يشمل كل الدهور.

ولكن الوجه البشع الأرضي لم يُثْنِ المسيح قط عن أن يتمم مطالب الوجه السمائي المملوء حباً وطاعة ومجداً وكرامة للآب وخلاصاً عميقاً أبدياً للإنسان!!

لذلك، فبسبب حقيقة الوجه السمائي للصليب، صار قبول المسيح لعار الصليب بكل صنوف المهانة والهوان والإذلال المريع، صار يُعتبر انتصاراً رائعاً للحب الإلهي ولمجد الله في السماء وخلاص الإنسان على الأرض!!

فالصليب كان طريق الإتضاع، بل والمذلة الإرادية المذهلة التي أوصلت المسيح إلى قمة الإنتصار والمجد السمائي ومعه الخليقة الجديدة، ملايين المفديين من بني الإنسان الذين رفعهم إلى ذات المجد وذات الإنتصار وأدخلهم معه إلى الحياة الأبدية في شركة الآب في الفرح الأبدي.

والآن، لنعمل مقارنة بين الآلام الطبيعية، آلام الحياة اليومية التي دخلت إليه طبيعياً بحكم تجسده وتأنسه وأخذه شكل العبد، وبين الآلام التي دخل إليها المسيح متعمّداً وحتَّمها على نفسه قبل إنشاء العالم، باعتبارها آلام الفداء، وهي إحدى غايات التجسد العظمى، بل إحدى مراحل تكميل الخليقة بالمجد الإلهي:

آلام الحياة الجسدية التي جازها المسيح:	آلام الموت الفدائي الذي أكمله المسيح على الصليب:
تشمل: جوع، عطش، أحزان، اتهامات باطلة، كذب، افتراء، طرد، خيانة، شتيمة، إهانة.	**تشمل:** أ ـ الجلد والضرب على الرأس والمسامير وإكليل الشوك والعطش والنزيف والموت. ب ـ تخلية الآب، لعنة الخشبة، حمل الخطايا.
١ ـ آلام المشاركة الطبيعية: عبر الحياة اليومية:	**١ ـ فوق الطبيعة:** آلام الموت لتغيير الحياة البشرية بجملتها وتجديدها، فهي:
أ ـ آلام تواضع الحب الإلهي نحو البشر (جاع وتَعِبَ وظُلِم وشُتِمَ).	**أ ـ آلام طاعة الحب الإلهي نحو الآب.**
ب ـ آلام تناسب شكل العبد فقط: «أنا بينكم كالذي يخدم» (لو٢٢: ٢٧) ـ آلام العبيد حسب الظاهر، فهي آلام عادية جداً يجوزها أي إنسان عادي.	**ب ـ آلام تناسب الإبن الوحيد فقط:** إلهية في جوهرها وعميقة وسرية إلى أقصى حد، فهي آلام فريدة من نوعها، فائقة عن حدود قدرة البشر ولن يستقصيها بشر.
جـ ـ آلام مناسبة لحياة التجسد على الأرض.	**جـ ـ آلام أنهت على رسالة التجسد على الأرض** واستفرغت مضمونها.
د ـ آلام ليست عقوبة في مضمونها الإلهي، بل مشاركة لا تستلزم الموت.	**د ـ آلام عقوبة** استلزمت الموت: أشنع عقوبة في مضمونها السمائي (لعنة).
هـ ـ آلام كان القصد منها إظهار صدق التجسد أنه واقع بشري حقيقي.	**هـ ـ آلام كان القصد منها بلوغ غاية التجسد**، تشرح سببه وتحوي وتستقصي وتستقطب معناه.
و ـ آلام طبيعية على جسد طبيعي	**و ـ قضاء على بريء كل البراءة**

خاضع لقوانين الطبيعة وتقاليد الناس.

آلام طبيعية صار في قبولها قبولاً طبيعياً تمهيدٌ ومدخلٌ سهل لآلام الصليب، مؤكدة أنها آلام حقيقية.

وقدوس متسامي فوق البشر إيفاءً لعدل يفوق طاقة البشر.

آلام في واقعها البشري أقصى آلام يمكن أن يتحملها إنسان ذو جسد، ولكن في واقعها الإلهي ليست في طاقة البشر، فهي آلام كفَّارة وفداء، استلزمت قداسة وبِراً مطلقاً.

لذلك، فآلام الصليب والموت الفدائي ليست قط من نوع الآلام الطبيعية اليومية، فهي آلام تفوق ألم الجسد أو النفس، آلام تمتد في عمقها إلى سر الحب الإلهي ــ في الآب والإبن ــ الذي لا يُستقصى، وتمتد في تأثيرها عَبْر الخليقة والزمن إلى أعماق لا تُستقصى.

آلام المسيح بالنسبة لحياتنا اليومية وخلاصنا الأبدي!

آلام المشاركة:

لقد شارك الله البشرية في آلامها الطبيعية التي كانت هذه الآلام اليومية محسوبة أنها لعنة بسبب الخطية، فبتجسد إبنه لم تعد آلام حياتنا اليومية معتبرة أنها لعنة أو عقوبة، فالجهد والتعب والعرق من أجل لقمة العيش الذي صار عقوبة لآدم شاركنا فيه كلمة الله بنفسه متنازلاً عن

آلام الفداء:

هنا الآلام التي احتملها المسيح حتى الموت (الموت غاية الألم)، هي كفَّارة للفداء، لذلك فهي آلام فوق مستوى البشر.

هي موجهة ضد الخطية مباشرة:

ليست لمجرد غفران الخطية، وليست لمجرد المصالحة مع الله، ولكن لإجتزاز الخطية نفسها من أصولها، ومحوها، والإنقاذ من

مجده محتملاً كل الآلام والتجارب مثلنا، ليرفع اللعنة عن الجهد والتعب والعرق والألم، و يُحوّله لنا إلى شركة حب مع الله في المسيح، محولاً الحياة برمتها لتكون غايتها ميراثاً مع الله في المسيح. «من ثَمّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فيما لله حتى يُكفِّر خطايا الشعب لأنه في ما هو قد تألم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين» (عب٢: ١٧، ١٨) «كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم (الآلام) بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كو٥: ١٥) «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً **فافعلوا كل شيء لمجد الله**» (١كو١٠: ٣١).

كيف يكون ذلك؟: لقد استقطب المسيح ليس فقط الآلام اليومية الطبيعية عندما بلغ بالآلام إلى الموت الفدائي لرفع الخطية وإبطال سلطانها، بل حوَّل الحياة كلها لحسابه!! أي أننا نتعب ونشقى ونتألم من الآن من أجل الرب وحباً فيه وشركة معه.

لأن الخطية كانت سبباً في انفصال آدم عن الله، ودخوله في لعنة آلام الحياة اليومية: «ملعونة الأرض بسببك» (تك٣: ١٧).

سلطان الخطية وسطوة الموت!!

هذا هو معنى الفداء تماماً «**الفداء بدم صليبه**» (كو١: ٢٠).

هنا ليس آلام وحسب بل **آلام للموت**.

والإنتصار الذي تم ضد سلطان الخطية والموت **وإبليس** لم يتم باحتمال الآلام وحسب بل بقبول الموت لتتم القيامة.

فالموت إجراء فدائي أساسي، ولكنه لا ينتهي في ذاته بل هو موت لقيامة. والقيامة هنا مرتبطة بالموت (الفداء)، ثم بالصليب والقيامة معاً.

فكل من قبل موت المسيح على الصليب، يكون قد قبل القيامة، وحاز الفداء.

لذلك فبسبب القيامة، صار موت المسيح نصرة فوق الموت.

ولذلك كان الإيمان بموت المسيح على الصليب:

ــ ليس لمجرد قبول غفران خطايا ولا لمصالحة مع الآب وحسب، ولا للحصول على البراءة أو التبرير، ولكن:

لقبول نصرة على الموت، وعلى سلطان الخطية، بقبول القيامة كحياة أبدية، حياة جديدة، خليقة جديدة بالروح القدس.

ولكن لأن المسيح أبطل سلطان الخطية التي هي سبب اللعنة بالفداء على الصليب، فإنه ينتج من ذلك أن المسيح قد رفع عنصر اللعنة المتغلغل في الآلام والأتعاب اليومية باعتبارها عقوبة الحياة.

فصار الجهاد والألم لكل إنسان ـــ يعيش في الفداء والصليب ـــ هو مشاركة حياة مع المسيح الذي قَبِل لعنة الموت في نفسه ورفع الإنفصال عن الله.

الآن نحن لا نحيا لأنفسنا، و بالتالي لا نتألم لأنفسنا، لأن إبن الله مات عنا ليعيدنا إلى الحياة مع الله مرة أخرى، وتألم عنا **ليرفع اللعنة عن الألم**، فلا يُحسب الألم عقوبة بل شركة في آلام المسيح.

لذلك أصبحت الآلام اليومية لكل مفديي الله هي شركة حب، هي وقود لإشعال القلب كل يوم بالحب الإلهي، وكأننا لا نتألم وحدنا ولا لأنفسنا بل نتألم لنزداد قرباً من الله ونزداد حباً وحياة فيه!!

والنتيجة: عمل قوة موت المسيح على الصليب في الطبيعة البشرية:

بقبول آدم لعنة الموت، بسبب التعدّي على وصية الله ـــ صارت نتيجته المباشرة، أو كانت هذه اللعنة بحد ذاتها، عبارة عن فقدان الإنسان الصلة الحيية التي كانت تربطه بالحياة مع الله.

لقد فقدت النفس وفقد الجسد الأُلفة والرباط الذي كان يربطهما بالله، وصارا قابلين للتفكك والتقسم والنزاع، وبالتالي قابلَين للمرض والإنفصال ـــ أي الموت والفساد. ولكن الله خلق الإنسان على غير فساد.

إذن الفساد هنا عَرَضٌ. **وليس من صميم طبيعة** خلقته الحسنة: «الموت هو أجرة الخطية» (رو٦: ٢٣)، هو استعلان الخطية!!

والموت هنا واقع على الجسد، لأن النفس لا تموت. لذلك بقي للإنسان رجاء.
موت المسيح حقَّق هذا الرجاء، **رجاء غلبة الموت بدفع أجرة الخطية**، فقام الجسد «وأتت نفسه واتحدت بجسده» (القسمة السريانية). وصار المسيح باكورة الراقدين (١كو١٥: ٢٠)، أي اعطى كل الراقدين رجاء بل قوة القيامة!!، قيامة الجسد والنفس في أُلفة الروح القدس بالإتحاد بالمسيح الذي هو **القيامة والحياة!!**

وبذلك صار موت المسيح على الصليب هو نفسه مصدر القوة لإلغاء الموت وإعطاء قوة القيامة.

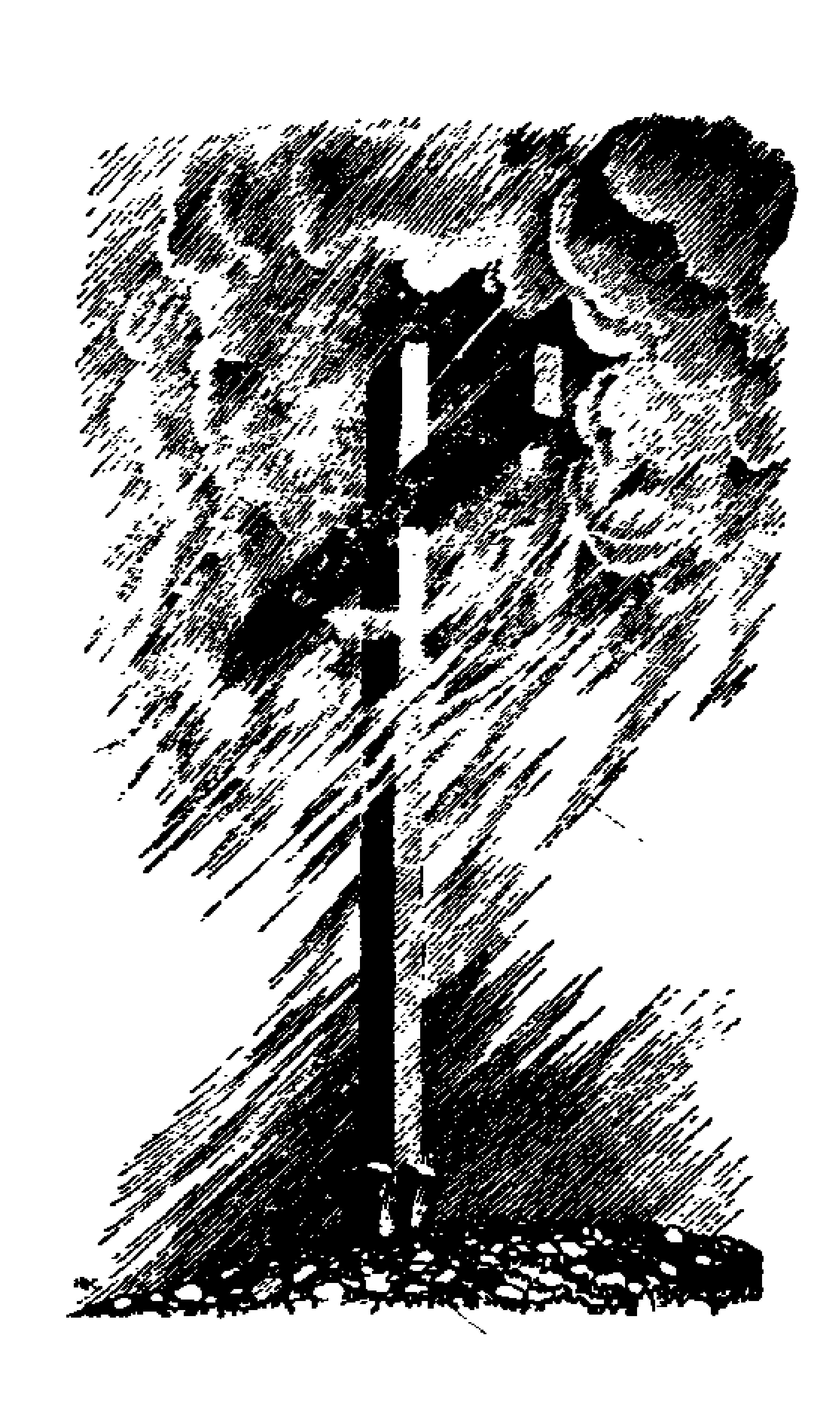
يا ربنا يسوع المسيح...
ننظر إلى صليبك فتسيل دموعنا ولا نعرف كيف نضبط أنفسنا...
لقد تحيَّرنا جداً يا إبن الله، حينما نستعفي من شركة آلامك ومذلة موتك وانسحاق صليبك نجد إكليل المجد قد طار من على رؤوسنا، وانسكبت حياتنا في الطين، ولم تعُد أعمالنا إلا حفنة تراب...
وحينما نحمل صليبك ونوقد العزم أن نشرب كأسك ونصطبغ بالصبغة التي اصطبغت بها ونتقدم بجراءة حاملين عارك مستهينين بالخزي منتظرين المرارة، لا نجد إلا فرحاً وسلاماً ومجداً وكرامة، وتختفي المفزعات والمروعات، ونرى المجد عياناً...
إن هذا لسرٌ عجيب!!...
لقد عرفنا اليوم سر صليبك يا إبن الله...
كيف بكل حكمة وفطنة أخفيت أمجادك داخل آلامك، حتى لا يستطيع أحد

أن يختار الواحدة و يترك الأخرى...

ربي، لقد أحببنا صليبك، أحببنا صليبك جداً، ففيه آلامنا وفيه أفراحنا امتزجت معاً...

كيف لا نحب صليبك يارب ونحن نقرأ أسماءنا منقوشة عليه، وخطايانا وعارنا انتقلت من علينا لتُرسم كلها على جسدك؟... ثم تتساقط عليها قطرات دمك فتمحوها واحدة فواحدة...

ربنا نحن كلنا نحب صليبك... نحب صليبك جداً...
لك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس
في كنيستك إلى الأبد
آمين



الإنجيــل والصليــب

الإنجيـل، أيها الأحباء، يعني الخبر المفرح، فهو خبر الخلاص. والخلاص هو الفداء بدم المسيح على الصليب. أي أن **الإنجيل هو خبر الصليب المفرح.**

لا يمكـن أن يكـون الإنجيـل إنجيلاً بدون الصليب. وبمنتهى الوضوح والإختصار، الصليب هـو سفك دم آبن الله، بروح أزلي. فالدم هو الحياة، كما يقول العهد القديم (لاويين ١٧ : ١٤)، وكما يقـول علـم الطـب الحديث أيضاً. فالمسيح سكب حياته عِوَض كل ميت، وأخطر موت هو الموت بالخطايا والذنوب.

يقـول القديس يوحنا الرسول بالروح في سفر الرؤيا، شاهداً بالمسيح الحي الكائن والذي كان والذي يأتي، أنه رآه بصورة متصلة عبر كل الأزمنة أنه: «الخروف الذي **ذُبح منذ تأسيس العالم**» (رؤيا ١٣ : ٨) أي حالة مقضيٌّ بها. و«كخروف قائم كأنه مذبوح» (رؤيا ٥ : ٦) أي حالة دائمة. «وسأعطي لشاهديَّ فيتنبآن... وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة... ومصر **حيث صُلب ربنا أيضاً**» (رؤ١١ : ٣و٨). وهنا إشارة على أول رمز عملي للمسيح المصلوب، وهو خروف الفصح الأول، والفصح هو العبور من الموت إلى الحياة.

أما الصدى لهذا القول الفائق على الزمن فهو كامن في قول يوحنا المعمدان عن المسيح بالرؤيا المتجاوزة لكل الزمان: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١ : ٢٩). ثم يعود يوحنا الرائي، ليرى المسيح ينضح بدمه على خطايا البشرية، حتى بعد قيامته من الأموات، ليجعلهم لا أطهاراً فحسب، بل أيضاً ليرفع رتبتهم إلى ملوكيته؛ وإلى كهنوته الإلهي: «يسوع المسيح، الشاهد الأمين، البكر من الأموات، ورئيس ملوك الأرض. الذي أحبنا، وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين» (رؤيا ١ : ٥و٦). غسلنا بالدم،

أي عمدنا بالحياة و بالروح القدس، لأن الدم هو الحياة!!

ولكن يرتفع القديس بولس الرسول في سفر العبرانيين إلى مستوى رؤ يا يوحنا اللاهوتي، الذي رأى المسيح حملاً مذبوحاً منذ تأسيس العالم، في مشورة الله القدير، لخلاص تحتم أن يتم في زمانه ومكانه هكذا:
ـــ «فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم (هذه هي أحزان الله التي طالما عبَّر عنها العهد القديم على مدى كل أسفاره، والتي لم يلطفها دم تيوس أو عجول أو آلاف الذبائح على مدى مئات السنين).

ولكنه الآن قد أُظهر مرة، عند انقضاء الدهور، ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه (يُبطل أثرها فينا ولدى الله أبيه).

وكما وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة، هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية، ليس بسبب الخطية، للخلاص للذين ينتظرونه» (عبرانيين ٩: ٢٦ـــ٢٨).

لهذا يقول سفر العبرانيين إن السماء كانت تتلهف لدخوله ظافراً، حاملاً فداء البشرية: «ليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس؛ فوجد فداءً أبدياً» (عب ٩: ١٢).

لنا ثقة للدخول إلى الأقداس بدمه:

و يشدد سفر العبرانيين أن الدم الذي سلمه المسيح للآب، باعتباره ذبيحته عن البشرية، كان له القوة والسلطان، لا أن يغفر الخطايا و يصالح فحسب، بل وأن يطهر الضمير من وجع الخطية المميت للضمير: «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من الأعمال الميتة لتخدموا الله الحي (كأخصاء عوض أعداء، كأحباء عوض منبوذين)» (عب ٩: ١٤).

ثم ليس جزافاً ولا عبثاً يقرر يوحنا المعمدان أن «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو١: ٢٩)؛ هنا خطية العالم بوضعها الشمولي على مدى الزمان والمكان، الأمر

الذي حدده يوحنا الرائي بصورة شمولية أعم بقوله: «ذُبح قبل تأسيس العالم»، أي قبل أن يكون إنسان، وقبل أن تُعرف خطية. هنا ذبيحة المسيح الكفارية داخلة، أساساً وضمناً، في خطة الخليقة من ألفها إلى يائها.

لذلك يقول سفر العبرانيين مثبتاً هذه العمومية والشمولية، معتبراً الخطية، مهما كثرت وتناهت، فهي خطية واحدة: «يسوع الذي نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت، لكي يذوق، بنعمة الله، الموتَ لأجل كل واحد»، «فبعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله» (عب ٢: ٩، ١٠: ١٢).

لذلك، هنا يليق بنا أن نذرف الدمع، ونسكب أنفسنا بالحزن والصلاة من أجل أي إنسان في العالم يخيب من نعمة الله هذه ولا ينال نصيبه من دم الفداء المجاني؛ كما يقول سفر العبرانيين ٢: ٣: «كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره»، وقوله أيضاً في ٣: ١٢: «أنظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير، بعدم إيمان، في الإرتداد عن الله الحي».

هنا يتضح لكم سر التجسد، لماذا أخذ ابن الله جسداً كجسدنا، ولحماً ودماً مثلنا، يمكن أن يُسفك ويموت!! يقول سفر العبرانيين: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما؛ لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس» (عب ٢: ١٤).

وإمعاناً في جعل دم المسيح ليس وقفاً على أحد، صار سفك دم المسيح خارجَ أورشليم، إعلاناً أبدياً أن دمه ليس وقفاً على أحد، بل هو ملك لكل من ليس له إقامة: «لأنه ليس لنا هنا مدينة باقية!!ـــ لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب» (عب ١٣: ١٤و١٢).

و يصِرُّ سفر العبرانيين ليضع الصليب مركز الأساس للإنجيل، كما يعطي دم المسيح صفة العهد الأبدي الذي لا يمحى ولا يُنسخ ولا يضعف، حتى نهاية الدنيا:
ـــ «وإله السلام الذي **أقام من الأموات** راعي الخراف العظيم ربنا **يسوع المسيح**

بدم العهد الأبدي، ليكمّلكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته، عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه بيسوع المسيح» (عب١٣: ٢٠و٢١).

ــ «**فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة**» (عب١٠: ١٠).

ــ «**لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين**، و يشهد لنا الروح القدس أيضاً» (عب١٠: ١٤و١٥).

ــ «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه، لئلا تكلُّوا وتخوروا في نفوسكم، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع، الذي **من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب، مستهيناً بالخزي**، فجلس في يمين عرش الله» (عب١٢: ٣و٢).

ــ «بل أتيتم... إلى **وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم** رش يتكلم أفضل من هابيل» (عب١٢: ٢٢و٢٤).

ــ «الذي **أُسلم من أجل خطايانا**، وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥).

ــ «الذي **قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه**، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة» (رو٣: ٢٥).

ــ «**لأن الموت الذي ماته، قد ماته للخطية مرَّة واحدة**، ...عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه، ليُبطَلَ جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبدُ أيضاً للخطية» (رو٦: ١٠و٦).

ــ «**الذي لم يشفق على آبنه، بل بذله لأجلنا أجمعين**، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء» (رو٨: ٣٢).

الإنجيل ومركز الصليب فيه:

ــ «وأعرِّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشَّرتكم به، وقبلتموه، وتقومون فيه، و به أيضاً تخلصون، إن كنتم تذكرون أيَّ كلام بشرتكم به، إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً: فإنني سلَّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً **أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دُفن**، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر لصفا ثم

للإثني عشر وبعد ذلك ظهر لأكثر من خمس مئة أخ... وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين، وآخر الكل، كأنه للسقط ظهر لي أنا» (١ كو١٥: ١—٨).

— «**حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح**» (غل٦: ١٤).

— «بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة **ورش دم يسوع المسيح**» (١بط١: ٢).

— «**الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة**، لكي نموت عن الخطايا، فنحيا للبر» (١بط٢: ٢٤).

— «فإن المسيح أيضاً **تألم مرة واحدة من أجل خطايانا**، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله، **مماتاً في الجسد**، ولكن مُحيْيً في الروح» (١بط٣: ١٨).

— «عالمين أنكم **افتديتم**، لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، **بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم**» (١بط١: ١٨—٢٠).

— «فلنا شركة بعضنا مع بعض، **ودم يسوع المسيح آبنه يطهرنا** من كل خطية. وهو **كفارة لخطايانا**، ليس لخطايانا فقط، بل **لخطايا كل العالم أيضاً**» (١يو١: ٧، ٢: ٢).

— «(الآن) لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار» (١يو٢: ١).

— «لأنكم **قد اشتُريتم بثمن**، فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١ كو٦: ٢٠).

— «**قد اشتُريتم بثمن**، فلا تصيروا عبيداً للناس» (أي أن شراء دم المسيح لنا = حرية) (١ كو٧: ٢٣).

الدم فيه الحياة. المسيح سكب حياته على الصليب، عوض كل ميت. لقد اشترى كل قتلى الخطية، واستعاد لنا الحياة في الله عوض الموت في الخطية: «ونحن بعد خطاة **مات المسيح لأجلنا**» (رو٥: ٨).

— «**لأنك ذُبحت؛ واشتريتنا** لله بدمك (بحياتك)، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة» (رؤ٥: ٩).

ـ «نحن **نكرز بالمسيح مصلوباً**» (حالة كائنة: لا نعرف المسيح إلا مصلوباً ومُقاماً) (١ كو١: ٢٣).

ـ «لأن **فصحنا المسيح** (عبورنا من العبودية إلى المجد) **قد ذُبح لأجلنا**» (ذبيحة عبور) (١ كو٥: ٧).

ـ «لنا ... **ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع**، طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً، بالحجاب، أي جسده» (عب١٠: ١٩و٢٠).

ـ «**أحبنا المسيح؛ وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً، وذبيحة لله**، رائحة طيبة (ذبيحة سرور، ذبيحة استرضاء وجه الله لقبول مسرة الله عوض الغضب))» (أف٥: ٢).

ـ «لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء؛ وأن يصالح (الله) به الكلَّ لنفسه؛ **عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته**... قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إن ثبتُّم على الإيمان» (كو١: ١٩ــ٢٣).

ـ «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان **يسوع المسيح الذي بذل نفسه (فدية) لأجل الجميع**» (١تي٢: ٥و٦).

ـ «الذي **بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا** من كل إثم؛ ويطهر لنفسه شعباً خاصاً، غيوراً في أعمال حسنة» (تيطس ٢: ١٤).

ـ «لأنه إن كنا **نؤمن أن يسوع مات وقام**، (من أجل ذلك وبناءً عليه) فإن الراقدين بيسوع المسيح سيحضرهم الله أيضاً معه» (١تس٤: ١٤).

ـ «الذي **مات لأجلنا**، حتى إذا سهرنا («أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة» مت٢٦: ٤٠)، أو نمنا («ناموا الآن واستريحوا» مت٢٦: ٤٥)، نحيا جميعاً معه. لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً وابنوا أحدكم الآخر» (١تس٥: ١٠و١١).

ـ «لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء، **مات في الوقت المعين لأجل الفُجَّار**...

الله بيَّن محبته لنا، لأنه **ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا**...

ونحن متبررون الآن، بدمه، نخلص به من الغضب...

لأنه إن كنا، **ونحن أعداء، قد صولحنا مع الله بموت ابنه**!! فبالأولى كثيراً، ونحن مصالَحون، نخلص بحياته» (رو٥: ٦ــ١٠).

وجهان للصليب في الإنجيل:

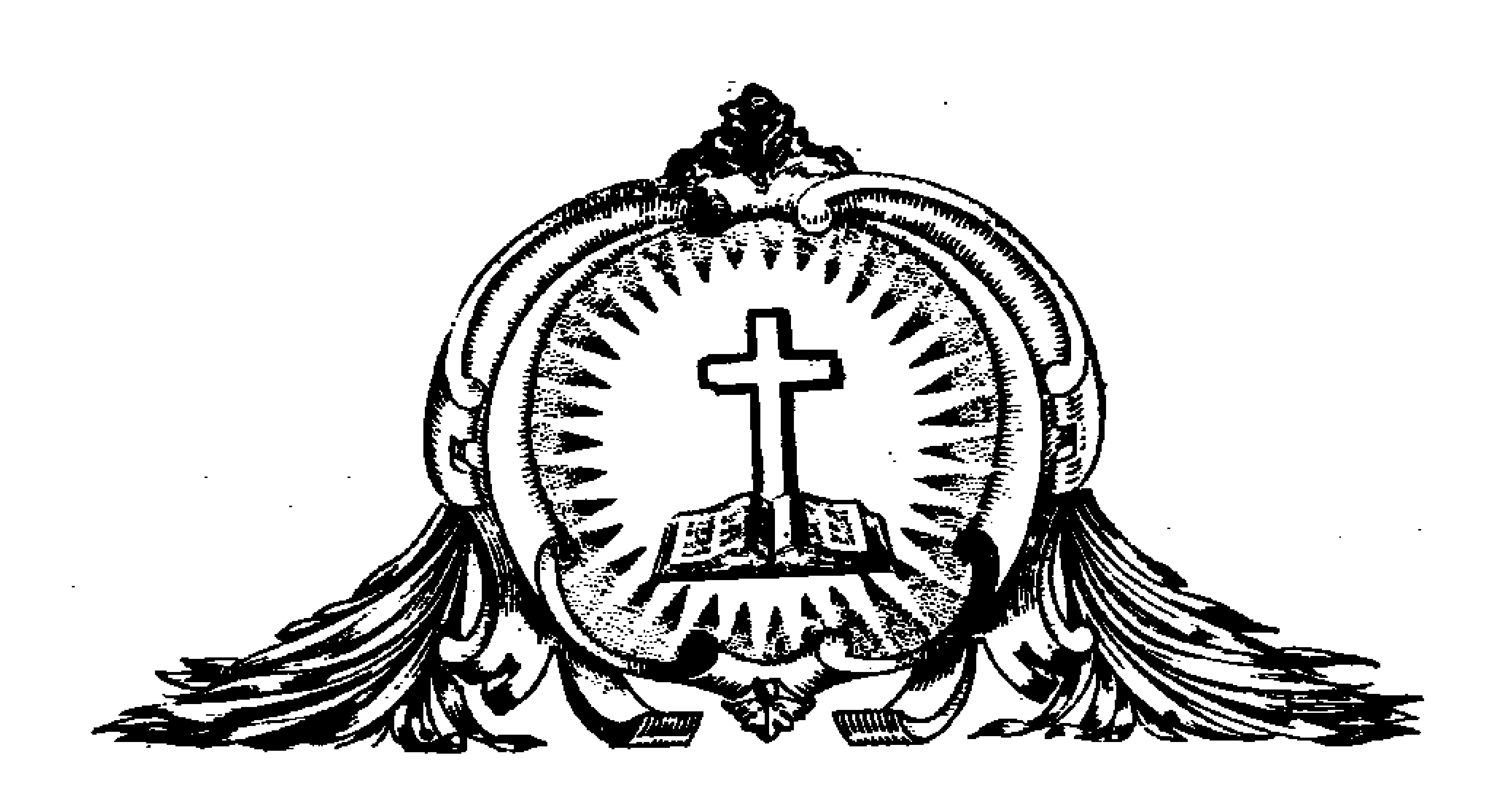
فإذا راجع القارىء كل الآيات السابقة بإمعان، يجد أن الصليب يرافقه دائماً وجه محزن، كله عار وخزي، انعكس على الدنيا وقت الساعة التاسعة سواداً مقبضاً. وهذا الوجه هو المقابل والمساوي بكل دقة للخطية التي اقترفها الإنسان، و يقترفها كل يوم، من نجاسة وزنا بالنية، بالعين، في القلب، أو بالفعل في الجسد، وهذا يساوي ذاك، أو من رشوة وكذب وتزو ير وشهادة زور؛ أو ظلم وعداوة وتجبر وامتهان الآخر ين، أو تسيب وتجديف وسرقة هياكل. هذه هي صنوف من الخطية التي أوجبت الصليب، فالتزم المسيح أن يلبسها كثوب من الخزي و يتراءى بها أمام العالم والله.

أما الوجه الآخر الملازم أيضاً للصليب، فهو وجه السرور المفرط، القائم في المصالحة مع الله، وخلع كل نجاسات الضمير والجسد، ورفع كل حكم ودينونة، بل وغسل الضمير والجسد، لبلوغ حالة براءة كاملة، وتبر ير حقيقي، يقف بها الخاطىء الممسك بالصليب أمام الله وكأنه بلا لوم، مرتدياً ثوب الخلاص، أبيض كالنور، في بهجة وتهليل، وعلى رأسه إكليل أبدي، وعلى لسانه أنشودة الظفر.

أما الذي يحتقر الوجه المخزي للصليب، فليس له نصيب في وجه البر، لأنه سيظل مستعبداً تحت حكم الخطية.

لذلك صار الإنجيل هو الخبر السار للخاطىء؛ والصليب افتخار.

(١٩٨١)



من الصليب ... إلى القيامة

إن حياة المسيح كلها من الميلاد للقيامة، بكل الأحاديث والوصايا والوقائع والقصص والتعاليم والمصادمات، تحوي مضمون الصلب والموت بمفهوم الفداء والقيامة، لإعطاء الحياة الجديدة.

ولكن التركيز على **الصلب** هو لإيضاح ثمن الخطية.

والتركيز على **القيامة** هو لإيضاح مقدار قوة البرّ.

□

١ . المحاكمة والصلب

نحن خطاة متعدُّون على كل الفرائض والوصايا، صغيرها وكبيرها، و بذلك صرنا تحت حكم الموت. ونحن محتاجون إلى تبرئة أمام السماء ليكون لنا نصيب في الحياة الأبدية مع السمائيين. والمسيح، وهو بريءٌ كل البراءة المطلقة بل هو هو الديان الذي يدين، أكمل هذا الحكم في نفسه على كل درجاته القانونية بكل دقة.

أولاً: المسيح قَبِلَ حكم الموت موتاً كاملاً، حيث انفصلت نفسه عن جسده، أما لاهوته فلم ينفصل قط لا عن نفسه ولا عن جسده. ودُفن، لكي يلغي قانون حكم الموت الأبدي بكل مشتملاته، حتى لا يصبح الموت بعد حاجزاً يحجز الإنسان منذ الآن عن الحياة والوصول إلى الله: «الذي به لنا جراءَة وقدومٌ بإيمانه عن ثقة.» (أف ٣: ١٢)

ثانياً: والمسيح، وهو القاضي المعيَّن لفحص كل إتهام، حمل كل أنواع الإتهام التي يستحقها كل إنسان مما يستلزم الموت من جرائها، ومات بناءً عليها.

ثالثاً: قَبِلَ أن يقف قدام بيلاطس البنطي الذي كان ممثِّلاً لأعلى سلطة قضاء لتنفيذ حكم الموت رسمياً حسب طلب رؤساء الكهنة، وبحسب ناموسهم.

أ ـــ ولـكـن بيـلاطس برّأ المسيح براءة شخصية (لو٢٧ : ٢٣) من كل علّة .

براءة من أي ادعاء مدني كمواطن وإنسان

ب ـــ ثم وافق على حكـم الموت بنـاءً على ادعـاءات النـاموس والأوصيـاء الـرسميين عليه، وهم رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون، مما يوضح ضمناً أن المسيح لم يمت بسبب أي علة شخصية وإنما بناءً على **طلب الناموس عامة**، مما يتسحب على كل إنسان، لكي يكون المسيح كفدية عامة. لذلك فبالرغم من براءته، حُكم عليه وصُلب كفاعل شر بحسب الناموس، وجُعل مع الأشرار قبره، ليجد فيه الأشرار محامياً ومخلّصاً (إش٥٣ : ١٢)، بل وصديقاً وفادياً .

الصليب كشف المضادة العظمى:

و يلاحَظ أن الآلام التي عاناها المسيح من المطاردة والإهانة والكراهية كما وصفه إشعياء في نبوته: «مكروه الأُمّة، عبدُ المتسلّطين» (إش٤٩ : ٧)، والضرب حتى الصلب، هي نتيجة المضادة العظمى بين الطُهر الكلي والفساد الكلي، بين الله والإنسان، وهي مضادة مباشرة و واضحة ولازمة بسبب إتحاد اللاهوت بالناسوت. فهو إنسان عادي جداً ولكنه حاملٌ صفات إلهية من طُهر ونقاء وصدق ومواجهة جريئة وتوبيخ صادق للرؤساء. وكان من نتيجة ذلك أن الموكّلين بالحق والناموس والصدق كانوا هم أول مَنْ لم يحتملوا تبكيته الصامت بحياته في وسطهم. فكان الصلب نتيجة رفض الإنسان لله من جهة، ومن جهة أخرى قبول الله لشركة الإنسان بعد أن تبنى كل ضعفه وخطيته و برّأه ودفع ثمن جريمته.

فالصليب، في آنٍ واحدٍ، كشف عنف حب الله للإنسان، وعنف غضب الله على الخطية. كما كشف عنف كذب حكم الإنسان على الحق، وفظاعة عداوة الإنسان لله.

وهكذا في الصليب والموت انكشف الإثنان، ورُفع الإثنان: الخطية والعداوة. ولاحِظْ أن عداوة الإنسان ضد الله، عقوبتها الوحيدة هي الفناء. فالمسيح واجه هذه

العداوة، فكان الصليب، وهو أعظم عقوبة ممكنة؛ واحتمل ما كان يجب أن يحتمله الإنسان. لذلك كان التجسد ضرورة حتمتها عملية الفداء، وكان هو بدء التغرُّب عن الله واحتمال التذلل: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (متى ٢٧: ٤٦)، وهكذا تحمَّل المسيح عبءَ العداوة، عداوة الله والناس، وعبءَ أقصى عقوبتها، ثم تم إلغاؤها باستحقاق بنوته لله، وقداسته المطلقة، وحبه وطاعته الكاملين.

أما سر الصليب وسر الخلاص في الصليب، فهو في أن المسيح كما كانت له قدرته الفدائية على حمل الخطية في الجسد والآلام الفعلية والصلب، أي عذاب الموت عنا؛ كان في قدرته القوة على رفعها جميعاً عنا: الخطية والآلام والصلب والموت. فهو حملها — كإنسان — ليرفعها كإله، لذلك كانت رسالة الصليب وتذكارها يوم الجمعة العظيمة، ليست رسالة حزن بقدر ما هي رسالة نصرة فائقة على عدو الإنسان، أي على الشيطان والموت والخطية، لإعطاء حياة قيامة جديدة للإنسان وإعادة المسرة والمصالحة مع الله، كمسرة الله.

ولا ننسى أن الرمز كان يحمل هذا الإزدواج، أي أن ذبح الخروف كان يصحبه تهليل العتق والخروج، وفي نفس الوقت كان يتضمن الإنتقام من الأُمَّة التي استعبدت شعب الله. لذلك وجب أن يكون تذكار الصليب، أي يوم جمعة الصلبوت، ممزوجاً بإحساسين:

أولاً: النصرة؛

ثانياً: النقمة:

النصرة على العالم والجسد والشيطان والخطية والألم والقبر والهاوية التي استعبدت الإنسان؛ أما النقمة فعلى الذي استعبد الإنسان بالخوف والرعب من الموت وإذلاله بسلطان الخطية والتعدي والتجديف — أي الشيطان.

جوهر رسالة الصليب؛

أعظم مصالحة وأعظم ارتباط بين الإنسان والله:

فرسالة الصليب، ولو إنها في ظاهرها تعبِّر عن خذلان من الله نحو ابنه، وإشهار

ومذلة وضعف ومهانة لا تليق بإبن الله، إلا أن جوهرها ينفي هذا المظهر الزمني. فكل ما وقع المسيح تحته من مهانة وعار وصليب و بُعْدٍ ظاهري عن الله الآب «إلهي إلهي لماذا تركتني»، هذا كله احتمله بسرور ليرفعه إلى الأبد و يلغي سلطانه عن الإنسان و يؤمِّن الإنسان ضده. لذلك، فإن سر التجسد، ولو إنه يحمل في ظاهره التخلي أو الإخلاء κένωσις بقبول الضعف والمهانة، إلا أنه يحمل في جوهره أعظم مصالحة وأعظم قوة وأعظم ارتباط بين الإنسان والله بواسطة الإبن. وهكذا كما نزل المسيح إلى الحضيض، إلى القبر والتراب والدفن، حاملاً في جسده لعنة وعار الإنسان وذُلِّه وإخفاقه، هكذا، و بنفس القدر بل وأكثر جداً، قام في مجد و يقين أنه هو ٱبن الله بقوة القيامة. وإذ قام من الموت، أعلن نصرة الإنسان فيه وحصول البشرية على نفس القيامة والشركة في المجد والميراث والمحبة التي يحب بها الله الآب ٱبنه الوحيد المحبوب: «... ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به.» (يو١٧: ٢٦)

و يتحتم أن ندرك ونثق ونشهد أن الله هو الذي صمم على فداء الإنسان منذ البدء، وهو الذي نفذه في ٱبنه متحملاً كل عار وقع على ٱبنه بسببنا «تعييرات معيِّر يك وقعت عليَّ» (مز٦٩: ٩). هنا يكون الصليب هو قوة الله للخلاص بالفعل، وكلُّ الآلام التي رافقته هي ثمن قيامة الإنسان، وتجديد خلقته، وشركة مجده مع المسيح في ميراث الحياة الأبدية.

عالمين علم اليقين أن الله في ذاته لم يكن في احتياج أن يتجسد ٱبنه ولا أن يؤلِّمه بهذا القدر واضعاً عليه كل عار الإنسان، ولكن هي محبة الله الفائضة من نحو العالم كله وكل إنسان فيه.

لم يُمسك المسيح في لعنة الموت،
لذلك رفع عن كل إنسان سلطانها القاتل:

كما نلاحظ أن المسيح قَبِلَ الموت بصورة صليب، وليس بصورة أخرى، لأنه هو النوع الوحيد من طرق الموت المحسوب في الناموس أنه لعنة كثمن التعدي على الناموس. فالمسيح قَبِلَ الصليب ليصير لعنة من أجلنا، ليوفي كل عقوبات الناموس مرة واحدة: [«لأنه مكتوبٌ ملعونٌ كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب

الناموس ليعمل به... المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كلُّ من عُلِّق على خشبة.» (غل٣: ١٠و١٣؛ تث٢١: ٢٣)]

ولكن المسيح لم يُمسَك لا في هذه اللعنة ولا في الموت كثمن اللعنة والتعدي، بل إذ حملها عنا ألغاها بعد أن أكمل كل طلباتها، لأنه هو نفسه قدوس و بلا عيب، ولم يتوقف لحظة، على الصليب أو حتى في القبر، من أن يكون هو البار القدوس الذي يمنح البركة للعالم كله.

فكان المسيح على الصليب هو هو الله الذي دان الخطية في الجسد، أي جسده، ودفع كل أجرتها بالموت «أجرة الخطية هي الموت» (رو٦: ٢٣)، ليرفع عن كل إنسان سلطانها القاتل. وعلى الصليب كان هو هو الديان العادل الذي انتقم للإنسان من عدوه المشتكي عليه ليلَ نهار، وأدانه، وخلَّص الإنسان من سلطانه. فالآن، نحن لسنا تحت سلطان الخطية أو الموت أو الشيطان، بل تحت نعمة ربنا يسوع المسيح الذي فدانا بنفسه وصالحنا مع الله أبيه، وأمَّن الفداء بقيامته من الأموات وإعطاء الروح القدس لضمان دوام مغفرة الخطايا وتقديس الحياة ورفع الخوف من الموت، إذ جعله المسيح باباً للحياة الأبدية بقوة القيامة من الموت: «فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو٦: ١٤)

ولقد رضي الرب أن يوضع في قبر وحيداً، و يتركه التلاميذ والأهل والأم وجميع الأصدقاء، ليذوق وَحْشة الموت تأكيداً للموت. ولكن بينما جميع الأموات يُتركون هكذا إلى الأبد، قام هو في اليوم الثالث ليتقابل عند القبر مع محبيه و يعود سريعاً إلى التلاميذ في العُلِّية، تأكيداً على أن الموت فَقَد كل جوهره ومظهره. وهكذا أعاد للصورة القديمة المتعلقة بالموت حقائق جديدة مفرحة ومذهلة. فالقبر كان تعبيراً عن الفساد، هذا تركه المسيح منيراً فارغاً تفوح منه رائحة الأطياب والعطور. والكفن صار تذكار حياة تفوح منه رائحة القيامة. والدم المسفوك على الصليب لم يعد دم إنسان مات ويمكن أن يفسد، بل دم الحي المحيي دم آبن الله، فعَّالٌ، بروح أزلي يمسح و يطهر و يقدس ويحيي الضمائر من كل الأفكار والتصورات والأعمال الميتة، وصار دم المسيح الذي تخضبت به الخشبة، خشبة الصليب، صار للحياة ولمغفرة الخطايا. وهكذا انقلبت

أدوات الموت وصورته إلى مصادر للحياة والتطهير والتقديس.

أما نفس الجسد المصلوب الذي مات والذي قام، فقد انفتحت أحضانه ليقبل شركة الإنسان فيه بسِرّ الروح، سواء في آلامه أو صلبه أو قيامته، شركة يعبّر عنها سر عشاء الخميس، أي سر الأكل من الجسد والدم، بأنها شركة حياة وثبوت وإتحاد «من يأكلني يحيا بي»، «من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه»، «... ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو٦: ٥٧و٥٦، يو١٧: ٢١و٢٣)

الإيمان بقوة الفداء، هو المدخل إلى كل هذه النعم:

ولكن المدخل إلى كل هذه النعم هو قوة الفداء الذي تم بالصليب، التي إذا آمنّا بها وحلَّت فينا، تجعلنا قادرين أن نتحمل صلب الإنسان العتيق فينا وموته ليحيا إنساننا الجديد القادر على مقاومة العالم والشيطان، وله سلطان إماتة أعضائنا التي على الأرض، لا بضيق ولا بتململ، بل بفرح سِرّ النصرة وروح القيامة الساكن فينا، وحيث لا تعود الخطية تسود علينا بعد بل نعمة المسيح، لأن المسيح «أبطل الخطية بذبيحة نفسه» (عب٩: ٢٦). و«أبطلها» تعني في اللغة «أخلاها من مضمونها كتعدٍّ وأفرغها من سلطانها القاتل».

ولكن إذا لم ندخل بالفعل في شركة فداء صليب المسيح؛ ونحتمل موت الجسد العتيق وصلب الأعضاء التي تخدم الخطية والفساد؛ ونموت بإرادتنا عن شهوات الجسد والعالم، فهذه إشارة خطرة إلى أن قوة القيامة لم تَعُدْ فعَّالة فينا. فعلينا أن نبكي وننقطع للصلاة الكثيرة والتوبة، وننطرح أمام المسيح كل يوم كأموات بالذنوب والخطايا، حتى تعمل فينا قوة قيامته، وعلامتها الثقة بالمسيح التي تتحدى العالم وكل مخاوفه ومرعباته وحوادثه ومصادماته، لأنها تسخر من الموت ذاته. وهكذا ليس كأننا مطالَبون أن نحارب أو نصارع مع الشيطان ونواجه عالم الظلمة بإمكانياتنا الضعيفة، بل علينا أن نتمسك بقوة القيامة المنبعثة من صليب ربنا يسوع المسيح ونستمد منه هو، بالروح، بقوة الإيمان، الإحتمال والصبر على كل ما يقع علينا من ضيقات ومظالم واضطهادات وآلام، باعتبارها أنها هي هي شركة الآلام وشركة الصليب مع المسيح. فإذا قبلناها

معه بصبر و بفرح، نتزكى ونُحسب أهلاً للعزاء وقبول سِرِّ قيامته المملوءة بهجة وسلاماً يفوق العقل.

والشركة في آلام وصليب المسيح، تؤهّلنا للدخول في سلام المسيح:

كذلك، فإن صلب الجسد بالصلاة باجتهاد في **صلوات كثيرة** يجعلنا فعلاً قادرين ومؤهَّلين لمقاومة الخطية ولصلب الإنسان العتيق، قريبين دائماً من النصرة، مؤهَّلين أن ندخل سلام المسيح، الذي وهَبَنا إياه بقيامته من الأموات.

و بالعكس، فإن أي تذمر على أية ضيقة أو اضطهاد أو ظلم، سواء كان هذا من أصدقاء أو أعداء يسوقهم الشيطان لتجربتنا، فإن هذا التذمر يُحسب كاستعفاء من شركة آلام المسيح وشركة صلبه وموته. كما أن أي ملل من الجهاد ضد الخطية حتى الدم (الإستشهاد)، بوهم أن للخطية هذا السلطان الكاذب لأن تسود علينا وتستعبدنا، فهذا يعني أن قوة آلام المسيح وصلبه لم نمسك بها بعد مسكاً جيداً لنأخذ منها قوة الموت عن الخطية والعالم وشهوته، بل وقوة الحياة الجديدة المنتصرة أيضاً. لقد هزم المسيح الخطية وأبطل سلطانها، وهو يمنحنا هذا السلطان في الصلاة و بالصوم والسهر، بقدر ما نؤمن به ونثق فيه غير مرتابين.

القيامة هي الثمرة الطبيعية لموت ابن الله بالجسد!!

مجد القيامة هو النتيجة الطبيعية لهوان الصليب «المسيح مات من أجل خطايانا...، وأُقيم لأجل تبريرنا.» (١ كو ١٥: ٣؛ رو ٤: ٢٥)

□

٢ . القيامة

+ قيامة المسيح من الأموات حقٌّ اكتسبه لنا المسيح، لأنه من جهته هو لم يكن في حاجة إليها، فهو القيامة ذاتها والحياة، والموت لا يمكن أن يسود عليه ولا يمكن أن يُمسك هو في الموت، لذلك فقيامة المسيح تمَّت لأنه رضي أن يموت بإرادته، وهكذا أصبح موته هو موتنا وقيامته هي قيامتنا.

والقيامة قوة حياة جديدة دخلت إلى خلقة الإنسان لم تكن فيه قط، ولا هي من صفاته أو حقوقه، ولكنها هبة خالصة، حياة أخرى فوق حياته، حياة جديدة ممتدة في الأبدية مع الله لا يعترضها حزن ولا وجع ولا تنهد ولا موت.

+ حينما تخلَّص المسيح لنا من قضاء الناموس تجاه جميع أنواع الخطايا بالموت الذي ماته على الصليب، محكوماً عليه بها كمخالف للناموس، اكتسب لنا حق البراءة الأبدية في مصالحة كلية مع الله ضد الناموس لكل خاطىء.

١ . التبرير:

هذا أول حق اكتسبناه بقيامة المسيح من الأموات، أي حصولنا على هبة التبرير أو البراءة تجاه قضاء الله العادل ضد كل عقوبات الناموس. فلم يعد حتى الموت عقوبة، إذ لم نعد نُحرم من وجه الله أو الوجود في حضرته بعد الموت بسبب خطايانا، بل صرنا نُحسب حتى منذ الآن في شركة القديسين وفي زمرة المفديين القائمين مع المسيح تحت مُلكه وتدبيره.

+ ولكن التبرير الذي نحصل عليه بقيامة يسوع المسيح من الأموات ليس حقاً عاماً أو نظاماً خارجياً عاماً يشملنا تلقائياً، بل التبرير هو هبة روحية يتحتم أن نكتسبها نحن أيضاً ونحصل عليها شخصياً، كل واحد، من المسيح بالطلب الحار كاحتياج خاص، وذلك بالصلاة التي يؤازرها عمل وسلوك وحب المسيح الشخصي، بالإضافة إلى تكميل سرَّي العماد من الماء والروح القدس والتناول من جسد المسيح ودمه: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار برِّه في الزمان الحاضر ليكون باراً و يبرر من هو من الإيمان بيسوع.» (رو٣: ٢٤—٢٦)

فالمسيح اكتسب لنا التبرير بالفداء حسب تدبير الله الآب بعمل وجهاد صعب للغاية، بتحمُّل وصبر على الآلام والإضطهاد والحكم بالظلم وقبول شهادة الزور وتقبُّل الضرب على الظهر والرأس والإهانة والمذلَّة، ثم الرضى أخيراً بأوجاع الصليب حتى الموت، طاعة للآب، لتكميل الفداء لإكتساب برِّ الله لأجلنا ولحسابنا.

لذلك، فنحن نوهب التبرير الذي ظفر به المسيح، حينما نؤمن من كل القلب بما عاناه المسيح قبل القيامة، بل وحينما نكون مستعدين للإفتخار والشهادة بكل آلامه وصليبه، وفوق الكل حينما نكون مستعدين بكل شجاعة للشركة في نفس آلام المسيح بدافع الحب: «تبكون وتكسرون قلبي لأني مستعد ليس أن أُربط فقط بل أن أموت أيضاً في أورشليم لأجل آسم الرب يسوع» (أع ٢١: ١٣). وهكذا فعل جميع الشهداء بلا استثناء.

لهذا استطاع القديس بولس أخيراً أن يقول: «قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربُّ الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢تي ٤: ٧و٨)

٢ . حياة عدم الموت:

أما الحق الثاني الذي اكتسبناه بقيامة المسيح من الموت فهو حياة عدم الموت. هذه الحياة اكتسبها لنا المسيح لما قام بالجسد وظهر عياناً، وشاهدوه ولمسوه وأكل معهم هو هو كما هو، ليحيا إلى الأبد في عدم الموت، بحيث لا يسود عليه الموت بعد. هكذا صار لنا بالمثل بكل يقين في تدبير الآب أن نقوم بأجسادنا يوم القيامة لنعيش في عدم الموت لحياة جديدة مع الله، أبدية لا تزول ولا يسود عليها موت أو خطية بعد.

إن قيامة المسيح بنفس جسده المصلوب المثقوب اليدين والرجلين والمطعون في الجنب بشهادة التلاميذ و بلمس يد توما، كانت للعالم أعظم وثيقة وعربون قدّمهما المسيح علناً بشهود، ليؤكد لنا أنه هكذا سنصير مثله على شبه جسد قيامته. هكذا يؤكد لنا القديس يوحنا الإنجيلي والقديس بولس الرسول:

ـــ «ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (أي بجسده الذي رآه التلاميذ ولمسوه وشاهدوه).» (١يو٣: ٢)

ـــ وكذلك القديس بولس الرسول: «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في٣: ٢١)

إذن، فنحن لا نحيا الآن باطلاً ونتعب ونتألم كأننا سننتهي، بعد هذا الجهد

والجذب الشديد في هذا العالم، إلى لا شيء، بل إن لنا نهاية سعيدة تنتظرنا بعد تكميل نصيبنا في أيام هذا العمر، إذ قد تجهَّزت لنا قيامة لبداية حياة جديدة ملؤها الفرح ولها من أسباب السعادة والسلام والشكر ما لا نهاية له، وليس كما اختبرناه في هذا العالم الذي كل ما فيه زائل ومتغيِّر ولا مسرة حقيقية تدوم فيه «ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو١٤: ٢٧). أما هبة عدم الموت فسننالها بأجسادنا بعد أن تتغير حتماً وتصير على شبه جسد المسيح المقام كنموذج أعلى لحياة عدم الموت التي وهبها الله لنا لنكون ليس مثله فقط بل ومتحدين فيه أيضاً، لأن بدون الشركة الفعلية في قوة قيامة المسيح والإتحاد به، لا يكون لنا هذا الجسد الجديد، جسد القيامة لحياة عدم الموت، في نور الله الأبدي، كما يتخذ الغصن وجوده ونموه في أصل الكرمة آخذاً منها خواصها كلها ليحيا بها وفيها، وكما الأصل هكذا تكون الأغصان، كما يقول الإنجيل: «لأننا... من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)

٣ . حياة جديدة:

أما الحق الثالث الذي اكتسبناه بقيامة المسيح من الأموات فهو أن نحيا منذ الآن وفي هذا الدهر عربون القيامة المزمعة أن تكون وعربون نوع الحياة الأبدية، بأن نحيا منذ الآن في جِدَّة الحياة، أي نحيا حياة جديدة ليست كالأولى حسب الجسد العتيق وشهواته، بل حياة جديدة حسب الروح وحسب الله، بإنساننا الجديد الذي سيوهب لنا بصفات المسيح بقيامة المسيح من الأموات: «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة وَلَدَنا ثانية لرجاءٍ حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظٌ لكم في السموات، أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير، الذي به تبتهجون (الآن).» (١بط١: ٣ــ٦)

وهذا الميلاد الثاني لا نحصل عليه كهبة عامة تشملنا خارجياً، بل هو هبة خاصة لكل واحد، ينالها بعد المعمودية والتناول بواسطة الإنشغال القلبي والفكري بالإنجيل، بكلمة الله الحية، بحياة يسوع المسيح وأقواله وتعاليمه المسجلة لنا في الإنجيل، حتى تسكن كلمة الله في قلوبنا بغنى، وتخصب الحياة كلها، كما يقول القديس بطرس الرسول،

كل واحد بصفاته الخاصة التي يستمدها حسب قامته الروحية: «مولودين ثانيةً، لا من زرعٍ يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد.» (١بط ١: ٢٣)

أي إن كلمة الإنجيل هي هي التي تهبنا حياة جديدة، وكأننا مولودون ثانية بقوة الروح، نفكر وندبر ونعمل ونسلك سلوكاً جديداً تشهد له ضمائرنا وتفرح له قلوبنا، وكأننا قد قمنا فعلاً مع المسيح وذُقنا حياة ما بعد الموت. وكل يوم نرى رحمة جديدة وعناية من النعمة، وكأننا فعلاً نعيش في ملكوت الله تحت تدبير المسيح ونعمته المخلِّصة؛ ونذوق تقديس الكلمة وفعل السر ومحبة الرب يسوع ونتحكم بكل حكمة الخلاص؛ ونفرح بمشيئة الله مهما كانت ظروف أحوالنا الجسدية في العالم؛ و يتأكد لنا في كل معاملة جديدة مع الرب أننا ننال منه حياة جديدة لا تمتُّ إلى طبيعتنا الأرضية، ولكنها تهتف في أعماقنا أن المسيح قام حقاً من الأموات، ونحن أنفسنا نكون ثمرة قيامته التي نعلنها في حياتنا؛ ونختبر سَبْقَ تذوُّق الشركة في مجده هناك، حسب وعده، كعربون قيامتنا و برهان تبر يرنا المجاني الذي وهبه لنا بالفداء بالكفَّارة بدمه، لنخدمه ونخدم قيامته بطهارةٍ، النهارَ والليلَ، بتسبيح قلبي لا ينقطع وصلاة شكر لا تهدأ؛ والروح يعين ضعف صلاتنا بتشجيع دائم، و يرشدنا كل يوم إلى عمل جديد يُرضي محبته. وبهذا نصبح بحياتنا الجديدة شهوداً لقيامة المسيح وشهوداً لعمل قيامته في تجديد الإنسان.

وهكذا نرى، بوضوح، أن «**المسيح قام. حقاً قام**» ليست بالقول كنداء التحية أو مجرد تعبير إيماني، ولكنها شهادة لحقيقة نحياها ونقدمها للآخرين.

بل وعلى النقيض جداً، إذا لم نكن نحيا حياة البر والطهارة، وتشهد أعمالنا علناً بنعمة المسيح للروح القدس العامل فينا، نكون فاقدين كلَّ مكاسب قيامة المسيح، ولا يكون المسيح قد قام بالنسبة لنا بل ونكون نحن لا نزال أمواتاً بالذنوب والخطايا، و يكون الإيمان ميتاً، بحسابات القديس يعقوب الرسول (يع ٢: ١٧).

ألسنا أعضاءً في جسد المسيح؟ ألسنا أعضاءً ملتحمة به؟ إذن، فقيامة المسيح ليست منطوق إيمان أو مجرد تقرير حقيقة نتحمس لها بأفواهنا، بل هي هي حياتنا

الجديدة المقامة الآن في برٍّ وسط ظلمة وجحيم هذا العالم الذي نعيشه، وهي النموذج الذي قبلنا أن نعيشه بعد الموت في حياة مُقامة لا يسود عليها الموت.

كذلك حينما ننشد أنه «**بالموت داس الموت، والذين في القبور وهب لهم الحياة**»، فنحن نقرر أننا في جانب الإنتصار الذي انتصره المسيح على الموت وألغاه وفكَّ قيوده عن الموتى، وأنه أوقع الشيطان وانتزع منه سلطانه فألغى الخطية وألغى الموت والهاوية. فإذا كانت الخطية لا تزال تظهر كأنها قائمة وفعالة في العالم، وكذلك الموت، فهذه صورة مزوَّرة أخذت وجودها الكاذب بسبب ضعف إيماننا وعدم رؤيتنا الصحيحة وضآلة التفوق الذي نصنعه. فالخطية تتحرك فينا حركة كاذبة مع أنها مقتولة ومقهورة؛ والشيطان يرعبنا بحركاته، مع أنه مضروب ضربة الموت، وقد أُعطي لنا أن نصرعه في أية معركة. وحقيقة الخطية والموت والشيطان معاً، يصفها أحد الأتقياء بأنها مثل حالة لاعب غبي للشطرنج مهزوم أمام خصم ذكي جبار تحرك حركة سريعة ضده فأرداه مهزوماً وليس أمامه اختيار، ووقف الغالب ينظر حيرة المغلوب وهو يتحرك حركة اليأس، لأنه سدَّ عليه كل المنافذ، فكل حركة تقرِّبه من النهاية المحتمة.

الشيطان فَقَدَ قوة حركته عندما صُلب المسيح، لأنه استخدم أقوى أسلحته وهو الموت إزاء مصدر الحياة فانتُزع سلاحه إلى الأبد: «رئيس هذا العالم قد دِيْنَ»، «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (يو١٦: ١١؛ لو١٠: ١٨). فكل الوقت الذي يمر الآن بالنسبة للشيطان والخطية هو وقت لا قيمة له بالنسبة للنهاية المحتمة لإنكشاف وإعلان الإنهزام الأبدي النهائي للشيطان وعالم الإثم. أما بالنسبة للمسيح نفسه «**فقد أكمل**» **كل شيء** على الصليب (يو١٩: ٣٠). ونحن الآن نمر في أزمنة الخلاص لتكميل كل شيء، لنكون وفق القصد والغاية التي من أجلها مات المسيح وأنهى على قوة الشيطان. نحن في أزمنة تكميل تدبير خطة الخلاص لجمع كل ما في السماء وعلى الأرض: «دُفع إليَّ كلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٨و١٩). وقد أعلن الرسول أن السماء كان ينبغي أن تقبل المسيح الى حين ردِّ كل شيء أو اكتمال كل شيء (أع٣: ٢١).

فالزمن الذي يتحرك الآن أمامنا، مع نشاط الخطية وحركة الموت وتسلُّط إبليس على الناس، هو محسوب أنه زمان منتهٍ. فالخطية مغلوبة، والموت بطلت قوته: «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥: ١٧). نحن لا نعيش بعد في «عُتق الحرف» بل في «جِدَّة الروح». بل إن الخليقة كلها في زمانها الآن ــ وبعد أن أدخل ربنا يسوع المسيح الفداء إلى العالم وخصَّ به الإنسان ــ يقول عنها القديس بولس الرسول:

ــ «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله... لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء **أجسادنا.**» (رو٨: ١٩ــ٢٣)

وزمان جديد:

إذن، نحن نحيا حياتين: حياة تكميل لأعواز الجسد غير محسوبة، إذ هي امتداد لتكميل الماضي الذي يعمل لإنهاء ذاته، وكل حوادثها زائلة تسير بالقصور الذاتي نحو النهاية المحتومة؛ وحياة أخرى خرجت من باطنها بالصليب والقيامة، جديدة روحية لا تنتهي، تمتد بعد الموت في الأبدية. الأولى مستعبدة للحرف، والثانية حرة بالروح القدس، وقد أُعطي للإنسان أن يحول حوادث هذا الزمن الضائع (الذي كما يقول عنه الكتاب: «الأيام شريرة» و«الوقت مقصَّر» و«العالم كله قد وُضع في الشرير» ــ أف٥: ١٦؛ ١كو٧: ٢٩؛ ١يو٥: ١٩)؛ يحوِّلها بالصلاة والحب والبذل والقداسة والتعفف إلى فضيلة وبرٍّ تخدم الأقداس العليا والأبدية. الخطية الآن تتحول إلى برٍّ بالنعمة.

الزمن الأول يحوي كل التراث الآدمي، وهو يبدو كتاريخ مع أنه لا يزيد عن كونه قصة تستهلك نفسها بنفسها ويطويها الزمان إلى لا شيء. أما الزمن الثاني، فهو زمن يسوع المسيح، ويحوي قصة الخلاص العظمى التي تغطي كل الزمان الأول وتتعمقه وترتفع به إلى الأمجاد العليا، هو تاريخ المسيح منذ سفر التكوين حتى الرؤيا بحوادثه المركزية الثلاثة: الموت، والقيامة، والصعود. لقد مُنح لنا أن ندخل تاريخ المسيح

الشخصي بالميلاد الجديد ونُحسب أن نكون أهلاً لبيت الله وليس بعد غُرباءَ ونُزَلاءَ على الأرض. إننا، بأعمالنا التي نعملها بالصلاة والحب والبذل حاملين صليب يسوع المسيح ونقبله ونُدخله إلى قلوبنا وواقع حياتنا، نؤرِّخ للمسيح فينا جديداً وللزمن الجديد ولنصرة المسيح على الخطية والموت والشيطان، مسيح القيامة والحق والحياة. لقد صارت حياتنا الجديدة في عمق أعماق تاريخ المسيح الحي الأبدي الذي لا يزول ولا يحول، الذي جمع فيه شتات الإنسان لكي لا يبقى الإنسان وحيداً قط.

وبذلك، فإن أعظم حوادث الإنسان اليومية على مستوى الجسد والعالم، تُحسب أنها لا شيء، وأنها حتماً ستتقلص عبر الزمن لتصبح غير ذات قيمة؛ أما أعمالنا الروحية التي نعملها بالروح بإخلاص بشهادة المسيح والضمير لمجد الله إنْ بالصلاة أو بالدموع أو بعمل البذل والحب والإستشهاد، فهي نقط مضيئة ثابتة وباقية أبد الدهور، تتضخم لتصبح ضمن تاريخ المسيح كنور حقيقي يسير على هداها الألوف بلا توقف.

وهكذا، فإن قيامة المسيح كشفت عن حياة نصرة كاملة جديدة، عن عالم بأكمله أُعِدَّ ليصير الإنسان مستوطناً فيه أبداً أبدياً، بعد أن كان متغرباً على الأرض وحيداً في هذا العالم مهزوماً متغرباً حتى عن ذاته، يستهلك نفسه ويستهلك عمره وزمنه ويرتضي في النهاية بأن يُدفن تحت التراب. قيامة المسيح خلقت أملاً، بل عالماً جديداً للإنسان يحيا فيه جديداً، غير وحيد.

وهكذا، فإمَّا نقبل هذه القيامة التي قامها المسيح على أنها لحسابنا وعلى أساس شركتنا فيها كبداية لحياة جديدة، وإمَّا نستهين بها فلا يتبقى للإنسان إلا خرافة الواقع الممزَّق ووحشة الحياة اليومية بحوادثها الآيلة للإنحلال ثم للزوال، يحيا دائماً في خوف من الموت ومن المستقبل تحت ثقل ضمير الخطية المميت، ينظر إلى الشيطان باحترام ورعبة، وإلى الخطية كقوة حتمية، وينتظر الموت كأنه حقيقة انتهاء كل شيء، حقيقة لا تُدحض. فهنا يحكم الإنسان على نفسه أنه يحيا خرافة فظيعة قوامها سيادة الشيطان والخطية والموت، هذه التي قد حطمها المسيح على الصليب وأنهى عليها تماماً، وفضحها بقيامته علناً، لكي يدوسها الإنسان كما داسها المسيح.

لقد اتضح للقديس بولس الرسول أن زمن الناموس والخطية عتق وشاخ، وهو إلى اضمحلال، لأن المسيح دشَّن بقيامته أزمنة الخلاص لحياة البر الأبدي.

وإن كان هناك من لا يرى حقيقة القيامة ولا يحس بأزمنة الخلاص ولا يفهم إمكانية الولادة الجديدة، فهذا لا يلغي أن المسيح قام حقاً وافتتح طريق الحياة الأبدية والنور والخلود لتطرقه رِجْلُ الإنسان، وتنفتح عيناه لرؤية وجه المسيح القائم من الأموات وهو يمنح العطايا، جالساً عن يمين العظمة، معلناً قيام ملكوت الله وحكم الدهور، وأن الآن هو زمن التدبير لتكميل فترة الشهادة، وأن الله بصبره وطول أناته ترك للعالم أطول فرصة ممكنة ليشهد لنصرة المسيح على الشيطان والخطية والموت، لكي يكون مجيئه الثاني لإعلان نهاية مهلة الخلاص و بدء الدينونة العتيدة.

إن من يظل لا يرى ولا يحس ولا يؤمن ولا يشترك، لا يمكن أن يضع العيب على الله الذي أرسل ابنه علناً. فالذين شهدوا وعبروا هم ألوفُ ألوفُ وربوات ربوات، إنما العيب على العين الكليلة والآذان المسدودة والفكر المطموس للإنسان الذي استنزفته شهوته في كافة ميادين عالم الشهوة والضلالة وتمجيد الشيطان من حيث لا يدري.

القيامة والحياة الجديدة، تحتاجان إلى رؤية جديدة:

إن المسيح تراءى لكثيرين ممن اختارهم وليس للجميع، تراءى للذين انفتحت قلوبهم لرؤية أبعاد الحياة الجديدة ــ المجدلية وقفت أمام المسيح بعد القيامة مدة تخاطبه كأنه البستاني، لأنها كانت تحت أبعاد رؤية الإنسان العتيق، ولكن لما انفتحت عيناها وانفتح قلبها للعالم الجديد، عرفت المسيح، وكذلك كثيرون من التلاميذ لما رأوه شكُّوا أولاً لأنهم كانوا منحصرين في توقعات الرؤية القديمة بأبعادها القديمة. والمسيح قام هو هو بجسده، إنما بأبعاد جديدة لا تحدُّها أبعاد هذا الزمان. لقد دخل العُلِّية والأبواب مغلقة. كذلك تلميذا عمواس، فقد قابلهما المسيح ولم يعرفاه في الطريق، وحادثهما طويلاً في نقاش وبحث طويل حتى إلى وقت كسر الخبز حيث انفتحت أعينهما فعرفاه.

هـذه هـي الحـيـاة الجديدة والقيامة التي أنشأت في الإنسان كياناً وقدرات ورؤ ية أعظم بكثير مما هي عليه الآن. لذلك، فالإيمان بالمسيح والقيامة والحياة الأبدية تحتاج إلى عين جـديـدة وأذن جـديـدة وقـلـب وفكر جديدين: «**تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهـانـكـم**» (رو١٢: ٢). هـذه الآيـة هـي الـدلـيل الذهبي لطالبي الدخول في عِشْرة المسيح: «**قلباً نقياً اخلقْه فيَّ يا الله.**» (مز٥١: ١٠)

إن أمـور الـمـسـيـح وعـطـايـاه الآن تـفوق عقل الإنسان، و يتحتم أن يكون الإنسان مـسـتـعـداً للتغيير تحت يد الله والروح القدس، حتى يصير ابناً للقيامة وأهلاً للشركة مع المسيح وقديسيه.

والـمـسيح جعل للإيمان قدرة واتساعاً وسلطاناً لقبول كل ما تستطيع الرؤ ية الحسية أن تحـصـل عـليه. هكذا أعلن المسيح لتوما الرسول الذي صمم أن يقترن إيمانه بالقيامة بـإحـسـاس أصـابـعـه!! فـرأى وأحـس وآمـن!! ولـكـن إزاء هذا التصعيب في الإيمان المشـروط، أعـطى المسيح للإنسان باباً سر ياً لقبول الدخول إليه بدون رؤ يا حسية من أي نـوع، فـقـال لـتـومـا: «ألأنـك رأيـتـني يـا تـوما آمنتَ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يـو٢٠: ٢٩). هـذا هـو المـدخـل السري العجيب للمسيح المقام من الأموات الذي به نـتـقـابـل مـعـه في الـقـلـب بالرؤ يا غير الحسية بالإيمان الذي يفوق الحواس جميعاً والعقل أيـضـاً، لأن أبـعـاد الـرؤ ية اللازمة لإدراك القيامة هي فعلاً فوق طاقة الحواس والعقل والمنطق، ولكن هذه هي طبيعة القيامة.

المـسـيـح الـقـائم مـن الأمـوات الآن، هـو مركز التار يخ الثابت والدائم والحقيقي، وتـدور حـولـه كـل حـوادث الإنـسـان. أمـا الحـوادث التي لا تمتُّ للمسيح بصلة فهي خـارج التار يخ. هي بروزات وأعراض مَرَضية، تتقلص وتموت وحدها، وهي ليست بذات قيمة في مصير الإنسان الجديد مهما كان وزنها وقيمتها التاريخيان.

والإنـسـان لا يـسـتطيع أن يمزج بين تار يخ المسيح القائم الحي العامل لتكميل ملء كـل شيء لإستعلان ظهور ملكوت الله و بين حوادث وأعمال ونشاطات لا تمتُّ بصلة للإنسان الجديد ومسيرته مع الله.

(١٩٨٥)

فهرس شواهد الآيات الواردة في الكتاب

(رقم الشاهد / رقم الصفحة)

□□□

سفر التكوين:

٣: ١٧/ ٢٦٨
١٤: ١٨/ ١٩٠
٤٥: ٨/ ١٧٠
٤٩: ١١و١٢/ ١٩١
٥٠: ٢٠/ ١٧٠

سفر الخروج:

١٢/ ١٦٥
٢٢: ٢٨/ ٢١٥
٢٥: ٣٠/ ١٩٠

سفر اللاويين:

١٧: ٢/ ٢٣١
١٧: ١٤/ ٢٤٢
٢٣: ٤٠/ هامش ٦٧

سفر التثنية:

٧: ٨/ ٤٩
١٧: ٦/ ٢١٤
٢١: ٢٣/ ٢٤٦ و٢٨٣
٢١: ٢٢ و٢٣/ ٢٤٢
٢٥: ٢ و٣/ ٢١٥

سفر المزامير:

٢: ١ـ٣/ ١٧٧
٢٢: ١/ ١٣٨ و٢٢١ وما بعده
٢٢: ٦/ ١٣٧ و١٣٠ و١٣٥
٢٢: ٧/ ١٣٧ و١٣٨ و٢٢٩
٢٢: ٨/ ١٣٨
٢٢: ١٢/ ١٣٦
٢٢: ١٣/ ١٣٧
٢٢: ١٤/ ١٣٩
٢٢: ١٥/ ١٣٩
٢٢: ١٦/ ٢٤١
٢٢: ١٧/ ١٣٧
٢٢: ١٨/ ١٣٧
٢٣/ ١٩١
٣١: ١١/ ١٣٦
٣٤: ١/ ١٨٩
٣٤: ٨/ ١٨٩ و١٩١
٣٤: ٢٠/ ١٣٩
٣٥: ١٣/ ١٩٦
٣٧: ٢١ و٢٢ (قبطية)/ ٦٠
٣٨: ١١/ ١٣٨
٤١: ٩/ ١٣٥
٥١/ ٢١٦
٥١: ١٠/ ٢٩٤
٥٧: ٧/ ٢٠١
٦٨: ١٨/ ١٢٨
٦٩: ٩/ ٢٨٢
٦٩: ٢٠/ ١٣٦
١٠٤: ١٥/ ١٩١
١٠٧: ٨/ ١٤ و١٦
١١٨: ٢٧/ ١٣٦
١٢٢: ١/ ١٤٣

سفر نشيد الأنشاد:

٥: ٢/ ٧٦
٥: ١٦/ ٢٢٨

سفر إشعياء:

١: ١٨/ ٨٨ و٢١٧
٤٢: ١ـ٤/ ١٢٤
٤٥: ٢/ ٢٢٨
٤٩: ٣ و٤/ ١٢٥
٤٩: ٥ـ٧/ ١٢٥
٤٩: ٧/ ١٦٨ و٢٨٠
٤٩: ٢٤ و٢٥/ ١٢٨
٥٠: ٦ و٧/ ١٢٦ و٢١٥ و٢١٦
٥٠: ٨/ ١٢٧
٥١: ٤ و٥/ ١٣٤
٥١: ١٢/ ١٣٣
٥٢: ١٣/ ١٢٨

٥٢: ١٤/٢٢٨
٥٣: ١/٢١٧
٥٣: ٣/١٢٩و٢٢٨و٢٢٩
٥٣: ٤ و٥/ ٩٠ و١٣١ و٢٢٨
٥٣: ٦/٢٢٨
٥٣: ٧/١٣٢ و٢٢٩
٥٣: ٨/٢٢١ و٢٢٩
٥٣: ٩/١٢٧
٥٣: ١٠ و١١/١٣٣
٥٣: ١٢/١٣١ و١٣٤ و٢٨٠
٥٣: ١٣/١٣
٦٣: ٣/٢٣١
٦٣: ١٠—١٣/١٧٥
٦٤: ٧/٢٢٢

سفر إرميا:
٢: ٢٩—٣٠/٤٣

سفر حزقيال:
٨: ٢٠/٢١٠

سفر يوئيل:
٢: ١٥—١٧/١٧٧

سفر عاموس:
٨: ١١/٢٥٩

سفر زكريا:
٤: ٦/١٧٧
٩: ٩/٦٦
٢٢: ١٠/٢٤١

سفر ملاخي:
٣: ١—٥/٦٨
٣: ١و٢/١٦٨

سفر مكابيين الأول:
١٣: ٥٠—٥٢/٦٧

سفر مكابيين الثاني:
١٠: ١—٩/٦٧

إنجيل متى:
٤: ٨—١٠/١٠٦
٥: ١٧/١١٦
٥: ١٨/١٤٥
٥: ٣٤/١٢٣
٥: ٤٤/٢٤٩
٥: ٤٦/٢٥١
٨: ٨/١٠١
٨: ١٧/١٣١
٩: ٢/٤٢
٩: ١٣/٤١ و٢١١
١٢: ١٤—١٦/١٢٤
١٢: ١٧—٢١/١٢٤
١٢: ٢٠/٧٥
١٢: ٢٨ و٢٩/١٢٧
١٦ و١٧/١٠٨
١٧: ٢٢ و٣٣/١١١
٢٠: ١٧—١٩/١١٣ و١٦٥ و٢٤١
٢١: ٩/٦٧
٢١: ١٨—٢٠/٧١
٢١: ٤٢/١٢٢
٢٣: ١١/٢٤١
٢٣: ٢٩—٣٥/١٠١
٢٤: ١٢/٢٥٧
٢٤: ٣٥/١٤٨
٢٥: ١٠/٧٦
٢٦: ٨/١٣١
٢٦: ٢١—٢٥/١٣٦
٢٦: ٢٦—٢٨/٨٥
٢٦: ٢٨/٤١ و١٤٣
٢٦: ٢٩/٢٢٩
٢٦: ٣١/١٢٥ و١٧٩
٢٦: ٣٧/١٧٥
٢٦: ٣٨/١٠ و١٧٥
٢٦: ٤٠/١٣٦ و١٧٦ و٢٧٧
٢٦: ٤٥/٢٧٧
٢٦: ٤٧ و٥٥/١٣٦
٢٦: ٥٠ و٥٧/١٣٦
٢٦: ٥٦/١٣٦
٢٦: ٦٣ و٦٤/١٢٢
٢٦: ٦٥/١٨
٢٦: ٦٧/١٢٦
٢٧: ٢٣/١٣٧
٢٧: ٢٦/١٢٧
٢٧: ٣٤/٢٤٢و٢٥٢
٢٧: ٣٩—٤٣/١٣٨
٢٧: ٤٦/٢٠٨ و٢٢١ وما بعده و٢٨١
٢٧: ٥٠—٥٣/١٥٤
٢٨: ٥—٧/١٥٧
٢٨: ١٦—١٧/١٥٧
٢٨: ١٨—٢٠/١٥٨ و٢٣١ و٢٩٠

إنجيل مرقس:

٨: ٣/١٠٢
٨: ٢٧ — ٩: ١/١٠٣
٨: ٣١ — ٣٦/٩٥ و١٠٤
و١٠٦ و١٩٥
٩: ١٢/١٢٩ و١٣٥
٩: ٣١ و٣٢/٩٥ و١١١
١٠: ٢١/١٩٥
١٠: ٣٢ — ٣٤/٩٥ و١١٣
١٠: ٤٥/١٣٣
١١: ٨/٩٩
١١: ١٠/٦٧
١٢: ١ — ١٢/٩٩
١٤: ٤/٨١
١٤: ٢٤/١٣٣
١٤: ٦١ و٦٢/١٢٢
١٤: ٦٥/١٢٥ و١٣٠
١٥: ١٥/١٢٦
١٥: ١٩ و٢٠/١٣٠ و١٣٧
١٥: ٣١/٢٢٩
١٥: ٣٤/١٣٨ و٢٢١ وما
بعده

إنجيل لوقا:

٣: ٩/٧١
٧: ٤٧/٨٢
٧: ٤٨/٤٢
٩: ٢١/٢٣٠
٩: ٢٢/١١٠
٩: ٢٣/١٩٥ و١٩٦
٩: ٢٥ و٢٦/٣١
٩: ٣٠ و٣١/١٩٤
٩: ٤٤ و٤٥/١١١
١٠: ١٨/٢٣١ و٢٩٠
١١: ٢١ و٢٢/١٢٧
١٣: ٣٤/٥٩
١٣: ٣٥/٦١ و٧٢ و٢٢١
١٤: ٢٧/١٤٨ و١٩٥ و٢٤٧
١٦: ١٢/١٧٤
١٨: ٣١ — ٣٤/١١٣ و١٩٥
و٢٠٩
١٩: ١١ — ٢٧/٦٨ و٦٩
١٩: ٣٨ و٤٠/٦٧
١٩: ٤٤/٦٠
٢٢: ١٥/١٤٤
٢٢: ١٩/١٣١ و١٣٣
٢٢: ٣٧/١٣١
٢٢: ٤٤/١٧٥ و٢٢٨
٢٢: ٥٣/١٧٧ و٢٢١ و٢٣٠
٢٣: ٨/٢٢
٢٣: ١٦/٢١٧
٢٣: ٢٠ — ٢٣/٨٩ و١٣٧
٢٣: ٢٨/٩٠
٢٣: ٣١/١٧٥
٢٣: ٣٣/١٣٧
٢٣: ٣٤/١٧١ و٢٠٧
٢٣: ٣٥/١٣٧
٢٣: ٤٣/٢٠٧
٢٣: ٤٦/١٣٩ و٢٠٨
٢٣: ٤٩/١٣٨
٢٤: ٢٥ — ٢٧/١٠٣ و١١٦
٢٤: ٣٦/١٥٨ و٢٣٣
٢٤: ٣٧/١٥٨
٢٤: ٤٤ — ٤٨/٩٦ و١٠٥
و١١٧
٢٧: ٢٣/٢٨٠

إنجيل يوحنا:

١: ٥/٢٧٢
١: ٦/٢٧٢
١: ١٤/٢٦١
١: ٢٩/١٣٣ و٢٧٢ و٢٧٣
١: ٥٠/٩٧
٢: ١٩/٢٢١
٢: ٢٢/٩٦
٣: ١٦/٢٥٦ و٢٦٥
٣: ١٧/٩٧
٣: ٣١/١٤٥
٥: ٢٥/١٥٥
٥: ٣٩/١٢٢
٥: ٤٥ و٤٦/١٢٢
٦: ٤١ و٥٥/١٩٠
٦: ٥٣/١٨٢
٦: ٥٤/١٥٢
٦: ٥٧ و٥٦/٢٨٤
٨: ١١/٢٦٤
٨: ١٢/٢٢١
٨: ٢٨/٩٧
٨: ٤٦/٢٨ و١٢٧
٩: ٦/١٦٩
٩: ٣٩/٣٧
١٠: ١٦/١٢٤
١٠: ١٨/٢١١

١٠:٢٧ و٢٨/٥٠
١١:٦ و٧/٦٣
١١:١٤ و١٥/٦٣
١١:٢١/٦٣
١١:٢٥/٢٢٤
١١:٣٣/٦٣
١١:٣٥/٦٣ و٢٣٠
١١:٤٤/٦٢
١١:٤٨/٩٩
١٢:٣/٨١
١٢:٧/٨٤
١٢:٢٧/٩٨ و١٢٧ و١٦٩
و٢٠٠ و٢١١ و٢١٢ و٢٣٠
و٢٦٤
١٢:٣١/٢٣١
١٢:٣٢ و٣٣/٢٤٠
١٢:٣٤ و٣٧/١٢١
١٣:٧/١٤٢
١٣:٨/٨٦
١٣:١١/٩٨
١٣:٢٧/٩٨
١٣:٣٠—٣٢/١٢٥ و١٢٦
١٣:٣٨/١٢٥
١٤:٥/١٩٦
١٤:٦/١٢
١٤:٩/١٢١
١٤:٢٧/٢٨٨
١٤:٢٩/٩٧
١٤:٣٠/٢٨
١٥:٣/٩
١٥:٥/٢٠١
١٥:١٨—٢٠/٢٩ و١٩٤
١٥:٢٢ و٢٤/٣٧
١٥:٢٥/٤٣
١٦:٤/٩٧
١٦:١١/٢٩٠
١٦:١٤ و١٥/١١٧
١٦:١٧ و١٨/١٢٢
١٦:٢٠/٢٢
١٦:٣٢/١٢٥
١٧:١٢/٩٨
١٧:١٤/٢٨
١٧:٢١ و٢٣/٢٨٤
١٧:٢٤/٧٧
١٧:٢٦/٢٨٢
١٨:٤/٩ و٩٦ و١٩٥
١٨:١١/١٦٩ و٢٠٠ و٢١١
١٨:٢٢/١٢٦
١٨:٣٠/١٨ و٢١٢
١٨:٣٥/٢٢٩
١٩:٦ و٧/٢١٢
١٩:١١/١٧٠
١٩:١٧/٩١
١٩:٢٣ و٢٤/١٣٧
١٩:٢٦/١٣٩ و٢٠٨
١٩:٢٧ و٢٨/٢٠٨
١٩:٢٨—٣٠/١٣٨
١٩:٣٠/٢٧ و٣٢ و٢٠٨
و٢٩٠
١٩:٣٤/١٣٩
١٩:٤١ و٤٢/١٣٩
٢٠:٢٧/٣٨ و١٥٨
٢٠:٢٩/٢٩٤

سفر أعمال الرسل:

١:١٥—٢٠/١١٩
٢:١٤—١٦/١١٩
٢:٢٢—٢٥/١١٩
٢:٢٣/١٠٥ و١١٤
٢:٣٠—٣١/١١٩
٢:٤٢/١٨٤
٢:٤٦ و٤٧/١٨٥
٣:١٧ و١٨/١١٩
٣:٢١—٢٦/١١٩ و٢٩٠
٤:٢٤—٢٨/١١٩
٥:٤٠ و٤١/٢٤٨
٧:٥١ و٥٢/١١٩
٨:٢٦—٣٥/١٣٢
١٤:٢٢/١٠٥
٢١:١٣/٢٨٧
٢٣:٥/٢١٥

الرسالة إلى رومية:

٢:١٦/٤٣
٣:٢٠/٣٣
٣:٢٤—٢٦/٢٨٦
٣:٢٤/٣٩
٣:٢٥/٣٩ و٤٨ و٢٧٥
٤:٢٥/٢٧٥ و٢٨٥
٥:١/٤٦
٥:٦—١٠/٢٧٧
٥:٨/٢٧٦
٥:٩/٣٩ و٤٦
٥:١٣/٣٢

٥: ٢٥/٤٨
٦: ١٠ و٦/٢٧٥
٦: ١٤/٢٨٣
٦: ١٧ و١٩/٤٤
٦: ٢٣/٢٧٠ و٢٨٣
٧: ٨/٣٣
٧: ٩/٣٤
٧: ١١/٣٥
٧: ١٢/٣٣
٧: ١٣/٣٣
٧: ١٤/٤٩
٧: ٢٣/٤٤
٧: ٢٤/٣٤
٨: ١/١٤٩
٨: ٢/١٦
٨: ٣/٣٦ و٢٤٣
٨: ١٧/١٥ و١٤٧
٨: ١٩ — ٢٣/٢٩١
٨: ٢٣/٥١
٨: ٣١/١١٤
٨: ٣٢/٢٧٥
٨: ٣٤/١٣٤
١٢: ٢/٢٩٤

الرسالة الأولى إلى كورنثوس:

١: ١٨/٢٣٥ و٢٤٦
١: ٢٢/٢٠٠
١: ٢٣ و٢٤/٢٣٨ و٢٥٠ و٢٧٧
١: ٢٥/٢٥٠
٢: ٢/٢٥٨
٢: ١٥/٩٧
٢: ١٦/٢٤٥
٥: ٣/٢٨٥
٥: ٧/٢٧٧
٦: ١٩ و٢٠/٤٩ و٢٧٦
٧: ٢٣/٤٤ و٢٧٦
٧: ٢٩/٢٩١
١٠: ١٦/٣٩
١٠: ٣١/٢٦٨
١١: ٢٣ — ٢٩/١٨١
١١: ٢٦/١٨٣
١٥: ١ — ٤/١١٨
١٥: ١ — ٨/٢٧٦
١٥: ١ — ٢٠/١٥٥
١٥: ٩/٣٥
١٥: ١٤/١٥٦
١٥: ٢٠/٢٦٢ و٢٧٠
١٥: ٤٩/٢٣٣

الرسالة الثانية إلى كورنثوس:

١: ٥/١٥ و٢٥
٤: ٦/٢٤٧
٥: ١٠/٤٣
٥: ١٥/١٩٧ و٢٠٧ و٢٦٨
٥: ١٧ و١٨/٤٧ و٢٩١
٥: ١٩/٤٦ و٤٧ و٢٥٦
٥: ٢١/١١ و٤٦ و٢٢٩
٦: ١٦/٦١
٧: ٤ — ٧/٢٥
٧: ٩ و١٠/٢٣
١٣: ٤/٢٤٦

الرسالة إلى غلاطية:

٢: ٢٠/١٤٦ و٢٠٧ و٢٥٢
٣: ١/٣٨
٣: ٣/٢٤٦
٣: ١٠/٢٤٢ و٢٨٣
٣: ١٣/٢٢٩ و٢٤٢ و٢٨٣
٣: ٢٤/٣٤
٤: ٣/٤٤
٤: ٦/٥٠
٤: ٧/٥٠
٥: ٥/٤٦
٥: ٦/٤٦
٦: ١٤/٢٧٦

الرسالة إلى أفسس:

١: ٧/٤٨
١: ٩/٢٣٨
١: ١٣ و١٤/٥١
١: ١٩/٢٣٧
٢: ٦/٢٥٦
٢: ١٣/٣٩
٢: ١٤/٢٣٤
٣: ١٢/٢٧٩
٤: ٧ — ٩/١٢٨
٤: ٣٠/٥٠
٥: ٢/٢٧٧
٥: ١٦/٢٩١
٥: ٣٠/٢٨٨

الرسالة إلى فيلبي:

٢: ٥ — ٨/١٩٨ و٢٤٤
٢: ٧ و٨/١٢٧ و١٢٩ و١٣٤

و٢٢٢ و٢٢٩
٢: ٧—١٠/١٢٩
٣: ١٠/١٥
٣: ٢٠/١٤٦
٣: ٢١/٢٨٧

الرسالة إلى كولوسي:

١: ١٩—٢٣/٢٧٧
١: ٢٠/٤٠ و٤٧ و٢٦٢
و٢٦٨
١: ٢٤/١٥ و٢٤
٢: ٣/٤٧
٢: ٥/٢٣١
٢: ١٤/٤٧ و١٢٨
٢: ١٥/١٢٨

الرسالة الأولى إلى تسالونيكي:

٤: ١٤/٢٧٧
٥: ١٠ و١١/٢٧٧

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:

٢: ٥ و٦/٢٧٧
٣: ١٦/٤٥

الرسالة الثانية إلى تيموثاوس:

٤: ٧ و٨/٢٨٧

الرسالة إلى تيطس:

٢: ١٤/٢٧٧
٣: ٣/٤٤
٣: ٥/٤٧

الرسالة إلى العبرانيين:

١: ٣/٤٦
١: ١١ و١٢/١٤٥
٢: ٣/٢٧٤
٢: ٩/٢٧٤
٢: ١٠/هامش ٢٠٢ و٢٠٣
و٢٢٧
٢: ١٤/٢٣٠ و٢٧٤
٢: ١٥/٤٤ و٢٣٠
٢: ١٧/٢٦٨
٢: ١٨/٢٢٧
٣: ١٢/٢٧٤
٤: ١٥/٢٦٣
٥: ٧/١٣ و١٧٦ و١٧٩
و٢١١ و٢٢٨ و٢٢٧
٥: ٨/٢٢٩
٧: ٢٥/١٣٥
٧: ٢٦/١١
٩: ١٢/٢٧٣
٩: ١٤/٤١ و٢٧٣
٩: ٢٦/٣٢ و٣٧ و٢٧٣
و٢٨٤
٩: ٢٧/١٤٨ و٢٧٣
٩: ٢٨/١٣٤ و١٤٨ و٢٧٣
١٠: ٥—١٠/١٣٤
١٠: ١٠/٢٧٥
١٠: ١٢/٢٧٤
١٠: ١٤ و١٥/٢٧٥
١٠: ١٩ و٢٠/٢٧٧
١٠: ٢٨/٢١٤
١١: ٣٧ و٣٨/٧٨
١٢: ٢/١٩٤ و٢٢٨ و٢٧٥
١٢: ٣ و٤/١٧٩ و٢٧٤ ٢٧٥
١٢: ٢٢ و٢٤/٢٧٥
١٣: ١٣/٢٩ و١٩٥
١٣: ١٤/٢٧٤
١٣: ٢٠ و٢١/٢٧٥

رسالة يعقوب:

١: ٢/١٥
٢: ١٧/٢٨٩

رسالة يهوذا:

١: ٦/٤٣

رسالة بطرس الأولى:

١: ٢/٢٧٦
١: ٣—٦/٢٨٨
١: ١٨ و١٩/٤٩ و٢٦٤
و٢٧٦
١: ٢٠/٢٦٤ و٢٧٦
١: ٢٢/٢٤٨
١: ٢٣/٢٨٩
٢: ٩/٢٤٨
٢: ١٩/١٦
٢: ٢١ و٢٢/١٢٧
٢: ٢٣/١٣٢
٢: ٢٤/١٠ و١٣١ و٢٤٣
و٢٧٦
٣: ١٨/٢٧٦
٤: ١٣/٢٠٦

رسالة بطرس الثانية:

١: ١٦ و١٩/١١٨

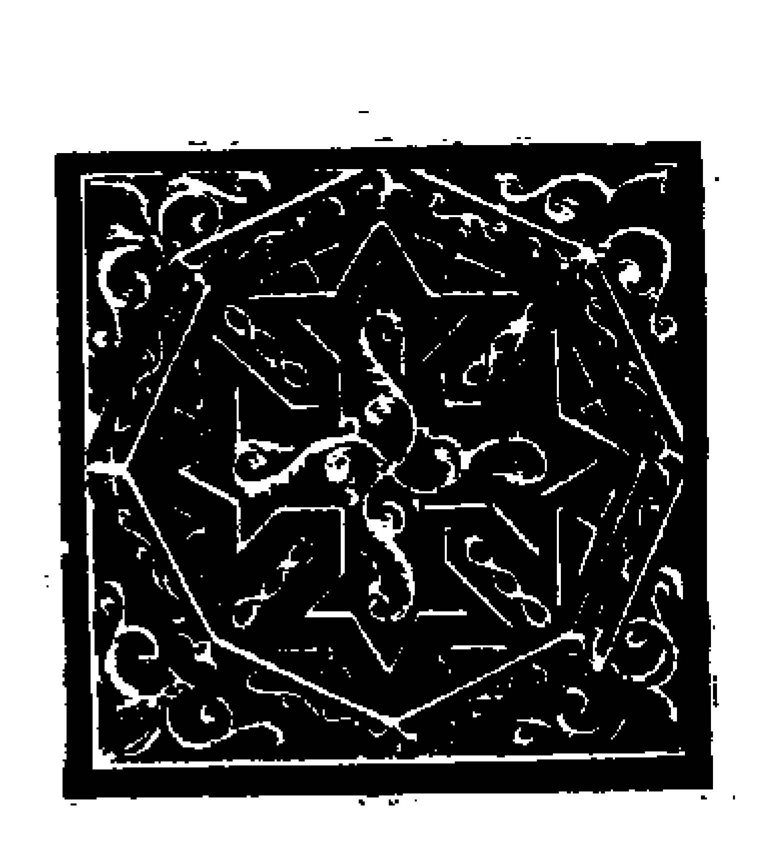
رسالة يوحنا الأولى:

١: ٧/٢٧٦

١:١٨ و١٩/٤٩
٢:١ و٢/١٣٥ و١٤٦ و٢٧٦
٢:١١/٢٥٥
٢:١٦/٢٨
٣:٢/١١٠ و٢٤٩ و٢٨٧
٣:١٤/٢٥٩
٥:٤ و٥/٣١
٥:١٩/٢٩١

سفر الرؤيا:

٣:٢١/٢٩
٥:٦/٢٧٢
٥:٩/٥١ و٢٧٦
٦:٢/٢٣١
٧:١٤/٨٨ و١٩١
١١:٣/٢٧٢
١١:٨/٢٧٢
١٣:٨/٢٦٥ و٢٧٢
١٩:٩/٧٩



يُطلب من

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ " أ " شارع شبرا ــ تليفون رقم ٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء بالمنشية تليفون رقم ٤٨٤٠١١٠

وجميع المكتبات المسيحية

مع المسيح في آلامه حتى الصليب

- إن سر الصليب بالنسبة للمسيح هو سر مجده، فالآلام الساحقة التي عاناها الرب تحت وطأة التمزيق النفسي بسبب الظلم والإلتواء الذي شاهده أثناء المحاكمة مع خيانة التلاميذ وتسليم يهوذا وإحساسه أن حياته ثمَّنها رؤساء الكهنة بإتفاق مع أحد التلاميذ بثلاثين فضة!... هذه كلها كانت معبراً من عالم التفاهة المتناهية إلى مجد الآب... وعلى هذا المعبر عينه يلزم أن تمر أقدام الإنسان في كل زمان ومكان.
- الإنسان يظل متوقفاً روحياً وعاطلاً عن المسير راجعاً مع المسيح إلى الله إلى أن يحمل صليبه.
- والمسيح سكب فينا قوتين: قوة الحب وقوة الصليب (الألم) وبقبولنا هاتين القوتين يعمل المسيح فينا سراً لنتحرك به ومعه إلى أن نصل إلى الآب، ويتم بها وفيه السر الأعظم... سر الإتحاد بالله.



الطبعة السادسة ـ ٢٠٠٠
الثمن ٧ جنيهات